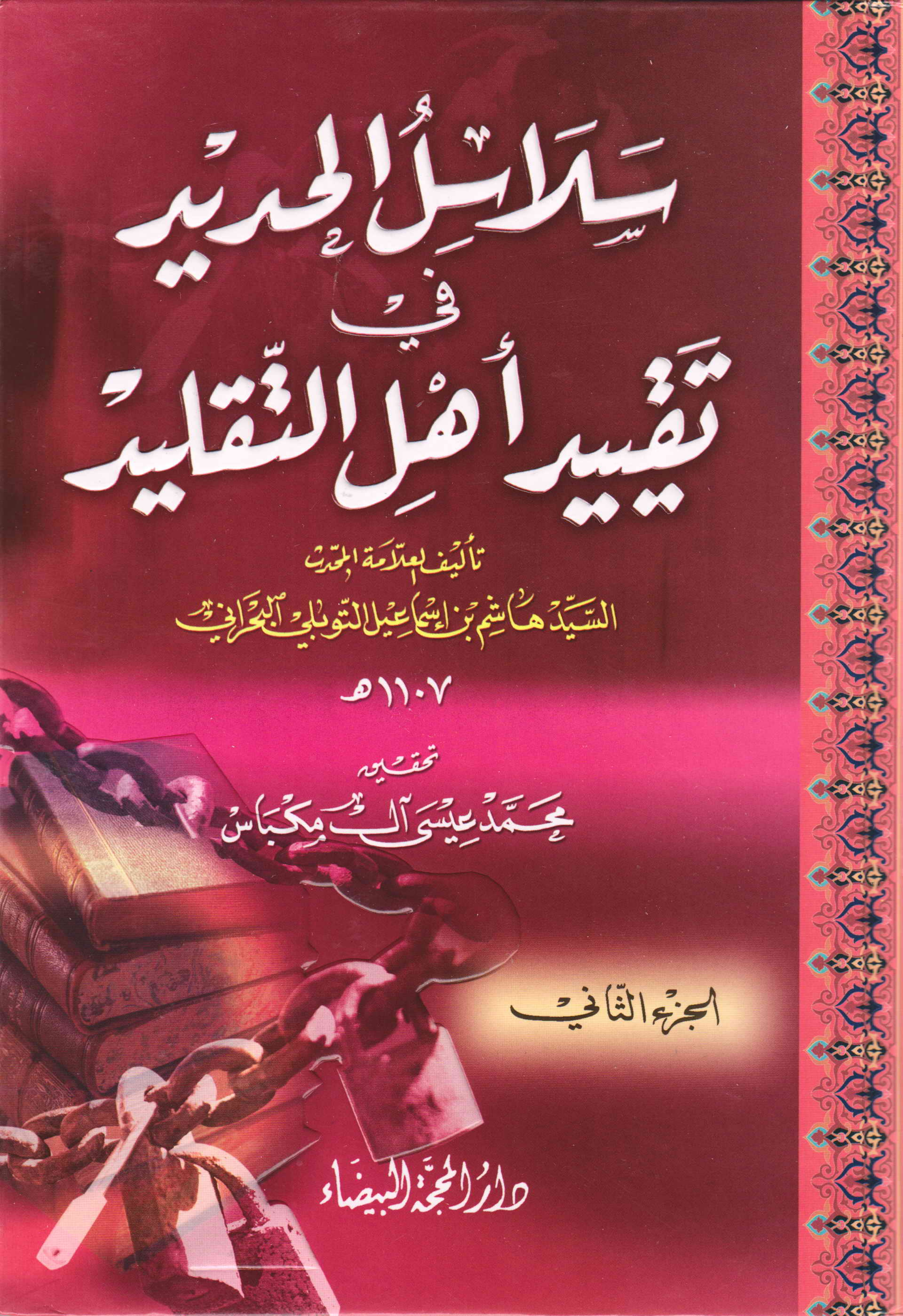


سلاسل الحديد
في
تقييد أهل التقليد
تأليف العلامة المحدث
السيد هاشم بن إسماعيل التوبلي البحراني
١١٠٧هـ
تحقيق
محمد عيسى آل مكباس
الجزء الثاني
دار المحجة البيضاء



سلاسل الحديد
في
تقييد أهل التقليد



سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد

الجزء الثاني

تأليف العلامة المحدث
السيد هاشم بن إسماعيل التوبلي البحراني

تحقيق
محمد عيسى آل مكباس

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الباب
الثاني والعشرون
في أن أمير المؤمنين عليه السلام أول من هاجر

وقال: ومن كلام له عليه السلام لاصحابه: أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني، فأما السب فسبوني، فإنه لي زكاة، ولكم منجاة، وأما البراءة فلا تتبرؤا مني، فإني ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة.[1]

قال في الشرح: إنه يقال كيف قال أنه سبق إلى الهجرة، ومعلوم أن جماعة من المسلمين هاجروا قبله، فمنهم عثمان بن مظعون وغيره، وقد هاجر أبو بكر ﴿رضي الله عنه﴾، لأنه هاجر في صحبة النبي صلى الله عليه وآله، وتخلف علي عليه السلام فبات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله، ومكث أياماً يرد الودائع التي كانت عنده، ثم هاجر بعد ذلك.[2]

والجواب: ولا شبهة أنه سبق معظم المهاجرين إلى الهجرة، ولم يهاجر قبله أحد إلاّ نفر يسير جداً، وأيضاً فقد قلنا إنه علل أفضليته، وتحريم البراءة منه مع الإكراه لمجموع أمور:

منها: ولادته على الفطرة.

---

[1] - نهج البلاغة ١٠٥/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٥/٤.

منها: سبقه إلى الإيمان.

ومنها: سبقه إلى الهجرة.

وهذه الأمور الثلاثة لم تجتمع لأحد غيره، وكان لمجموعها تمييزاً عن كل واحد من الناس، وأيضاً فإن اللام في الهجرة تجوز أن لا تكون للمَعهُود السابق، بل تكون للجنس، وأمير المؤمنين عليه السلام سبق أبا بكر وغيره إلى الهجرة قبل هجرة المدينة، فإن النبي صلى الله عليه وآله هاجر عن مكة مراراً، يطوف على أحياء العرب، وينتقل من أرض قوم إلى غيرها، وكان علي عليه السلام معه دون غيره.[1]

أما هجرته إلى بني شيبان، فما أختلف أحد من أهل السير أن علياً عليه السلام كان معه وأبو بكر، وأنهم غابوا عن مكة ثلاث عشر يوماً، وعادوا إليها لما لم يجدوا عند بني شيبان ما أرادوا من النصرة.[2]

وروى الميداني في كتاب الأمثال عن الفضل الضبي، أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج عن مكة، يعرض نفسه على القبايل، خرج إلى ربيعة ومعه علي عليه السلام وأبو بكر، فدفعوا إلى مجلس من مجالس ربيعة، فتقدم أبو بكر وكان نسابة، فسلم فردوا عليه السلام، فقال: ممن القوم؟ فقالوا: من ربيعة، فقال: أمن هامتها؟ أم من لهازمها؟ قالوا: من هامتها العظمى، فقال: من أي هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: ذهل الأكبر.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٥/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٦/١.

قال: أفمنكم عوف الذي يقال له الأحر بوادي عرف؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم بسطام ذو اللواء، منتهى الاحياء؟ قالوا: لا، قال: فمنكم حسّاس حامي الذمار، ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: فمنكم الحوقران قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا، قال أفيكم الحوقران صاحب العمامة الفردة، قالوا: لا. قال: أفأنتم أخوان الملوك من كندة؟ قالوا: لا، قال: فلستم إذاً ذهل الأكبر، أنتم ذهل الأصغر.

فقام إليه غلام قد ثقل وجهه، إسمه دعبل، فقال:

إن علـى سائلنا أن نسأله   والعيب لا تعرفه أو تحمله

ياهذا، إنك قد سألتنا فأجبناك، ولم نكتمك شيئاً، فممن الرجل؟ قال: من قريش، قال: بخ بخ! أهل الشرف والرياسة، فمن أي قريش أنت؟ قال: من تيم بن مرة، قال: أمكنت والله الرامي من الثغرة، أمنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر، فكان يدعى مجمعاً؟ قال: لا، قال: أفمنكم هاشم الذي هشم لقومه الثريد؟ قال: لا، قال: أفمنكم شيبة الحمد، مطعم طير السماء؟ قال: لا، قال: أفمن المقتضين بالناس أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الندوة أنت ؟ قال: لا، قال: أفمن أهل السقاية؟ قال: لا، قال: فأجتذب أبو بكر زمام ناقته، ورجع إلى رسول الله ﷺ هارباً من الغلام.

فقال دعبل:

صادف در السيل در يصدغه

أما والله لو ثبت لأخبرتك أنك من زمعات قريش، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال علي عليه السلام لأبي بكر: لقد وقعت يا أبا بكر من الإعرابي على باقصة، قال: أجل، إن لكل طامة طامة، والبلاء موكل بالمنطق، فذهبت مثلاً.[١]

وأما هجرته صلى الله عليه وآله إلى الطائف، فكان معه علي عليه السلام وزيد بن حارثة في رواية أبي الحسن المدايني، ولم يكن معهم أبو بكر.[٢]

وأما رواية محمد بن إسحاق، فإنه قال: كان معه زيد بن حارثة وحده، وغاب رسول الله صلى الله عليه وآله عن مكة في هذه الهجرة أربعين يوماً، ودخل إليها في جوار مطعم بن عدي.[٣]

وأما هجرته صلى الله عليه وآله إلى بني عامر بن صعصعة وإخوانهم من قيس غيلان، فإنه لم يكن معه إلاّ علي عليه السلام وحده، وذلك عقيب وفاة أبي طالب، أوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وآله: اخرج منها، فقد مات ناصرك، فخرج إلى بني عامر بن صعصعة، ومعه علي عليه السلام وحده، فعرض نفسه عليهم وسألهم النصر، وتلا عليهم القرآن، فلم يجيبوه، فعادا عليهما السلام إلى مكة، وكانت مدة غيبته في هذه الهجرة عشرة أيام، وهي أول هجرة هاجرها صلى الله عليه وآله بنفسه.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٦/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٧/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٨/١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٨/١.

فأما أول هجرة هاجرها أصحابه، ولم يهاجر بنفسه فهجرة الحبشة، هاجر فيها كثير من أصحابه عليه السلام إلى بلاد الحبشة في البحر، منهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فغابوا عنه سنين، ثم قدم عليه منهم من سلم وطالت أيامه، وكان قدوم جعفر عليه عام فتح خيبر، فقال صلى الله عليه وآله: ما أدري بأيهما أنا أسر، أبقدوم جعفر، أم بفتح خيبر.[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٨/١.

الباب
الثالث والعشرون
في أن علياً خير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله
وخير الأمة

قال ابن أبي الحديد: إن علياً عليه السلام أفضل البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأحق بالخلافة من جميع المسلمين، كما في مسند أحمد بن حنبل ﴿رضي الله عنه﴾، عن مسروق قال: قالت لي عايشة ﴿رضي الله عنها﴾: إنك من ولدي ومن أحبهم إليّ، فهل عندكم علم من المخدج؟ فقلت: نعم، قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه بامرآ، ولاسفله النهروان، بين الخافقين وطرفاء، قالت: أبغني على ذلك بينة، فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك، قال: فقلت لها: سألتك بصاحب هذا القبر، هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم؟ فقالت: نعم، سمعته يقول: إنهم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة.[١]

وروى سلمة بن كهيل قال: دخلت أنا وسلمة وزبيد اليمامي على امرأة مسروق، فحدثتنا قالت: كان مسروق والأسود بن يزيد يفرطان في سبّ علي، ثم مات مسروق حتى سمعته يصلي عليه، وأما الأسود فمضى لشأنه.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٧/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٨/٤.

قال: فسألناها لم ذلك، قالت: شيء سمعته من عايشة ترويه عن النبي صلى الله عليه وآله فيمن أصاب الخوارج.[١]

في كتاب صفين للمدائني، عن مسروق أن عايشة قالت: لما عرفت قتل ذا الثدية لعن الله عمرو بن العاص، فإنه كتب اليّ يخبرني أنه قتله بالاسكندرية، ألا إنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، سمعته يقول: يقتله خير أمتي من بعدي.[٢]

وفي بعض الصحاح يقتلهم يعني الخوارج أولى الفريقين بالحق.[٣]

وروى أبو عمر بن عبد الله في كتابه المعروف بالإستيعاب في معرفة الصحابة: إن إنساناً سأل الحسن عن علي عليه السلام فقال: كان والله سهماً صليباً من مرامي الله على عدوه، ورباني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وآله، لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالملوية في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه، ففاز منه برياض مونقة، ذاك علي بن أبى طالب، يا لكع![٤]

وروى أبان بن عياش، قال: سألت الحسن البصري عن علي عليه السلام، فقال: ما أقول فيه، كانت له السابقة، والفضل، والعلم، والحكمة، والفقه، والرأي، والصحبة، والبلاء، والنجدة، والزهد، والقضاء، والقرابة، إن علياً كان

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٨/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٨/٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٨/٢.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٥/٤.

في أمره علياً، رحم الله علياً، وصلى عليه، فقلت: يا أبا سعيد، أتقول: صلى عليه وآله لغير النبي؟ فقال: ترحم على المسلمين إذا ذكروا، وصل على النبي وآله، وعلي خير آله.[١]

فقلت: أهو خير من حمزة وجعفر؟ قال: نعم، قلت: وخير من فاطمة وابنيها؟ قال: نعم، والله إنه خير آل محمد كلهم، ومن يشك أنه خير منهم، وقد قال رسول الله ﷺ: وأبوهما خير منهما، ولم يجر عليه إسم شرك، ولا شرب خمر، وقد قال رسول الله ﷺ لفاطمة عليها السلام: زوجتك خير أمتي، فلو كان في أمته خير منه لأستثناه، ولقد آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فآخى بين علي ونفسه، فرسول الله ﷺ خير الناس نفساً، وخيرهم أخاً.

فقلت: يا أبا سعيد، فما هذا الذي يقال عنك إنك قلته في علي؟ فقال: يا بن أخي، احقن دمي من هؤلاء الجبابرة، ولو لا ذلك لشالت بي الخشب.[٢]

قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله سائل: أيما أعظم منزلة عند الله علي أم أبو بكر؟ فقال: يا بن أخي، والله لمبارزة علي عمرواً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها، وتربي عليها، فضلاً عن أبي بكر وحده.[٣]

وقد روى عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا، بل ما هو أبلغ منه، روى قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدي، عن ربيعة بن مالك السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت: يا أبا عبد الله، إن الناس يتحدثون عن علي

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٦/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٦/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٠/١٩.

بن أبي طالب ومناقبه، فيقول لهم أهل البصيرة: إنكم لتفرطون في تقريظ هذا الرجل، فهل أنت محدثي بحديث عنه أذكره للناس؟ فقال: يا ربيعة، وما الذي تسألني عن علي؟ وما الذي أحدثك عنه؟ والذي نفس حذيفة بيده، لو وضع جميع أعمال أمة محمد ﷺ في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال علي في الكفة الأخرى لرجح على أعمالهم كلها.[1]

فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، إني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله! فقال حذيفة: يا لكع، وكيف لا يحمل! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه، فملكهم الهلع والجزع، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه علي فقتله! والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أمة محمد ﷺ إلى هذا اليوم، وإلى أن تقوم القيامة.[2]

وجاء في الحديث المرفوع: إن رسول الله ﷺ قال ذلك حين برز إليه: برز الإيمان كله إلى الشرك كله.[3]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٠/١٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٠/١٩.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦١/١٩.

وقال أبو بكر بن عياش: لقد ضرب علي بن أبى طالب عليه السلام ضربة ما كان في الإسلام أيمن منها، ضربته عمرواً يوم الخندق، ولقد ضرب علي ضربة ما كان في الإسلام أشأم منها، يعني ضربة ابن ملجم ﴿لعنه الله﴾.[١]

وفي الحديث المرفوع: أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما بارز علي عمرواً ما زال رافعاً يديه، مفخماً رأسه نحو السماء، داعياً ربه قائلا: اللهم إنك أخذت مني عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أُحد، فأحفظ عليّ اليوم علياً، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين.[٢]

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري يوم الأحزاب: قتل علي عمرو وتخاذل المشركين بعده إلاّ بما قصه تعالى من قصة داود وجالوت في قوله: **﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت﴾**.[٣]

وروى عمر بن أزهر، عن عمر بن عبيد، عن الحسن أن علياً لما قتل عمرواً واحتز رأسه وحمله، فالقاه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأسه، ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله متهلهل، فقال: هذا النصر، وقال: أول النصر.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦١/١٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦١/١٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦١/١٩، البقرة/٢٥١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٢/١٩.

وفي الحديث المرفوع أن رسول الله ﷺ قال يوم قتل عمرو: ذهبت ريحهم ولا يحزنوننا بعد اليوم، ونحن نغزوهم إن شاء الله.[١]

وفي حديث آخر من مغازي الواقدي، وابن إسحاق، ناوش عمر بن الخطاب ضرار حتى إذا وجد مس الرمح رفعه عنه، وقال: إنها نعمة مشكورة، فأحفظها يا ابن الخطاب، إني كنت آليت ألاّ تمكنني يداي من قتل قرشي فأقتله.

وأنصرف ضرار راجعاً إلى أصحابه، وقد كان جرى له معه مثل هذه في يوم أُحد.

وقد ذكر هاتين القصتين معاً محمد بن عمر الواقدي في كتاب المغازي.[٢]

والقول بالتفضيل قول قديم، قد قال به كثير من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة عمار، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان، وجابر بن عبد الله، وأبي بن كعب، وحذيفة، وبريدة، وأبو أيوب، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبو الهيثم بن التيهان، و خزيمة بن ثابت، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، والعباس بن عبدالمطلب وبنوه، وبنو هاشم كافة، وبنو المطلب كافة.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٢/١٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٤/١٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢١/٢٠.

وكان الزبير من القائلين به في بدء الأمر، ثم رجع، وكان من بني أمية قوم يقولون بذلك، منهم خالد بن سعيد بن العاص، ومنهم عمر بن عبد العزيز.[١]

وأنا أذكر هاهنا الخبر المروي المشهور عن عمر، وهو من رواية ابن الكلبي، قال: بينا عمر بن عبد العزيز جالساً في مجلسه، إذ دخل حاجبه ومعه إمرأة ادماء طويلة، حسنة الجسم والقامة، ورجلان متعلقان بها، ومعهم كتاب من ميمون إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب، ففضه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، من ميمون بن مهران، سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد، فإنه ورد علينا أمر ضاقت به الصدور، وعجزت عنه الأوساع، وهربنا بأنفسنا عنه، ووكلناه إلى عالمه، لقول الله عز وجل: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها، والآخر أبوها، وإن أباها يا أمير المؤمنين يزعم أن زوجها حلف بطلاقها أن علي بن أبي طالب عليه السلام خير هذه الأمة، وأولاها برسول الله صلى الله عليه وآله، وإنه يزعم أن ابنته طلقت منه، وإنه لا يجوز له في دينه أن يتخذه صهراً، وهو يعلم إنها حرام عليه كأمه.

وإن الزوج يقول له: كذبت وأثمت، لقد بر قسمي، وصدقت مقالتي، وإنها امرأتي على رغم أنفك، وغيظ قلبك، فأجتمعوا إليّ يختصمون في ذلك،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٢/٢٠.

فسألت الرجل عن يمينه، فقال: نعم، قد كان ذلك، وقد حلفت بطلاقها أن علياً خير هذه الأمة، وأولاها برسول الله، عرفه من عرفه، وأنكره من أنكره، فيغضب من غضب، وليرضى من رضي، وفي أهايهم وشرعهم الى ما في الفتنة، فأحجبنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله، وأنهما تعلقا بها، وأقسم أبوها أن لا يدعها معه، وأقسم زوجها أن لا يفارقها ولو ضربت عنقه إلا أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته، والإمتناع منه، فرفعنا إليك يا أمير المؤمنين أحسن الله توفيقك وأرشدك.

وكتب في أسفل الكتاب:

اذا ما المشكلات وردن يوماً ... وحارت في تأملها العيون

وضاق القوم ذرعاً عن نباها ... فأنت لها أبا حفص أمين

لأنك قد حويت العلم طراً ... وأحكمك التجارب والشؤون

وخلفك الإله على الرعايا ... وحظك فيهم الحظ الثمين [1]

قال: فجمع عمر بني هاشم، وبني أمية، وأفخاذ قريش، ثم قال لأبي المرأة: ما تقول أيها الشيخ؟ قال: يا أمير المؤمنين هذا الرجل زوجته ابنتي وجهزتها اليه بأحسن ما يجهز به مثلها حتى اذا أملت خيره، ورجوت صلاحه، حلف بطلاقها كاذباً، ثم أراد الاقامة معها، فقال عمر: يا شيخ لعله لم يطلق امرأته، فكيف حلف؟ قال الشيخ: سبحان الله، إن الذي حلف عليه لأبين خبثاً، وأوضح كذباً من أن يختلج في صدري منه شك، مع سني وعلمي، وإنه زعم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٢/٢٠.

أن علياً خير هذه الأمة، وإلاّ فامرأته طالق ثلاثاً، فقال للزوج: ما تقول هكذا حلفت؟ قال: نعم، فقيل: إنه لما قال كاد المجلس أن يرتج بأهله، وبنو أمية ينظرون إليه نشزاً إلاّ أنهم لم ينطقوا بشيء، كل ينظر إلى وجه عمر، فأكب عمر ملياً ينكث الأرض بيده، والقوم صامتون، وينتظرون ما يقوله، ثم رفع رأسه وقال:

إذا ولي الحكومة بين قوم أصاب الحق والتمس السداد

وما خير الإمام اذا تعدى خلاف الحق واجتنب الرشاد

ثم قال للقوم: ما تقولون في يمين هذا الرجل؟ فسكتوا، فقال: سبحان الله، قولوا، فقال رجل من بني أمية: هذا حكم في فرج، ولسنا نجتريء على القول فيه، وأنت عالم بالقول، مؤتمن فيه لهم وعليهم، فقال: قل ما عندك فإن القول ما لم يكن يحق باطلاً أو يبطل حقاً جايز عليّ في مجلس، قال: لا أقول شيئاً، فالتفت الى رجل من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب، فقال له: ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلي؟ فأغتنمها، فقال: يا أمير المؤمنين إن جعلت قولي حكماً، وحكمي جايزاً قلت، وإن لم يكن فالسكوت أوسع لي وأبقى للمودة، قال: قل، وقولك حكم، وحكمك ماض، فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا: ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين، إذ جعلت الحكم إلى غيرنا، ونحن من لحمتك، وأولى برحمك، فقال عمر: اسكتوا عجزاً، ولو ما عرضت ذلك عليكم آنفاً فما اشدبتم إليه، قالوا: لأنك لم تعطينا ما أعطيت العقيلي، ولا حكمتنا كما حكمته، فقال عمر: إن كان أصاب وأخطأتم، ثم جزم وعجزتم، وأبصرتم، فما

ذنب عمر، لا أباً لكم، تدرون ما مثلكم؟ قالوا: لا ندري، قال: لكن العقيلي يدري، ثم قال: ما تقول يا رجل؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، مثلهم كما قال الأول:

دعيتم إلى أمر فلما عجزتموا
تناوله من لا يداخله عجز
فلما رأيتم ذاك أبدت نفوسكم
ندامى وهل يغني من القدر الحذر

فقال عمر: أحسنت وأصبت، فقل فيما سألت عنه.

فقال: يا أمير المؤمنين بر قسمه، ولم تطلق امرأته، قال: وأنى علمت ذلك؟ قال: أنشدك يا أمير المؤمنين، ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام وهو عندها في بيتها عايدها، يا بنية ما علتك؟ قالت: الوعك يا أبتاه، وكان علي عليه السلام غائباً في بعض حوائج النبي صلى الله عليه وآله فقال لها: أتشتهين شيئاً؟ قالت: أشتهي عنباً وأنا أعلم أنه عزيز، وليس وقت عنب، فقال صلى الله عليه وآله: إن الله قادر على أن يجيئنا به، ثم قال: اللهم آتني به مع أفضل أمتي عندك منزلة، فطرق علي الباب ودخل معه مكتل قد ألقى طرف ردائه عليه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما هذا يا علي؟ قال: عنب التمسته لفاطمة، فقال: الله أكبر، الله أكبر، اللهم كما سررتني بأن خصصت علياً بدعوتي، فأجعل فيه شفاء بنيتي، ثم قال: كلي على بسم الله بنية، فأكلت، وما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتى استقلت وبرأت، فقال عمر: صدقت وبررت، أشهد لقد سمعته ووعيته يا رجل، خذ بيد امرأتك، فإذا

عرض لك أبوها فاهشم أنفه، ثم قال: يا بني عبد مناف، والله ما نجهل ما يعلم غيرنا، ولا ابنا عمي في ديننا، ولكنا كما قال الأول:

تصيدت الدنيا رجالاً بفخها

فلم يدركوا خيراً بل استقبحوا الشرا

وأعماهم حب الغنى وأصمهم

فلم يدركوا إلاّ الخسارة والوزرا

قيل: فكأنما لقم بني أمية حجراً، ومضى الرجل بإمرأته، وكتب عمر إلى ميمون بن مهران: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو.

أما بعد: فإني فهمت كتابك، وورد الرجلان والمرأة، وقد صدق الله يمين الزوج، وأبر قسمه، وأثبته على نكاحه، فأستيقن ذلك وأعل به، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.[١]

فأما من قال بتفضيله ﴿رضي الله عنه﴾ على الناس كافة من التابعين فخلق كثير، كأويس القرني، وزيد بن صوحان، وصعصعة أخيه، وحبيب الخير، وعبيدة السلماني، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة، ولم يكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلاّ لمن قال بتفضيله عليه السلام، ولم يكن مقالة الإمامية ومن نحى نحوها من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذ على هذا النحو من الإشتهار، فكان القايلون بالتفضيل المسمون بالشيعة، وجميع ما ورد من الآثار والأخبار في فضل الشيعة، وفي أنهم موعودون بالجنة، فهؤلاء المعنيون به

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٣/٢٠.

دون غيرهم، ولذلك قال أصحابنا المعتزلة في كتبهم وتصانيفهم نحن الشيعة حقاً، فهذا القول هو الأقرب إلى السلامة، وأشبه بالحق من القولين المنقسمين طرفي الإفراط والتفريط إن شاء الله.[١]

وروى مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدي، عن أبي سيف قال: خطب مروان والحسن عليه السلام جالس، فنال من علي عليه السلام فقال الحسن: ويلك يا مروان هذا الذي تشتم شر الناس؟ قال: ولكنه خير الناس.[٢]

قال عمر: لو وزن أعمال علي عليه السلام بإيمان أهل الأرض لرجحهم.

وقال: قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي: قد روى محمد بن عبد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده، عن أبي رافع قال: أتيت أبا ذر بالربذة أودعه، فلما أردت الإنصراف قال لي ولأ ناس معي: ستكون فتنة فأتقوا الله، وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب، فأتبعوه، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنت أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وأنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخي ووزيري، وخير من أترك بعدي، تقضي ديني، وتنجز موعدي.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠/٢٢٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣/٢٢٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣/٢٢٨.

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع.[١]

وقال أيضاً: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي.[٢]

وأبان نفسه عنه بالنبوة، وأثبت له ماعداها من جميع الفضائل والخصايص مشتركاً بينهما غالباً.[٣]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٢/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٢/١٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٢/١٠.

الباب
الرابع والعشرون
في أن نفس أمير المؤمنين عليه السلام
كنفس رسول الله صلى الله عليه وآله وعديله

قال ابن أبي الحديد: اعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه، وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي آتاه الله تعالى إياها، واختصه بها وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة، لم يبلغوا الى معشار ما نطق به الرسول الصادق ﴿صلوات الله عليه﴾ في أمره، ولست أعني بذلك الأخبار العامة الشايعة التي يحتج بها الإمامية على إمامته، كخبر الغدير، والمنزلة، وقصة براءة، وخبر المناجاة، وقصة خيبر، وخبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة، ونحو ذلك، بل الأخبار الخاصة التي رواها أئمة الحديث التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره.[1]

وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه أئمة الحديث الذين لا يتهمون فيه، وجلهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فروايتهم فضايله يوجب سكون النفس ما توجبه روايه غيرهم، ثم ذكر أربعة وعشرين حديثاً، وقد ذكرتها في أبواب تليق بها منها:

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٦/٩.

الخبر الثاني: عن رسول الله ﷺ أنه قال لوفد ثقيف: لتسلمن أو لأبعثن إليكم رجلاً مني أو قال عديل نفسي عليه السلام، وليضربن أعناقكم، وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم، قال عمر: فما تمنيت الإمارة إلاّ يومئذ، وجعلت أنصب صدري رجاء أن يقول: هذا هذا، فألتفت فأخذ بيد علي، وقال: هو هذا، مرتين.[1]

رواه أحمد بن حنبل في المسند، ورواه في كتاب فضائل علي عليه السلام أنه قال: لتنتهن يا بني وليعه أو لابعثنّ إليكم رجلاً كنفسي يمضي فيكم أمري، يقتل المقاتلة، ويسبي الذرية، قال أبو ذر: فما راعني إلاّ برد كف عمر ﴿رضي الله عنه﴾ في حجري من خلفي يقول: من تراه يعني؟ فقلت: إنه لا يعنيك، وإنما يعني خاصف النعل بالبيت، وإنه قال: هو هذا.[2]

ثم قال عقيب الأخبار: وأعلم إنما ذكرنا هذه الأخبار هاهنا، لأن كثيراً من المنحرفين عنه إذا مروا على كلامه في نهج البلاغة وغيره، المتضمن التحدث بنعمة الله عليه من الإختصاص لرسول الله ﷺ، وتمييزه إياه عن غيره ينسبونه فيه إلى التيه، والزهو والفخر، ولقد سبقهم بذلك قوم من الصحابة، قيل لعمر ﴿رضي الله عنه﴾: ولي علياً أمر الجيش والحرب، فقال: هو أتيه من ذلك، وقال زيد بن ثابت: ما رأينا أزهى من علي وأسامة.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٧/٩.

[2] - فضائل الصحابة ٥٧١/٢.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٩.

فأردنا بإيراد هذه الأخبار هاهنا عند تفسير قوله نحن الشعار والأصحاب، ونحن الخزنة والأبواب، أن ننبه على عظيم منزلته عند الرسول صلى الله عليه وآله، وإن قيل في حقه ما قيل، لو رقى إلى السماء، وعرج الهواء، وفخر على الملائكة والأنبياء تعظماً، ونجحاً، لم يكن ملوماً، بل كان بذلك جديراً، فكيف وهو عليه السلام لم يسلك مسلك التعظم والتكبر في شيء من أقواله ولا من أفعاله، وكان ألطف البشر خلقاً، وأكرمهم طبعاً، وأشدهم تواضعاً، وأكثرهم احتمالاً، وأحسنهم بشراً حتى نسبه من نسبه إلى الدعابة والمزاح، وهما خلقان ينافيان التكبر والإستطالة، وإنما كان يذكر أحياناً ما يذكر من هذا النوع، نفثة مصدور، وشكوى مكروب، وتنفس مهموم، ولا يقصد به إذا ذكره إلاّ شكر النعمة، وتنبيه الغافل على ما خصّه الله به من الفضيلة، فإن ذلك من باب الأمر بالمعروف، والحض على اعتقاد الحق، والصواب في أمره، والنهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل، وقد نهى الله سبحانه عن ذلك فقال: **﴿أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع امن لا يهدي إلاّ ان يهدي فما لكم كيف تحكمون﴾**.[1]

[أقول:] هذه الآية التي ذكرها توجب تقديم علي عليه السلام على مَنْ تقدم عليه، وتوجب له الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وتوجب تقدمه على من تقدم

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٩، يونس/٣٥.

عليه، وذلك واضح بيّن **﴿ان في ذلك لذكري لمن كان لـه قلـب وألقـى السمع وهو شهيد﴾**.[١]

[قال:] إن رسول صلى الله عليه وآله لما قدمت كندة حجاجاً قبل الهجرة عرض رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه عليهم كما كان يعرض نفسه على أحياء العرب، فدفعه بنو وليعة من بني عمرو بن معاوية، ولم يقبلوه، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وتمهدت دعوته، وجاءته وفود العرب، جاء وفد كنده فيهم الأشعث، وبنو وليعة فأسلموا، فأطعم رسول الله صلى الله عليه وآله بني وليعة طعمة من صدقات حضرموت، وكان قد استعمل على حضرموت زياد بن لبيد البياضي الأنصاري، فدفعها زياد إليهم، فأبوا أخذها، وقالوا: لا ظهر لنا، فأبعث بها إلى بلادنا على ظهر من عندك، فأبى زياد، وحدث بينهم وبين زياد شيء كاد أن يكون حرباً، فرجع منهم قوم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وكتب زياد إليه عليه السلام يشكوهم، وفي هذه الواقعة كان الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لبني وليعة: لتنتهن يا بني وليعة أو لأبعثن إليكم رجلاً عديل نفسي، يقتل مقاتلكم، ويسبي ذراريكم، قال عمر بن الخطاب: فما تمنيت الإمارة إلاّ يومئذ، وجعلت أنصب له صدري رجاء أن يقول هو هذا، فأخذ بيد علي عليه السلام.[٢]

---

[١] - ق/٣٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٣/١.

ثم كتب لهم رسول ﷺ إلى زياد فوصلوا إليه بالكتاب، وقد توفى رسول الله ﷺ وطار الخبر بموته إلى قبائل العرب، فأرتدت بنو وليعة، وغنت بغاياهم، وخضبن له أيديهم.[١]

وقال محمد بن حبيب: كان اسلام بني وليعة ضعيفاً، وكان رسول الله ﷺ يعلم ذلك منهم.[٢]

قال: قلت: حدثني جعفر بن محمد المكي الحاجب رحمه الله قال: سألت محمد بن سليمان وكان حاجب الحجاب رحمه الله، وقد رأيت أنا محمد هذا، وكانت لي به معرفة غير مستحكمة، وكان ظريفاً أديباً، وقد اشتغل بالرياضات من الفلسفة، ولم يكن يتعصب لمذهب بعينه.[٣]

قال جعفر: سألته عما عنده في أمر علي وعثمان؟ فقال: هذه عداوة قديمة النسب بين بني عبد شمس، وبين بني هاشم، وقد كان حرب بن أمية نافر عبد المطلب بن هاشم، وكان أبو سفيان يحسد محمداً ﷺ، وساق حديثه، إلى أن قال فيما جاء عن النبي ﷺ في أمير المؤمنين عليه السلام مثل ذلك حديث خاصف النعل، ومنزلة هارون من موسى، ومن كنت مولاه، وهذا يعسوب الدين، ولا فتى إلاّ علي، وأحب خلقك إليك، وما جرى هذا المجرى.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٤/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٤/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٤/٩.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥/٩.

وقال: وروى ابن ديزيل في هذا الكتاب قال: حدثنا يحيى بن سلميان، قال: حدثنا يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي عتبة، عن أبيه، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، ومحمد بن فضل، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فأنقطع شسع نعله، فألقاها إلى علي عليه السلام يصلحها، ثم قال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، فقال عمر بن الخطاب: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه ذاكم خاصف النعل، وبيد علي نعل النبي صلى الله عليه وآله ليصلحها.[1]

قال أبو سعيد: فأتيت علياً فبشرته بذلك، فلم يحفل به، كأنه شيء قد كان علمه من قبل.

وقال: وقد روى كثير من المحدثين أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه يوماً: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله؟ فقال: لا، فقال عمر: أنا يا رسول الله، فقال: لا، بل هو خاصف النعل، وأشار الى علي عليه السلام.[2]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٦/٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/٢.

الباب
الخامس والعشرون
في أن أمير المؤمنين عليه السلام شقيق رسول الله
﴿صلى الله عليهما وآلهما﴾

قال ابن أبي الحديد في الأحاديث الأربعة والعشرين في مناقب علي وفضائله عن رسول الله المشار إليها في الباب السابق قال:

الخبر الرابع عشر: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزّ وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم قسم ذلك النور فيه، وجعله جزئين، فجزء أنا، وجزء علي.[1]

رواه أحمد بن حنبل في المسند، وفي كتاب فضائل علي عليه السلام،[2] وذكره صاحب كتاب الفردوس. ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب، فكان لي النبوة، وإلى علي الوصية.[3]

وروى عثمان بن سعيد، عن عبد الله بن بكير، عن حكيم بن جبير، قال علي عليه السلام: فقال في أثناء خطبته: أنا عبد الله، وأخو رسوله، لا يقولها أحد قبلي ولا بعدي إلاّ كذاب، ورثت نبي الرحمة، ونكحت سيدة نساء هذه الأمة، وأنا

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧١/٩.

[2] - فضائل الصحابة ٦٦٢/٢.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧١/٩.

خاتم الوصيين، فقال رجل من عبس: من لا يحسن أن يقول مثل هذا، فلم يرجع إلى أهله حتى جنّ وصرع، فسئلوهم هل رأيتم به عرضاً قبل هذا؟ قالوا: ما رأينا عليه قبل هذا عرضاً.[١]

وروى ابان بن عياش قال: سألت الحسن البصري عن علي عليه السلام فقال: ما أقول فيه، كانت له السابقة والفضل، والحكمة والفقه، والرأي والصحبة، والبلاء، والزهد، والقضاء، والقرابة، إن علياً كان في أمره علياً، رحم الله علياً، وصلى عليه، فقلت: يا أبا سعيد أتقول صلى الله عليه لغير النبي؟ فقال: ترحم على المسلمين إذا ذكروا، وصل على النبي وآله، وعلي خير آله.

فقلت: أهو خير من حمزة وجعفر؟ قال: نعم، قلت: وخير من فاطمة وابنيها؟ قال: نعم، إنه والله خير آل محمد كلهم، ومن يشك أنه خير منهم! وقد قال رسول صلى الله عليه وآله: وأبوهما خير منهما، ولم يجر عليه إسم شرك، ولا شرب خمر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: زوّجتك خير أمتي، فلو كان في أمته خير منه لأستثناه، ولقد آخى رسول صلى الله عليه وآله بين أصحابه، فآخى بين علي ونفسه، فرسول الله صلى الله عليه وآله خير الناس نفساً، وخيرهم أخاً.[٢]

فقلت: يا أبا سعيد، فما هذا الذي يقال عنك أنك قلته في علي؟ فقال: يا ابن أخي احقن دمي من هؤلاء الجبابرة، لولا ذلك لشالت بي الخشب.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٧/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٦/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٦/٤.

وقال: وروي عن النبي ﷺ: لما آخى بين الأتباع والأذناب، آخى بين علي بن أبي طالب، زوج فاطمة سيدة نساء العالمين وبين نفسه، وأسجل على أنه نظيره ومماثله.[١]

قال: وروى الطبري في تأريخه أيضاً قال: حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي، قال: حدثنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا العلا، عن المنهال بن عمر، عن عباد بن عبد الله، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أنا عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلاّ كذاب مفتر، صليت قبل الناس بسبع سنين.[٢]

وفي غير رواية الطبري أنا الصديق الأكبر، وأنا الفارق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، وصليت قبل صلاته بسبع سنين.[٣]

كأنه لم يرتض أن يذكر عمر رضي الله عنه، ولا رآه أهلاً للمقايسة بينه وبين ذلك، لأن إسلام عمر كان متأخراً.[٤]

روى في بيعة العشيرة وقد قال: قد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفتي، فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: أنا، وإني لأحدثهم سناً، وأرمضهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأخمشهم ساقاً[١] قال: قلت: أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه، فأعاد القول،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١٠٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٢٢٨.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٢٠٠.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٢٠٠.

فأمسكوا، وأعدت ما قلت، فأخذ برقبتي ثم قال لهم: هذا أخي ووصي، وخليفتي فيكم، فأسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيع.[١]

[وقال:] وروى عمرو القناد، عن محمد بن الفضيل، عن أشعب بن سوار قال: سبّ عدي بن أرطأة علياً عليه السلام على المنبر، فبكا الحسن البصري، وقال: لقد سبّ هذا اليوم رجل إنه لاخو رسول الله في الدنيا والآخرة.[٢]

وقال: وروى عبد السلام بن صالح، عن إسحاق الأزرق، عن جعفر بن محمد، عن ابآئه أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما زوج فاطمة دخل النساء عليها فقلن: يا بنت رسول الله خطبك فلان وفلان فردهم عنك، وزوّجك فقير لا مال له، فلما دخل عليها أبوها عليه السلام رأى ذلك في وجهها، فسألها فذكرت له ذلك.

فقال: يا فاطمة إن الله أمرني، فأنكحتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، وما زوّجتك إلاّ بأمر من السماء، أما علمت أنه أخي في الدنيا والآخرة.[٣]

وروي عن عثمان بن سعيد، عن الحكم بن ظهير، عن السدي: أن أبا بكر وعمر خطبا فاطمة فردهما رسول صلى الله عليه وآله وقال لهم: لم أؤمر بذلك، فخطبها

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١١/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢١/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٣.

علي عليه السلام فزوجه إياها، وقال لها: زوّجتك أقدم الأمة إسلاماً، وذكر تمام الحديث.[١]

قال: وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة منهم اسماء بنت عميس، وأم أيمن، وابن عباس، وجابر بن عبد الله.[٢]

قال: روى محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده أبي رافع قال: أتيت أبا ذر بالربذة أودعه، فلما أردت الإنصراف قال لي ولإناس معي: ستكون فتنة، فأتقوا الله، وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب، فأتبعوه، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له: أنت أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وأنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخي ووزيري، وخير من أترك بعدي، تقضي ديني، وتنجز موعدي.[٣]

قال: وقد روى ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن نمير، عن العلا بن صالح، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدي قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: أنا عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها غيري إلاّ كذاب، ولقد صليت قبل الناس سبع سنين.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٨/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٨/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٨/١٣.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٨/١٣.

[أقول:] وباب كون علي عليه السلام وزير رسول الله صلى الله عليه وآله متفرق في الأبواب السابقة.

الباب
السادس والعشرون
فيما نزل في علي عليه السلام في القرآن

قال ابن أبي الحديد: قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بعلي بن أبي طالب عليه السلام.[1]

وقال: وجدنا في السير والأخبار من اشفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وحذره عليه، ودعائه له بالحفظ والسلامة، قال صلى الله عليه وآله يوم الخندق وقد برز إلى عمرو، رفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه، اللهم إنك أخذت مني حمزة يوم أُحد، وعبيدة يوم بدر، فأخفظ اليوم عليّ علياً، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين.[2]

ولذلك ظنَّ به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً ويحجمون ويقدم علي، فسأل الإذن له في البراز حتى قال صلى الله عليه وآله إنه عمرو، فقال: وأنا علي، فأدناه وقبله، وعممه بعمامته، وخرج معه خطوات كالمودع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه، ثم لم يزل صلى الله عليه وآله رافعاً يديه إلى السماء مستقبلاً لها بوجهه، والمسلمون صموت حوله، كأنما على رؤوسهم الطير حتى ثارت الغبرة، وسمع التكبير من تحتها، فعلموا أن علياً قتل عمرواً، فكبر رسول

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٢٨٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٢٨٣.

الله صلى الله عليه وآله وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين.[١]

وكذلك قال حذيفة بن اليمان: لو قسمت فضيلة علي بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم، ثم ذكر عن ابن عباس الآية السابقة.[٢]

وقال: وقد سمي علياً عليه السلام الكتاب العزيز نفس رسول الله صلى الله عليه وآله **﴿ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾**.[٣]

وقال: قال عليه السلام: أنا حجيج المارقين، وخصيم المرتابين يوم القيامة.[٤]

وروى عنه عليه السلام أنه قال: أنا أول ما يجثوا إلى الحكومة بين يدي الله تعالى.[٥]

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله مثل ذلك مرفوعاً في قوله تعالى: **﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾**،[٦] وأنه صلى الله عليه وآله سئل عنها وقال: علي وحمزة وعبيدة، وعتبة وشيبة والوليد، وكانت حادثتهم أو حادثة وقعت فيها مبارزة أهل الإيمان وأهل الشرك، وكان المقتول الأول بالمبارزة الوليد بن عتبة، قتله

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٤/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٤/١٣.

[٣] - آل عمران/٦١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٦.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٦.

[٦] - الحج/١٩.

علي عليه السلام ضربه على رأسه، فبدرت عيناه على وجنتيه، فقال النبي صلى الله عليه وآله فيه وفي أصحابه ما قال.[١]

وكان علي عليه السلام يكثر من قوله أنا حجيج المارقين، ويشير إلى هذا المعنى، ثم أشار إلى ذلك بقوله على كتاب الله تعرض الأعمال يريد قوله تعالى: ﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾.[٢]

وقال: قال أبو الفرج: وحدثني إسحاق بن بنان الأنماطي، عن حبش بن ميسر، عن عبد الله بن موسى، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عتبة في علي بن أبي طالب: أنا أحد منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة، فقال له علي عليه السلام: اسكت يا فاسق، فنزل القرآن فيهما: ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون**﴾.[٣]

قال أبو الفرج: وحدثني أحمد بن عبد العزيز، عن عمر بن شبة، عن محمد بن حاتم، عن يونس بن عمر، عن شيبان، عن يونس، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا**﴾ قال: ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أن قوله عزّ وجلّ: ﴿**إن جاءكم فاسق**

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٠/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧١/٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٨/١٧، السجدة/١٨.

بنبأ﴾[١] نزلت في الوليد لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله مصدقاً، فكذب على بني المصطلق وقال: ارتدوا وأمتنعوا من أداء الصدقة.[٢]

وقال أبو عمر فيه: وفي علي ابن أبي طالب أنزل: ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون**﴾ في قصتها المشهورة.[٣]

وقال: قال شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله: من المعلوم الذي لا ريب فيه لإشتهار الخبر به، وإطباق الناس عليه، أن الوليد بن عقبة ابن أبي معيط كان يبغض علياً ويشقه، وأنه الذي لاحاه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ونابذه وقال له أنا اثبت منك جناناً، وأحد سناناً، فقال له علي عليه السلام: اسكت يا فاسق، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون**﴾، الآيات المتلوة، وسمي الوليد بحسب ذلك في حياة رسول الله الفاسق، فكان لا يعرف إلاّ بالوليد الفاسق، وهذه الآية من الآيات التي نزل فيها القرآن بموافقة علي عليه السلام.[٤]

وقد وروى الزبير من بكار في كتاب المفاخرات قال: اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، وقد كان بلغهم عن الحسن بن علي عليهما السلام

---

[١] - الحجرات/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٩/١٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٩/١٧.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٠/٤

قوارص، ويلقهم عنه مثل ذلك، فقالوا: يا أمير المؤمنين إن الحسن قد أحيا أباه وذكره، وقال فصدق، وأمر فأطيع، وخفقت النعال خلفه، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه، ولا زال يبلغنا عنه ما يسوءنا.

قال معاوية: فما تريدون؟ قالوا: أبعث إليه فليحضر لنسبّه ونسبّ أباه، ونعيره ونوبخه، ونخبره أن أباه قتل عثمان، ونقرره بذلك، ولا يستطيع أن يغير علينا شيئاً من ذلك، قال معاوية: إني لا أرى ذلك ولا أفعله، قالوا: عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعل، فقال: ويحكم لا تفعلوا، فوالله مارأيته قط جالساً عندي إلاّ خفت مقامه وعتبه لي، قالوا: ابعث إليه على حال، قال إن بعثت إليه لأنصفنه منكم، فقال عمرو بن العاص: أتخشى باطله على حقنا، أو يربي قوله على قولنا، قال معاوية: أما إني إن بعثت إليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله، قالوا أمره بذلك، قال: أما إذا عصيتموني، وبغيتم إليه وأبيتم إلاّ ذلك فلا تمرضوا له في القول، وأعلموا أنهم أهل بيت ليعتبهم العاتب، ولا يلصق بهم العار، ولكن اقذفوه بحجرة، فقولوا له إن أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء من قبله.

فبعث إليه معاوية، فجاء رسوله فقال: إن أمير المؤمنين يدعوك، قال: من عنده؟ فسماهم له، فقال الحسن عليه السلام: مالهم خرّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون، ثم قال: يا جارية ابغيني ثيابي، إني اعوذ بك من شرورهم، وأردد كيدهم في نحورهم، وأستعين بك عليهم، فأكفنيهم كيف شئت، وأنى شئت، بحول منك وقوة، يا أرحم الراحمين.

ثم قال: فدخل على معاوية فأعظمه وأكرمه، وأجلسه إلى جانبه، ثم ذكر الحديث وما جرى بين الحسن عليه السلام وبين القوم الفاسقين، وما قالوا له، وما ورد عليهم، إلى أن قال: وأما أنت يا وليد، فوالله ما ألومك على بغض علي، وقد جلدك ثمانين في الخمر، فقتل أباك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله صبراً، وأنت الذي سمّاه الفاسق، وسمى علياً المؤمن، حيث تفاخرتما، فقلت له: اسكت يا علي، فأنا أشجع منك جناناً، وأطول منك لساناً، فقال لك علي: أسكت يا وليد، فأنا مؤمن، وأنت فاسق، فانزل الله تعالى موافقة قوله: ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون**﴾، ثم إنه أنزل فيك على موافقة قوله أيضاً ﴿**ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**﴾، ويحك وليد مهما نسيت فلا تنسى قول الشاعر فيك وفيه، شعر:

أنزل الله والكتاب عزيز	في علي وفي الوليد قرآنا
فتبوا الوليد اذ ذاك فسقاً	وعلي مبؤاً إيمانا
ليس من كان مؤمناً عمرك الله	كمن كان فاسقاً خوانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل	وعلي إلى الحساب عيانا
فعلي يجزى بذاك جناناً	ووليد يجزى بذاك هوانا
رب جد لعقبة بن ابان	لابس في بلادنا تبانا

وما أنت وقريش، إنما أنت ابن علج من أهل صفورية، وأقسم بالله لأنت أكبر في البلاد والسن ممن تدعى اليه.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٥/٦.

وقال: روي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لما قرأ: ﴿**وتعيها أُذن واعية**﴾،[١] قال: اللهم اجعلها اذن علي، فقيل له: قد أجيبت دعوتك.[٢]

وقال: وروى محمد بن إسماعيل بن عمر البجلي، قال: أخبرنا عمر بن موسى الوجيهي، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على المنبر: ما أحد جرت عليه المواسي إلاّ وقد أنزل الله فيه قرآناً، فقام إليه رجل من مبغضيه فقال له: فما أنزل الله تعالى فيك؟ فقام الناس إليه يضربونه، فقال: دعوه، أتقرأ سورة هود؟ قال: نعم، قال فقرأ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**أفمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه**﴾، ثم قال: الذي كان على بيّنة من ربه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، والشاهد الذي يتلوه أنا.[٣]

وقال: قيل لشيخنا أبي عبد الله رَحِمَهُ اللهُ: أتجد في النصوص ما يدل على تفضيل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بمعنى كثرة الثواب، لا بمعنى كثرة مناقبه، فإن ذلك أمر مفروغ منه، فذكر حديث الطائر المشوي، وأن المحبة من الله تعالى إرادة الثواب.[٤]

فقيل له: قد سبقك الشيخ أبو علي رَحِمَهُ اللهُ إلى هذا، فهل تجد غير ذلك؟ قال: إن كان أصل المحبة نعم، قوله تعالى: ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون**

---

[١] - الحاقة/١٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٥/١٨.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٧/٢.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٤/٣.

في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾[١] فإذا كان أصل المحبة لمن ثبت كثبوت البنيان المرصوص، وكل من زاد ثباته زادت المحبة له، ومعلوم أن علياً عليه السلام ما فرّ في زحف قط، وفر غيره في غير موطن.[٢]

وقال: قال نصر: وحدثنا يحيى بن علي، عن الاصبغ بن نباتة، قال: جاء رجل إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوة واحدة، والرسول واحد، والصلاة واحدة، والحج واحد، فماذا نسميهم؟ فقال: بما سماهم الله في كتابه، قال: ما كل ما في الكتاب أعلمه! قال: أما سمعت الله تعالى يقول: **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلمّ الله﴾**، إلى قوله: **﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾**،[٣] فلما وقع الاختلاف كنا نحن أولى بالله، وبالكتاب، وبالنبي، وبالحق، فنحن الذين آمنوا، وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم، فقاتلناهم بمشيئة الله وإرادته.[٤]

قال: وروى صاحب كتاب الغارات، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول على المنبر: ما جرت أحد عليه المواسي إلاّ وقد أنزل الله تعالى فيه قرآناً، فقام إليه رجل فقال: يا أمير

---

[١] - الصف/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣/٢٦٤.

[٣] - البقرة/٢٥٣.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٢٥٨.

المؤمنين، فما أنزل الله فيك؟ قال: يريد تكذيبه، فقام الناس إليه يلكزونه في صدره وجنبه، فقال: دعوه، أقرأت سورة هود؟ قال: نعم، قال: أقرأت قوله سبحانه: ﴿**أفمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه**﴾،[١] قال: نعم، قال: صاحب البينة محمد ﷺ، والتالي الشاهد أنا.[٢]

وقال: قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي في الرد على الجاحظ: وأنتم أيضاً رويتم أن الله تعالى لما انزل آية النجوى فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم**﴾.[٣]

قال: ولم يعمل بها إلاّ علي بن أبي طالب وحده مع إقراركم بفقره وقلة ذات يده، وأبو بكر في الحال التي ذكرنا من السعة أمسك عن مناجاته، فعاب الله المؤمنين في ذلك، فقال: ﴿**ءأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم**﴾،[٤] فجعله الله سبحانه ذنباً عليهم منه، وهو إمساكهم عن تقديم الصدقة، فكيف سخت نفسه بإنفاق أربعين ألفاً، وأمسك عن مناجاة الرسول، وإنما كان يحتاج فيها إلى إخراج درهمين.[٥]

---

[١] - هود/١٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٦/٦.

[٣] - المجادلة/١٢.

[٤] - المجادلة/١٣.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٤/١٣.

وعلي هو الذي أطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وأنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورة كاملة من القرآن.[١]

وهو الذي ملك أربعة دراهم، فأخرج منها درهماً سراً، ودرهماً علانية، ثم أخرج منها في النهار درهماً سراً، ودرهماً علانية، فأنزل فيه قوله تعالى: ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية**﴾.[٢]

وهو الذي قدم بين يدي نجواه صدقة دون المسلمين كافة.[٣]

وهو الذي تصدق بخاتمه وهو راكع، فأنزل الله فيه ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٦/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٦/١٣، البقرة/٢٤٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٦/١٣.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٧/١٣، المائدة/٥٥.

الباب
السابع والعشرون
فيما ذكره رسول الله من فضل أمير المؤمنين
علي عليه السلام

قال ابن أبي الحديد: روى الزمخشري في ربيع الأبرار ومذهبه في الإعتزال ونصرة أصحابنا معلوم، قال: وكذلك في إنحرافه عن الشيعة وتسخيفه لمقالاتهم: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما أسري بي أخذ جبرئيل بيدي فأقعدني على درنوك من درانيك الجنّة، ثم ناولني سفرجلة، فبينا أنا أقلبها انفلقت فخرجت منها جارية، لم أرَ أحسن منها، فسلمت، فقلت: من أنت؟ قالت: أنا الراضية المرضية، خلقني الجبار من ثلاثة أصناف، أعلاي من عنبر، وأوسطي من كافور، وأسفلي من مسك، ثم عجنني بماء الحيوان، وقال لي: كوني فكنت، خلقني لأخيك وابن عمك علي بن أبي طالب.[1]

قلت: الدرنوك ضرب من البسط دوخل ويشبه به فورة البعير، قال الراجز:

جعد الدرانيك رفل الاجلاد[2]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٠/٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد٢٨١/٩.

قال: وفي الأخبار المجموعة التي ذكرها الأربعة والعشرين التي رواها في فضل علي عليه السلام ومناقبه عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

الخبر الرابع: من أراد أن ينظر إلى نوح في حزمه، وإلى آدم في علمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في فطنته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.[1]

رواه أحمد بن حنبل في المسند، ورواه أحمد البيهقي في صحيحه.

الخبر السادس: والذي نفسي بيده، لولا أن تقول طوايف من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت فيك مقالاً لا تمر بملأ من المسلمين إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة.[2]

ذكره أبو عبد الله أحمد بن حنبل في المسند.

الخبر الثامن: رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في الكتابين المذكورين: أنا أول من يدعى به يوم القيامة، فأقوم عن يمين العرش في ظله، ثم أكسى حلة، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض، فيقفون عن يمين العرش، ويكسون حللاً، ثم يدعى بعلي بن أبي طالب لقرابته مني، ومنزلته عندي، ثم يدفع إليه لوائي لواء الحمد، آدم ومن دونه تحت ذلك اللواء، ثم قال لعلي: فتسير به حتى تقف بيني وبين إبراهيم الخليل، ثم يكسى حلة،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٨/٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٨/٦.

وينادي مناد من العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك نوح، ابشر فإنك تدعى إذا دعيت، وتكسى إذا كسيت، وتحيى إذا حييت.[١]

الخبر العاشر: ادعوا لي سيد العرب علياً، فقالت عايشة: ألست سيّد العرب؟ فقال: أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب، فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا علي فأحبوه بحبي، وأكرموه بكرامتي، ثم قال: جبرائيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عزّ وجلّ.[٢] رواه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء.[٣]

الخبر الخامس عشر: النظر إلى وجهك يا علي عبادة، أنت سيد في الدنيا، سيد في الآخرة، من أحبك أحبني، وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، الويل لم أبغضك.[٤]

رواه أحمد في المسند، قال: وكان ابن عباس يفسره فيقول: إن من ينظر إليه يقول سبحان الله، ما أعلم هذا الفتى، سبحان الله ما أشجع هذا الفتى، سبحان الله ما أفصح هذا الفتى.

الحديث السادس عشر: لما كان ليلة بدر قال رسول الله صلى الله عليه وآله من يستقي لي ماء فأحجم الناس، فقام علي فأحتضن قربة، فلما أتى بئراً بعيدة

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٩/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[٣] - حلية الأولياء ٦٣/١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧١/٩.

القعر مظلمة، فأنحدر فيها، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن تأهبوا لنصر محمد وأخيه وحزبه، فهبطوا من السماء لهم لغطة تذهل من يسمعه، وحادوا إليه سلموا عليه من عند آخرهم إكراماً له وإجلالاً.[١]

رواه أحمد ﴿رضي الله عنه﴾ في كتاب فضائل علي، وزاد فيه في طريق آخر عن أنس ابن مالك: لتؤتين يا علي يوم القيامة بناقة من نوق الجنة فتركبها، وركبتك مع ركبتي، وفخذك مع فخذي حتى تدخل الجنة.[٢]

الحديث السابع عشر: خطب ﷺ الناس يوم الجمعة فقال: أيها الناس قدموا قريشاً ولا تقدموها، وتعلموا منها ولا تعلموها، قوة رجل من قريش تعدل قوة رجلين من غيرهم، وأمانة رجل من قريش تعدل أمانة رجلين من غيرهم.

أيها الناس أوصيكم بحب ذي قرباها، أخي وابن عمي علي بن أبي طالب، لا يحبه إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ منافق، من أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني عذبه الله بالنار.[٣]

رواه أحمد ﴿رضي الله عنه﴾ في كتاب فضائل علي عليه السلام.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٢/٩.

[٢] - فضائل الصحابة ٦١٢/٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٢/٩.

[٤] - فضائل الصحابة ٦٢٢/٢.

الحديث الثامن عشر: الصديقون ثلاثة، حبيب بن النجار الذي ﴿**جاء من أقصى المدينة يسعى**﴾، ومؤمن آل فرعون ﴿**الذي يكتم إيمانه**﴾، وعلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم.[١]

رواه أحمد في كتاب فضائل علي عليه السلام.[٢]

الخبر التاسع عشر: أعطيت في علي خمساً هنّ أحب اليّ من الدنيا وما فيها، أما واحدة فهو بمكاني بين يدي الله عزّ وجل حتى يفرغ من حساب الخلائق، وأما الثانية فلواء الحمد بيده، آدم ومن ولد تحته، وأما الثالثة فواقف على عقر حوضي يسقي من عرف من أمتي، وأما الرابعة فساتر عورتي، ومسلمي إلى ربي، وأما الخامسة فإني لست أخشى عليه أن يعود كافراً بعد إيمان، ولا زانياً بعد إحصان.[٣]

رواه أحمد بن حنبل في كتاب الفضائل.[٤]

الخبر العشرون: كانت لجماعة من الصحابة أبواب شارعة في مسجد الرسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام يوماً: سدوا كل باب في المسجد إلاّ باب علي، فسدت، فقال في ذلك قومه حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقام فيهم فقال: إن قوماً قالوا في سد الأبواب، وتركي باب علي، إني ما سددت ولا فتحت،

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٢/٩.

[٢] ـ فضائل الصحابة ٦٢٧/٢.

[٣] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٢/٩.

[٤] ـ فضائل الصحابة ٦٦١/٢.

ولكني أمرت بأمر فاتبعته.[١] رواه أحمد في المسند مراراً،[٢] وفي كتاب الفضائل.[٣]

الخبر الحادي والعشرون: دعا رسول الله ﷺ علياً في غزاة الطايف فأنتجاه، وأطال نجواه حتى كره قوم من الصحابة ذلك، فقال قائل منهم: لقد طال اليوم نجوى ابن عمه، فبلغه ﷺ ذلك فجمع منهم قوماً ثم قال: إن قائلاً قال لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه، أما إني ما انتجيته ولكن الله انتجاه.[٤] رواه أحمد في المسند.

الخبر الثاني والعشرون: أخصمك يا علي بالنبوة، فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع، لا يحاجك فيها أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسويّة، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزية.[٥] رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء.[٦]

الخبر الثالث والعشرون: قالت: إنك زوجتني فقيراً لا مال له، فقال: زوجتك أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً، ألا تعلمين أن الله أطلع

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٣/٩.

[٢] - مسند أحمد ٣٦٩/٤.

[٣] - فضائل الصحابة ٥٨١/٢.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٣/٩.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٣/٩.

[٦] - حلية الأولياء ٦٦/١.

إلى الأرض اطلاعة فأختار منها أباك، ثم اطلع إليها ثانية فأختار منها بعلك.[١] رواه أحمد في المسند.[٢]

الخبر الرابع والعشرون: لما أنزل ﴿**اذا جاء نصر الله والفتح**﴾ بعد إنصرافه ﷺ من غزاة حنين، جعل يكثر من سبحان الله، استغفر الله، ثم قال: يا علي إنه قد جاء الفتح، ودخلوا في دين الله أفواجاً، وإنه ليس أحداً أحق منك بمقامي، لقدمك في الإسلام، وقربك مني، وصهرك، وعندك سيدة نساء العالمين، وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن، فأنا حريص على أن أراعي ذلك لولده.[٣] رواه أبو إسحاق الثعلبي في تفسير القرآن.[٤]

وقال: قال ؑ: نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلاّ من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً.[٥]

قال في الشرح: قال يعني أمير المؤمنين ؑ نحن الشعار والأصحاب يشير إلى نفسه، هو أبداً يأتي بلفظ الجمع، ومراده الواحد، والشعار ما يلي الجسد من الثياب، فهو أقرب من سائرها إليه، ومراده الإختصاص برسول الله

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٩.

[٢] - مسند أحمد ٢٦/٥.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٩.

[٤] - تفسير الثعلبي

[٥] - نهج البلاغة ٤٣/٢.

صلى الله عليه وآله، والخزنة يمكن أن يعني به خزنة العلم، وأبواب العلم، لقول الرسول صلى الله عليه وآله أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب، وقوله فيه: خازن علمي، وقال تارة: عيبة علمي، ويمكن أن يريد به خزنة الجنة، وأبواب الجنة، لا يدخل الجنة إلاّ من كان وفى بولايتنا، وقد جاء في حقه الخبر الشايع المستفيض أنه قسيم النار والجنة.[١]

وذكر أبوعبيدة الهروي في الجمع بين الغريبين أن قوماً من أئمة العربية فسروه فقالوا: لأنه لما كان محبه من أهل الجنة، ومبغضه من أهل النار، كان بهذا الإعتبار قسيم النار والجنة.[٢]

قال أبو عبيدة: وقال غير هؤلاء، بل قسيمها بنفسه في الحقيقة، يدخل قوماً إلى الجنة، وقوماً إلى النار، وهذا الذي ذكره أبو عبيدة خبراً هو يطابق الأخبار الواردة فيه، يقول للنار هذا لي فدعيه، وهذا لك فخذيه، ثم إن هذه البيوت لا تؤتى إلاّ من أبوابها، قال الله تعالى: ﴿**ولا تؤتوا البيوت من ظهورها وأتوا البيوت من أبوابها**﴾،[٣] ثم قال: من أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً، وهذا حق ظاهراً وباطناً، أما الظاهر فلأن من يتسوّر البيوت من غير أبوابها هو السارق، وأما الباطن فإن من طلب العلم من غير استاذ محقق فلم يأته من بابه، فهو أشبه شيء بالسارق.[٤]

---

[١] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٥/٩.

[٢] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٥/٩.

[٣] – البقرة/١٧٧.

[٤] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٥/٩.

وأعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه وبالغ تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي آتاه الله تعالى إياها واختصه بها، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة، لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق ﴿صلوات الله عليه﴾ في أمره، ولست أعني بذلك الأخبار العامة الشايعة التي يحتج بها الإمامية على إمامته، كخبر الغدير، والمنزلة، وقصة براءة، وخبر المناجاة، وقصة خيبر، وخبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة ونحو ذلك، بل الأخبار الخاصة التي رواها أئمة الحديث التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره.

وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه أئمة الحديث الذين لا يتهمون فيه، وجلهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فروايتهم فضايله يوجب سكون النفس ما توجبه روايه غيرهم، ثم ذكر أربعة وعشرين خبراً في فضائله ومناقبه بالروايات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله، ذكرناها في هذا الكتاب، وباقي الأخبار ذكرناها في أبواب في هذا الكتاب في مواضع تليق بها.[1]

وقال: قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال له لعلي عليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين، والقاسطين، والمارقين، فكان الناكثون أصحاب الجمل، لأنهم نكثوا بيعته عليه السلام، وكان القاسطون أهل الشام بصفين، وكان المارقون خوارج النهروان، وفي الفرق الثلاث قال الله تعالى: **﴿من نكث فإنما ينكث على نفسه﴾**.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٦/٩.

[2] - الفتح/١٠.

وقال: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾،[1] وقال ﷺ: يخرج من ضئضيء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر أحدكم في النصل فلا يجد شيئاً، فينظر في الفرق، فلا يجد شيئاً سوى الفرث والدم.

وهذا الخبر من أعلام نبوته ﷺ، ومن أخباره المفصلة بالغيوب.[2]

وقال: قال أبو عمرو من حديث انس عن النبي ﷺ اشتاقت الجنّة الى أربعة، علي، وعمار، وسلمان، وبلال.[3]

قال: وروى أن النبي ﷺ لما بعثه عليه السلام إلى اليمن قاضياً ضرب على صدره وقال: اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه، وكان يقول: ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين.[4]

قال: وروى أن رسول الله ﷺ لما قرأ: ﴿وتعيها أُذنٌ واعية﴾[5] قال: اللهم اجعلها أذن علي، فقيل له: قد أجيبت دعوتك.[6]

وقال: قال ابن ديزيل، عن يحيى بن سليمان، عن ابن فضيل، عن إبراهيم الهجري، عن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق

---

[1] - الجن/١٥.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٣/١٣.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٤/١٠.

[4] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٥/١٨.

[5] - الحاقة/١٢.

[6] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٥/١٨.

فاهدت له الأزد جزراً، فبعثوا بها معي، فدخلت إليه فسلمت عليه، وقلت له: يا أبا أيوب قد كرمك الله بصحبة نبيه ونزوله، فما لي أراك تستقبل الناس بسيفك تقاتلهم هؤلاء مرة، وهؤلاء مرة، فقال: إن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عهد إلينا أن نقاتل مع علي عليه السلام الناكثين، فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين، فهذا وجهنا إليهم، يعني معاوية وأصحابه، وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين، ولم أرهم بعد.[1]

قال: وروى يونس بن حباب، عن انس بن مالك، قال: كنا مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وعلي بن أبي طالب معنا، فمررنا بحديقة، فقال علي: يا رسول الله ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة! فقال: إن حديقتك في الجّة أحسن منها حتى مررنا بسبع حدايق، يقول علي ما قال، ويجيبه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بما أجابه، ثم إن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقف فوقفنا، فوضع رأسه على رأس علي وبكى، فقال علي: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: ضغاين في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني، قال: يا رسول الله، أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم؟ قال: بل تصبر، قال: فإن صبرت؟ قال تلاقي جهداً، قال: أفي سلامة من ديني؟ قال: نعم، قال: إذاً فلا أبالي.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٧/٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٧/٤.

الباب
الثامن والعشرون
في معجزاته عليه السلام في علم الغيب
وإخباره عليه السلام بما يكون

قال ابن أبي الحديد: ومن كلام علي عليه السلام قال لمروان ابن الحكم بالبصرة قبل أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام فكلّما فيه فخلى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين! قال: أولم يبايعني بعد قتل عثمان، لا حاجة لي في بيعته، إنها كف يهودية، لو بايعني بيده، لغدر بسبابته، أما إنه له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر.[1]

ورد هذا الخبر من طرق كثيرة، ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب نهج البلاغة، وهي قوله عليه السلام في مروان، إنه يحمل راية ضلالة بعدما شيب صدغاه، وإن له إمرة، الى آخر الكلام.[2]

وقال: ومن خطبة له عليه السلام: أيها الغافلون غير المغفول عنهم، والتاركون المأخوذ منهم، ما لي أراكم عن الله ذاهبين، وإلى غيره راغبين، كأنكم نعم أراح بها سائم إلى مرعى وبي، ومشرب دوي، إنما

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٦/٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٦/٦.

هي كالمعلوفة للمدى، لا تعرف ماذا يراد بها، إن أُحسن إليها تحسب يومها دهرها، وشبعها أمرها، والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله ﷺ، ألا وإني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه، والذي بعثه بالحق، وأصطفاه على الخلق، ما أنطق إلاّ صادقاً، وقد عهد إليّ بذلك كله، وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمر على رأسي إلاّ أفرغه في أذني، وأفضى به إليّ.

أيها الناس إني والله ما أحثكم على طاعة إلاّ وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلاّ وأتناهى قبلكم عنها.[1]

قال في الشرح: أقسم أنه لو شاء أن يخبر كل واحد منهم من أين خرج، وكيفية خروجه من منزله، وأين يلج، وكيفية ولوجه، وجميع شأنه من مطعمه ومشربه، وما غرم عليه من أفعاله، وما أكله وما أدخره في بيته، وغير ذلك من شؤونه وأحواله لفعل، وكذا قول المسيح عليه السلام: ﴿وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾.[2]

قال: ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله ﷺ إني أخاف عليكم الغلو في أمري، وأن تفضلوني على رسول الله ﷺ، بل أخاف عليكم أن

---

[1] - نهج البلاغة ٨٩/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠/١٠، آل عمران/٤٩.

تدعوني بالإلهية كما أدعت النصارى ذلك في المسيح، لما أخبرهم بالأمور الغايبة.[1]

ثم قال: ألا إني مفضيه إلى الخاصة اليّ، مفض به، مودع إياه خواص أصحابي وثقاتي الذين آمن منهم الغلو، وأعلم أنهم لا يكفرون فيّ برسول الله، لعلمهم أن ذلك من أعلام نبوته ﷺ إنه يكون شايع من أتباعه، وصاحب من أصحابه، بلغ إلى هذا المنزلة الجليلة، ثم أقسم قسماً ثانياً إنه ما ينطق إلاّ صادقاً، قال رسول الله ﷺ عهد بذلك كله إليه، وأخبره بمهلك من هلك من الصحابة وغيرهم من الناس، وبنجاة من ينجو، وبمآل هذا الأمر يعني ما يفضي إليه أمر الإسلام، وأمر الدولة والخلافة، وإنه ما يركب شيئاً يمر على رأسه إلاّ وأخبره به، وسره إليه، مع أنه عليه السلام قد تكتم ما علمه حذراً من أن يكفروا فيه رسول الله ﷺ، فقد كفر كثير منهم، وأدعوا فيه أنه كان الرسول، ولكن الملك غلط فيه، وأدعوا فيه أنه شريك الرسول ﷺ في الرسالة، وأدعوا فيه أنه هو الذي بعث محمداً ﷺ إلى الناس، واأدعوا فيه الحلول، وأدعوا فيه الإتحاد، ولم يتركوا نوعاً من أنواع الضلال فيه إلاّ قالوه وأعتقدوه، وقال شاعرهم فيه من أبيات:

ومن أهلك عاداً وثموداً من دواهيه

ومن كلم موسى فوق طور إذ يناديه

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/١٠.

ومـن قـال عـلـى المنبر وهـو راقيه
سألوني أرى الناس فحاروا في معانيه

وقال بعض شعرائهم:

إنما خالق الخلائق من زعزع أركان حـصـن خيبر جدبا
ورضينا به إمـامـاً ومـولـى وسـجدنـا لـه إلـهـاً وربـا

وقد ذكرنا فيما تقدم من إخباره عليه السلام عن الغيوب طرفاً صالحاً، ومن عجيب ما وقفت عليه من ذلك قوله في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم، وهو يشير إلى القرامطة: ينتحلون لنا الحب والهوى، ويضمرون لنا البغض والقلى، وآية ذلك قتلهم ورائنا، وهجرهم أجدائنا، صح ما أخبر به عليه السلام، لأن القرامطة من آل أبي طالب عليهم السلام خلقاً كثيراً، وأسمائهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني.[1]

ومرّ أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي في جيشه بالغري والحاير، فلم يعرج على واحد منها، ولا دخل ولا وقف، ومن هذا الخطبة وهو يشير إلى السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة، كأني بالحجر الأسود منصوباً هاهنا، ويحهم إن فضيلته ليست من نفسه، بل في موضعه، وما لله يمكث هاهنا برحمة، ثم ههنا، وأشار الى البحرين، ثم يعود إلى مأواه ومثواه، ووقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به عليه السلام.[2]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/١٠، مقاتل الطالبين/٤٥٠.
[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤/١٠.

وقد وقفت على خطب مختلفة فيها ذكر الملاحم، فوجدتها تشتمل على ما يجوز أن ينسب إليه، ووجدت في كثير منها اختلافاً ظاهراً، وهذه المواضع التي نقلها ليست من تلك الخطب، بل من كلام له وجدته متفرقاً في كتب مختلفة، ومن ذلك أن تميم بن اسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترضه وهو يخطب على المنبر وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألون عن فئة تضلماية، وتهدي ماية، إلاّ أنبئتكم بناعقها وسايقها، ولو شيت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله، وجميع شأنه، فقال له: فكم في رأسي طاقة شعر؟ فقال له: أما والله إني لأعلم عدد ذلك، ولكن أين برهانه لو أخبرتك به، ولقد أخبرت بقيامك وبقايك، وقيل لي أن على كل شعرة من رأسك ملكاً يلعنك، وشيطاناً يستفزك، وآية ذلك أن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله، ويحض على قتله، فكان الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام، كان ابنه حُصين -بالصاد المهملة- يومئذ طفلاً صغيراً يرضع اللبن، ثم عاش إلى أن صار على شرطة عبيد الله بن زياد، وأخرجه عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين، ويتوعده على لسانه إن ارجأ ذلك، وقتل عليه السلام صبيحة اليوم الذي ورد الحصين بالرسالة في ليلته.[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠/١٤.

ومن ذلك قوله عليه السلام للبراء ابن عازب: يا براء يقتل الحسين وأنت حي فلا تنصره، فقال البراء: لا كان ذلك يا أمير المؤمنين، فلما قتل الحسين عليه السلام يذكر كان البراء ذلك ويقول: أعظم به حسرة إذ لم أشهده وأقتل دونه.[١]

قال: وقال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له إن القوم عبروا جسر النهروان، فقال: مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة.[٢]

قال: قال الرضي رحمه الله: يعني النطفة ماء النهر، وهي أفصح كناية عن الماء، وإن كان كثيراً جماً.[٣]

قال في الشرح: هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة لإشتهاره، ونقل الناس كافة له، وهو من معجزاته عليه السلام وأخباره المفصلة عن الغيوب، والأخبار عن الغيوب على قسمين:

أحدها: الأخبار المجملة، والإعجاز فيها نحو أن يقول لأصحابه إنكم ستنصرون على هذه الفئة التي تلقونها غداً، فإن نصر جعل ذلك حجة له عند أصحابه، وسماها معجزة، وإن لم ينتصر قال لهم: تغيرت نياتكم وشككتم في قولي، فمنعكم الله نصره، ونحو ذلك من القول، ولأنه قد جرت العادة أن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥/١٠.

[٢] - نهج البلاغة ١٠٧/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣/٥.

الملوك والرؤساء يعدون أصحابهم الظفر، ويمنونهم الدول، لا يدل وقوع ما وقع من ذلك على إخباره عن غيب يتضمن إعجاز.[١]

والقسم الثاني: الأخبار المفصلة عن الغيوب مثل هذا الخبر، فإنه لا يحتمل التلبس، تقييده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب من غير زيادة ولا نقصان، وذلك أمر إلهي عرفه عليه السلام من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة الله سبحانه، والقوة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا، ولقد كان له عليه السلام من هذا الباب ما لم يكن لغيره، وبمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته وأحواله منافية لقوى البشر غلا فيه من غلا حتى نسب إلى الجوهر الإلهي حل في بدنه، كما قالت النصارى في المسيح عليه السلام، وقد أخبره النبي صلى الله عليه وآله بذلك فقال له: يهلك فيك رجلان، محب غال، ومبغض قال، وما قال له تارة أخرى: والذي نفسي بيده لولا أن تقول طوائف من أمتي فيك ما قالت النصاري في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمر بملأ من الناس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة، وأول من جهر بالغلو في أيامه عليه السلام عبد الله بن سبأ، قام إليه وهو يخطب فقال له: أنت أنت، وجعل يكررها، فقال له: ويلك ومن أنا؟ قال: أنت الله، فأمر فأخذه، وأخذ قوم كانوا معه على رأيه.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣/٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣/٥.

وروى أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمار الثقفي، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن أبيه، وعن أبيه، وعن غيره، وعن مشيخته، أن علياً عليه السلام قال يهلك فيّ رجلان، محب مضجعني غير موضعي، ويمدحني بما ليس فيّ، ومبغض مفتر يرميني بما أنا منه بريء.[1]

قال أبو العباس: وهذا تأويل الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله، وهو قوله: إن فيك مثلاً من عيسى ابن مريم، أحبته النصارى فرفعته فوق قدره، وأبغضته اليهود حتى بهتت أمه.[2]

قال أبو العباس: وقد كان علي عليه السلام عثر على قوم خرجوا من محبته بإستحواذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا بربهم، وجحدوا ما جاء به نبيهم، وأتخذوه ربّاً وإلهاً، وقالوا أنت خالقنا ورازقنا، فأستتابهم وأستنابهم، وتوعدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر حفراً دخن عليهم فيها طمعاً في رجوعهم،فأبوا فحرقهم بالنار، وقال شعراً:

ألا تروني قد حفرت حفراً ... إني إذا رأيت أمراً منكراً

أوقدت ناري ودعوت قنبرا[3]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥/٥.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥/٥.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥/٥.

وروى أصحابنا في كتب المقالات أنه لما حرقهم بالنار صاحوا إليه الآن ظهر بيّناً أنك أنت الإله، لأن ابن عمك الذي أرسلته قال: لا يعذب بالنار إلاّ رب النار.[1]

وروى العباس، عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي، وعن علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، وعن مشيخته أن علياً عليه السلام مر عليهم وهم يأكلون في شهر رمضان نهاراً، فقال: أسفر أم مرضى؟ قالوا: ولا واحدة، قال: أفمن أهل الكتاب أنتم؟ قالوا: لا، قال: فما بال الأكل في شهر رمضان نهاراً، فقالوا: أنت أنت لم يزيدوه على ذلك، ففهم مرادهم، فنزل عن فرسه فألصق خده بالتراب، ثم قال: ويلكم إنما أنا عبد من عبيد الله، فأتقوا الله وأرجعوا إلى الإسلام، فأبوا، فدعاهم مراراً، فأقاموا على أمرهم، فنهض عنهم ثم قال: شدوهم وثاقاً، وعليّ بالفعلة، والحطب والنار، ثم أمر بحفرتين فحفرتا أحدهما سرباً والأخرى مكشوفة، وألقى الحطب في المكشوفة، وفتح بينهما فخاً، وألقى النار في الحطب، فدخن عليهم، وجعل يهتف بهم ويناشدهم، ارجعوا إلى الإسلام، فأبوا، فأمر بالحطب والنار، فألقى عليهم فأحترقوا فقال الشاعر:

لترم بي المنية حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين
إذا ما خشنا حطب بنار فذاك الموت نقداً غير دين

قال: فلم يبرح عليه السلام واقفاً عليهم حتى صاروا حمماً.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥/٥.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٥.

قال أبو العباس: ثم إن جماعة من أصحاب علي عليه السلام منهم عبد الله بن عباس شفعوا في عبد الله بن سبأ خاصة، وقالوا له: يا أمير المؤمنين إنه قد تاب فأعف عنه، فأطلقه بعد أن اشترط عليهم أن لا يقيم بالكوفة.[١]

وقال ابن ادهب: قال المدايني: فنفاه إلى المداين، فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أظهر مقالته، وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه، وقال: لما بلغه قتل علي عليه السلام والله لو جيتمونا بدماغه في سبعين صبرة، لعلمنا أنه لم يمت، ولا يموت حتى يسوق العرب بعصا.

فلما بلغ ابن عباس ذلك قال: لو علمنا أنه يرجع لما زوجناه نساء، ولقسمنا ميراثه.[٢]

قال أصحاب المقالات إلى عبد الله بن سبأ بالمداين جماعة على هذا القول منهم عبد الله بن صبرة الهمداني، وعبد الله بن عمرو بن حرب الكندي في آخرين غيرهما، وتفاقم أمرهم، وشاع بين الناس قولهم، وصار لهم دعوة يدعون إليها، وشبهة يرجعون إليها وهي ما ظهر وشاع بين الناس من إخباره عليه السلام بالمغيبات حالاً بعد حال، وظنهم أن ذلك لا يمكن أن يكون إلاّ الله سبحانه أو من حلت ذات الإله في جسده.

ولعمري إنه لا يقدر على ذلك إلاّ بإقدار الله تعالى إياه عليه، ولكن لا يلزم من إقداره إياه عليه أن يكون هو الإله، وأن يكون ذات الإله حالة فيه.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/٥.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧/٥.

وتعلق بعضهم بشبهة ضعيفة نحو قول عمر وقد فقأ علي عليه السلام عين انسان الحد في الحرم، ما أقول في يد الله، فقأت عيناً في حرم الله، ونحو قول علي عليه السلام: ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية، بل بقوة إلاهية، ونحو قول رسول الله صلى الله عليه وآله: لا إله إلاّ الله وحده، وصدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، فقالوا: والذي هزم الأحزاب هو علي بن أبي طالب عليه السلام لأنه قتل شجاعهم وفارسهم عمرواً لما اقتحم الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هاربين مغلوبين من غير حرب سوى قتل فارسهم، وقد أومأ بعض شعراء الإمامية إلى هذه المقالة، فجعلها من فضائله عليه السلام، وذلك قوله شعراً:

إذا كنتم مما يروم الحاقة
فهلا برزتم نحو عمرو ومرحبُ

وكيف فررتم يوم احد وخيبر
ويوم حنين مهرباً بعد مهرب

ألم تشهدوا بين الإخاء وبيعة
الغدير وكل حضر غير غيب

فكيف غدا صنوا النفيلي ويحه
أميراً على صنوا النبي المرحب

وكيف على من لم يطأ ثوب أحمد
على من علا من أحمد فوق منكب

إمام هــدى ردت له الشمس جهرة
فـصلـى اداء عـصــره بعد مغرب
ومــن قـبـلـه أفـنـى سليمان خيله
رجـاء فـلـم يـبلغ بها نيل مـطـلـب
تــجـلــى عــن الأفهـام كنه صفاته
ويرجع عنها الـذهــن رجعة أخيب
فليس بيان القول عـنـه بـكـاشــف
غطاء ولا فصل الخطاب بـمـعرب
وحـق لـقـبـر ضــم أعضاء حيدر
وغــودر مــنــه فــي صفيح مغيب
يــكــون ثــراه ســر قدس ممنع
وحصباؤه مــن نور وحي محجب
وتغشاه مــن نــور الإلــه غمامة
تــغــاديـه من قدس الجلال بصيب
وتنقض اســراب النجوم عواكفاً
على حجرتيه كـوكب اثر كوكب
فلولاك لم ينج ابــن مــتـى ولا خبا
ســعـيـر لإبـراهــيــم بعد تلهب

ولا فلق البحر ابـــن عمران بالعصا

ولا فـــرت الأحزاب عن أهـل يثرب

ولا قــبـلــت مــن عــابـد صلواته

ولا غـفــر الـرحـمـن زلـــة مذنب

ولــم يــغـل فيك المسلمون جهالة

ولــكــن لــســر فـــي علاك مغيب[1]

وقال أيضاً: إ بكريا وشيعياً تجادلا،وأحتكما إلى بعض أهـل الذمـة مـن لا هوى له من أحد الرجلين في التفضيل فأنشدهما:

كم بين من شك في عقيدته ومـــن قيـــل أنــــه الله

وقال: قال عليه السلام لما قتل الخوارج وقيل له: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم، قال: كلا إنهم نطف في أصـلاب الرجـال، وقـرارات النساء، كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين.[2]

قال: وذكر أبو مخنف في كتاب الجمل أ علياً عليه السلام خطب لمـا سـار الزبير وطلحة مـن مكـة،ومعهما عايـشة يريـدون البـصرة،فقال: أيهـا النـاس إن عايشة سارت إلى البصرة معها طلحة والزبير، وكـل منهمـا يـرى الأمـر لـه دون صاحبه، أما طلحة فإبن عمهـا، وأمـا الزبيـر فختنهـا، والله إن ظفـروا بمـا أرادوا، ولن ينالوا ذلك أبداً، ليضربن أحدهما عنق صـاحبه، بعـد تنـازع منهمـا شـديد،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧/٥.

[2] - نهج البلاغة ١٠٧/١، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤/٥.

ووالله إن راكبة الجمل الأحمر ما يقطع عقبه، ولا تحل عقده الاّ في معصية الله وسخطه حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة، أي والله ليقتلن ثلثهم، وليهربن ثلثهم، وليتوبن ثلثهم، وإنها التي تنبحها كلاب الحوب، وإنهما ليعلمان أنهما مخطيان، ورب عالم قتله جهله، ومعه علمه لا ينفعه، حسبنا الله ونعم الوكيل، قد قامت الفتنة فيها الفئة الباغية، أين المخضبون، أين المؤمنون، ما لي ولقريش، أما والله لقد قتلتهم كافرين، ولأقتلنهم مفتونين، وما لنا إلى عايشة من ذنب إلاّ أنا أدخلناها في خيرنا، والله لا يقولون الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته، فقل لقريش فلتضج ضجيجها، ثم نزل.[1]

و برز علي عليه السلام يوم الجمل ونادى بالزبير يا أبا عبد الله مراراً، فخرج الزبير، فتقارنا حتى اختلفت أعناق خيلهما، فقال له علي عليه السلام: إنما دعوتك لأذكرك حديثاً قاله لي ولك رسول الله صلى الله عليه وآله، أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي، فقال لك: أتحبه؟ قلت: وما لي لا أحبه وهو أخي وابن خالي! فقال: أما إنك ستحاربه وأنت ظالم له، فأسترجع الزبير فقال: أذكرتني ما أنسانيه الدهر، ورجع إلى صفوفه، فقال له عبد الله إبنه: لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به، فقال: أذكرني علي حديثاً أنسانيه الدهر، فلا أحاربه أبداً، وإني لراجع وتاركهم منذ اليوم، فقال له عبد الله: ما أراك إلاّ جبنت عن سيوف بني عبد المطلب، إنها لسيوف حداد وتحملها فتية أمجاد، فقال الزبير: ويلك أتهيجني على حربه، أما إني قد حلفت الاّ أحاربه، فقال له: كفر عن يمينك، لا

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٢٣٣.

تتحدث بيننا قريش أنك جبنت، وما كنت جباناً، فقال الزبير: غلامي مكحول حر كفارة عن يميني، ثم أنصل سنان رمحه، وحمل على عسكر علي عليه السلام برمح لا سنان له، فقال علي عليه السلام أفرجوا له فإنه محرج، ثم عاد إلى أصحابه ثم حمل ثانية، ثم قال لإبنه: أو جبناً ويلك ترى؟ قال: لقد أعذرت.[1]

لما أذكر علي عليه السلام الزبير بما أذكره به ورجع الزبير قال:

نادى علي بأمر لست أنكره

وكان عمر أبيك الخير مذ حين

فقلت حسبك من عذل أبا حسن

بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

ترك الأمور التي تخشى مغبتها

والله أمثل في الدنيا وفي الدين

فأخترت عاراً على نار مؤججة

أنى يقوم لها خلق من الطين[2]

لما خرج علي عليه السلام لطلب الزبير، خرج حاسراً فخرج إليه الزبير دارعاً مدججاً، فقال للزبير: يا أبا عبد الله، لقد لعمري أعددت سلاحاً وجنداً، فهل أعددت عند الله عذراً؟ فقال الزبير: إن مردنا إلى الله، قال علي عليه السلام: ﴿يومئذ

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٣/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٤/١.

يوفيهم الله دينهم الحق، ويعلمون ان الله هو الحق المبين﴾ ثم أذكره الخبر.[١]

فلما كرّ الزبير راجعاً إلى أصحابه نادماً واجماً رجع علي عليه السلام إلى أصحابه جدلاً مسروراً، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين تبرز إلى الزبير حاسراً، وهو شاك السلاح، وأنت تعرف شجاعته، قال: إنه ليس بقاتلي، إنما يقتلني رجل خامل الذكر، ضئيل النسب، غيلة، ما قط حرب ولا معركة رجال، ويل أمه هو أشقى البشر، ليودون أن أمه هبلت به، أما إنه وأحمر ثمود لمقرونان في قرن.[٢]

قال: مر علي عليه السلام بطلحة بن عبيد الله قتيلاً، فقال: اجلسوه فأجلس، قال أبو مخنف في كتابه: فقال له: ويل أمك طلحة، لقد كان لك قدم لو نفعك ولكن الشيطان أضلك فأزلك، فعجلك إلى النار، ارسلوه.[٣]

قال أبو الأسود الدؤلي: لما ظهر علي عليه السلام يوم الجمل دخل بيت المال بالبصرة في أناس من المهاجرين والأنصار، وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه قال: غري غيري مراراً، ثم نظر إلى المال وصعد فيه بصره وصوب، فقال: اقسموه بين أصحابي، فقسم بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحق ما نقص

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٤/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٤/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٨/١.

درهماً ولازاد درهماً، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستة آلاف ألف درهم، والناس اثنا عشر ألفاً.[1]

ومن كلام له عليه السلام في ذم البصرة وأهلها، إلى أن قال عليه السلام: كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة، قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها، وغرق من في ضمنها.[2]

وفي رواية أخرى: وأيم الله لتغرقن بذلك حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعام جاثمة.[3]

وفي رواية أخرى: كجؤجؤ طير في لجة بحر.[4]

قال في الشرح: أما إخباره عليه السلام أن البصرة تغرق عدا المسجد الجامع بها، فقد رأيت من يذكر أن كتب الملاحم تدل على أن البصرة تغرق بالماء الأسود ينفجر من أرضها، فتغرق ويبقى مسجدها، والصحيح أن المخبر به قد وقع، فإن البصرة قد غرقت مرتين، مرة في أيام القادر بالله، ومرة في أيام القايم بالله، غرقت بأجمعها، ولم يبق منها إلا مسجد الجامع بارزاً كجؤجؤ الطاير، حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس، ومن جهة الجبل المعروف بجبل

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٩/١.

[2] - نهج البلاغة ٤٥/١.

[3] - نهج البلاغة ٤٥/١.

[4] - نهج البلاغة ٤٥/١.

سنام، وخربت دورها، وغرق كل ما في ضمنها، وهلك كثير من أهلها، وأخبار هذين الغرقتين معروفة عند أهل البصرة يتناقله خلفهم عن سلفهم.[١]

[قال: لما جيء] بإبن يثربي إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين استبقني أجاهد بين يديك، وأقتل منهم مثل ما قتلت منكم، فقال علي عليه السلام: أبعد زيد وهند وعلياً استبقيك، لاها الله إذن، قال: فأدنني منك أسارك، فقال له: أنت متمرد، وقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالمتمردين وذكرك فيهم، فقال: أما والله لو وصلت إليك لعضضت أنفك عضة ابنته، فأمر به عليه السلام فضرب عنقه.[٢]

قال: ومن خطبة له عليه السلام: فإنكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم، لجزعتم ووهلتم، وسمعتم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريب ما يطرح الحجاب.[٣]

وقال في الشرح بعد أن ذكر ما ذكره من معنى كلامه عليه السلام قال: ويمكن أن يعني به ما يعاينه المحتضر من ملك الموت، وهول قدومه، ويمكن أن يعني به ما كان عليه السلام يقوله عن نفسه أنه لا يموت ميت حتى يشاهده حاضراً عنده عليه السلام، والشيعة تذهب إلى هذا القول وتعتقده، وتروي عنه عليه السلام شعراً قاله للحارث الأعور الهمداني:

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٣/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٩/١.

[٣] - نهج البلاغة ٥٧/١.

يا حار همدان من يمت يرني | من مؤمن أو منافق قبلا
يعرفني طرفه واعرفه | بعينه واسمه وما فعلا
أقول للنار وهي توقد للعرض | ذريه لا تقربي الرجلا
ذريه لا تقربيه إن له | حبلاً بحبل الوصي متصلا
وأنت يا حار إن تمت ترني | فلا تخف عثرة ولا زللا
أسقيك من بارد على ظمأ | تخاله في الحلاوة العسلا

وليس هذا بمنكر إن صح أنه عليه السلام قاله عن نفسه، ففي الكتاب العزيز ما يدل على أن أهل الكتاب لا يموت منهم ميت حتى يصدق بعيسى بن مريم عليه السلام، ذلك قوله تعالى: **﴿وان من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾.**[1]

قال كثير من المفسرين: معنى ذلك أن كل ميت من اليهود وغيرهم من أهل الكتاب السالفة إذا حضر رأى المسيح عليه السلام عنده، فيصدق به من لم يكن في أوقات التكليف مصدقاً.[2]

قال: قال عليه السلام: لقد دعوتكم الى الحق فتوليتم، وضربتكم بالدرة فما استقمتم، وسيليكم بعدي ولاة يُعذبونكم بالسياط والحديد، وسيأتيكم غلاما ثقيف، اخفش وجعبوب، يقتلان ويظلمان وقليل ما يمكنان.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٩/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٩/١.

قال في الشرح: قلت: الأخفش الضعيف البصر خلقة، والجعبوب الضغيف القصير الذميم، وهما الحجاج، ويوسف بن عمر.[1]

قال في شرح خطبته: اعلم أنه عليه السلام قد أقسم في هذا الفصل بالله الذي نفسي بيده أنه لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم وبين القيامة إلاّ أخبرهم به، وأنه ما من طائفة من الناس تهتدي بهاماية أو تضل ماية إلاّ وهو مخبرهم بداعيها وقايدها، وسايقها، ومواضع نزول ركابها وخيولها، ومن يقتل منها قتلاً، ومن يموت منها موتاً، وهذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادعاء الربوبية، ولا ادعاء النبوة، ولكنه كان يقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك، ولقد امتحنا أخباره فوجدناه موافقاً، فأستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة كإخباره عن الضربة التي يضرب في رأسه فتخضب لحيته، وإخباره عن قتل الحسين ابنه، وما قاله في كربلاء حيث مر بها، وإخباره بملك معاوية من بعده، وإخباره عن الحجاج، وعن يوسف بن عمر، وما أخبره من أمور الخوارج بالنهروان، وما قدمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم، وصلب من يصلب، وإخباره بقتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وإخباره بعدة الجيش الوارد إليه من الكوفة، لما شخص عليه السلام إلى البصرة لحرب أهلها، وإخباره عن عبد الله بن الزبير، وقوله فيه: يروم أمراً ولا يدركه، ينصب حبالة الدين لإصطياد الدنيا، وهو بعد مصلوب قريش، وإخباره عن هلاك البصرة بالغرق، وهلاكها تارة أخرى بالريح، وهو الذي صحّفه قوم فقالوا: بالزنج، وكإخباره عن ظهور

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٨٢/٦.

الرايات السود من خراسان، وتنصيصه على قوم من أهلها يعرفون ببني رزيق - بتقديم الراء المهملة- هولاء هم آل مصعب الذين منهم طاهر بن الحسين، وولده إسحاق بن إبراهيم وأهله، وكانوا هم وسلفهم من دعاة الدولة العباسية.[١]

وكإخباره عن الأئمة الذين ظهروا من ولده بطبرستان كالناصر والداعي وغيرهما في قوله عليه السلام: وإن لآل محمد بالطالقان لكنزاً سيظهره الله إذا شاء دعاؤه حتى يقوم بإذن الله، فيدعو إلى دين الله، وكإخباره عن مقتل النفس الزكية بالمدينة، وقوله إانه يقتل عند أحجار الزيت، وكإخباره عن أخيه إبراهيم المقتول بباب حمزة، يقتل بعد أن يظهر، وقهر بعد أن يقهر، وقوله فيه أيضاً: يأتيه سهم غرب يكون فيه منيته، فيا بؤساً للرامي شلت يده، ووهن عضده.[٢]

وكإخباره عن قتلى فخ، وقوله فيهم: هم خير أهل الأرض، وكإخباره عن المملكة العلوية بالمغرب، وتصريحه بذكر كتامة، وهم الذين نصروا أبا عبد الله الداعي المعلم، وكقوله وهو يشير إلى عبد الله المهدي، وهو أولهم: ثم يظهر صاحب القيروان الغض البض، ذو النسب المحض، المنتجب من سلالة ذي البداء، المسجى بالرداء، وكان عبيد الله المهدي أبيض، مترفاً، مشرباً بحمرة، رخص البدن، تار الأطراف، وذو البداء إسماعيل بن جعفر بن محمد،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٧/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٨/٧.

وهو المسجى بالرداء، لأن أباه أبا عبد الله جعفراً عليه السلام سجاه بردائه لما مات، وأدخل إليه وجوه الشيعة يشاهدونه، ليعلموا أنه هو، وتزول عنهم الشبهة في أمره.[١]

وكإخباره عن بني بويه وقوله فيهم: ويخرج من ديلمان بنو الصياد إشارة إليهم، وكان أبوهم صيّاد السمك يصيد منه بيده ما يتقوت هو وعياله بثمنه، فأخرج الله من ولده لصلبه ملوكاً ثلاثه، ونشر ذريتهم حتى ضربت الأمثال بملكهم، وكقولهم عليه السلام فيهم: ثم يستري أمرهم حتى يملكوا الزوراء، ويخلعوا الخلفاء، فقال له قايل: فكم عددهم؟ فقال: ماية أو تزيد قليلاً، وكقوله فيهم: والمترف ابن الأجذم يقتله ابن عمه على دجله، وهو إشارة إلى عز الدولة بختيار بن معز الدولة أبي الحسين، وكان معزّ الدولة أقطع اليد، قطعت يده للنكوص في الحرب، وسلبه ملكهم، وكان ابنه عز الدولة بختيار مترفاً، صاحب لهو وشرب، وقتله عضد الدولة فناخسرو ابن عمه بقصر الجص على دجلة في الحرب، وسلبه ملكه، فأما خلعهم للخلفاء، فإن معزّ الدولة خلع المستكفي، ورتب عوضه المطيع، وبهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة، وخلع الطايع، ورتب عوضه القادر، وكانت مدة ملكهم كما أخبر به عليه السلام.[٢]

وكإخباره عليه السلام لعبد الله بن العباس رحمه الله عن انتقال الأمر إلى أولاده، فإن علي بن عبد الله لما ولد أخوه أخرجه أبوه إلى علي عليه السلام فأخذه وتفل في

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٨/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٩/٧.

فيه، وحنكه بتمرة قد لاكها ودفعه إليه، وقال: خذ إليك أبا الأملاك، هكذا الرواية الصحيحة، وهي التي ذكرها أبو العباس المبرد في كتاب الكامل،[1] وليست الرواية التي نذكر فيها العدد بصحيحة، ولا منقوله من كتاب معتمد عليه، وكم له من الأخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى مما لو أردنا استقصاءه لكسرنا له كراريس كثيرة، وكتب السير تشتمل عليها مشروحة.[2]

فإن قلت: لماذا غلا الناس في أمير المؤمنين عليه السلام فأدعوا فيه الإلهية لإخباره عن الغيوب التي شاهدوا صدقها، وأصدقها عياناً، ولم يغلو في رسول الله صلى الله عليه وآله فيدعوا فيه الإلهية، وإخباره عن الغيوب الصادقة قد سمعوها وعلموها يقيناً، وهو أولى بذلك كان، لأنه الأصل المتبوع، ومعجزاته أعظم، وإخباره عن الغيوب أكثر.[3]

قلت: إن الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وآله، وشاهدوا معجزاته، وسمعوا إخباره عن الغيوب الصادقة عياناً، كانوا أشد رأياً، وأعظم أحلاماً، وأوفر عقولاً من تلك الطائفة الضعيفة العقول، السخيفة الاحلام الذين رأوا أمير المؤمنين عليه السلام في آخر أيامه كعبد الله بن سبأ وأصحابه، فإنهم كانوا من ركاكة البصاير وضعفها على حال مشهور، فلا عجب من مثلهم أن تستخفهم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٩/٧، الكامل للمبرد ٢١٧/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٩/٧.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٠/٧.

المعجزات، فيعتقدوا في صاحبها أنه الجوهر الإلهي يدخله لإعتقادهم أنه لا يصح من البشر هذا إلاّ بالحلول.[١]

وقد قيل: إن جماعة من هؤلاء كانوا من نسل النصارى واليهود، وقد كانوا سمعوا من آبائهم وسلفهم القول بالحلول في ابضائهم ورؤسائهم، فأعتقدوا فيه عليه السلام مثل ذلك، ويجوز أن يكون أصل هذه المقالة من قوم ملحدين أرادوا ادخال الإلحاد في دين الإسلام، فذهبوا إلى ذلك، ولو كانوا في أيام النبي صلى الله عليه وآله لقالوا فيه مثل هذه المقالة اضلالاً لأهل الإسلام، وقصداً لإيقاع الشبهة في قلوبهم، ولم يكن في الصحابة مثل هؤلاء، ولقد كان فيهم منافقون وزنادقة، ولم يهتدوا إلى هذه الفتنة، ولاحطوا لهم مثل هذه المكيدة، ومما ينقدح لي من الفرق بين هؤلاء، وبين العرب الذين عاصروا أوان رسول الله صلى الله عليه وآله أن هؤلاء من أهل العراق وساكني الكوفة، وطينة العراق ما زالت تنبت أرباب هؤلاء، وأصحاب النحل العجيبة، والمذاهب البديعة، وأهل هذا الاقليم أهل تدقيق ونظر، وبحث عن الآراء والعقائد، وشبهة معترضة في المذاهب، وقد كان منهم في أيام الاكاسرة مثل ما في وديصان ومرذك وغيرهم، وليست طينة الحجاز هذه الطينة، ولا أذهان أهل الحجاز هذه الأذهان، والغالب على أهل الحجاز الجفاء والعجز فيه، وخشونة الطبع، ومن سكن المدن منهم كأهل مكة والمدينة، وأطباعهم قريبة من طباع أهل البادية بالمجاورة، ولم يكن فيهم من قبل حكيم ولا فيلسوف، ولا صاحب نظر

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧/٥٠.

وجدل، ولا موقع شبهة، ولا مبتدع نحلة، ولهذا نجد مقالة الغلاة طارية وناشية من حيث سكن علي عليه السلام بالعراق والكوفة لا في أيام مقامه بالمدينة، وهي أكثر عمره، فهذا ما لاح لي من الفرق بين الرجلين في المعنى المقدم ذكره.[١]

فإن قيل: من هذا الرجل الموعود به الذي قال عليه السلام عنه بأبي ابن خير الإماء؟

قيل: أما الإمامية فيزعمون أنه إمامهم الثاني عشرة، وهو من أمة إسمها نرجس.

وأما أصحابنا فيزعمون أنه فاطمي، يولد في مستقبل الزمان لأم ولد، وليس موجود الآن.[٢]

إن قيل: فمن يكون من بني أمية في ذلك الوقت موجوداً حتى يقول عليه السلام في أمرهم ما قال من انتقام هذا الرجل منهم حتى يودوا أن علياً عليه السلام كان المتولي لأمرهم عوضاً عنه.[٣]

قيل: أما الإمامية فتقول بالرجعة، وزعموا أنه سيعود قوم بأعيانهم من بني أميّة وغيرهم إذا ظهر إمامهم المنتظر، وأنه يقطع أيدي أقوام وأرجلهم،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٠/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٩/٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٩/٧.

ويسيل عيون بعضهم، ويصلب قوماً آخرين، وينتقم من أعداء آل محمد عليهم السلام المتقدمين والمتأخرين.[١]

وأما أصحابنا فيزعمون أنه سيخلق الله تعالى في آخر الزمان رجلاً من ولد فاطمة ليس بموجود الآن، وأنه يملأ به الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً، وينتقم من الظالمين، وينكل بهم أشد النكال، وأنه لأم ولد كما قد ورد في هذا الأثر وفي غيره من الآثار، وأن إسمه محمد كإسم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه يظهر بعد أن يستولي على كثير من الإسلام ملك من أعقاب بني أمية، وهو السفياني الموعود به في الخبر الصحيح من ولد أبي سفيان بن حرب بن أمية، وأن الإمام الفاطمي يقتله، ويقتل أشياعه من بني أمية وغيرهم، وحينئذ ينزل المسيح عليه السلام من السماء، وتبدو أشراط الساعة، وتظهر دابة الأرض، ويبطل التكليف، ويتحقق قيام الأجساد عند نفخ الصور، كما نطق به الكتاب العزيز.[٢]

فإن قيل: فإنكم قلتم فيما تقدم أن الوعد إنما هو بالسفاح عبد الله بن علي والمسودة، وما قلتموه مخالف ذلك.

قيل: إن ذلك التفسير هو تفسير ذكره الرضي رحمه الله من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، وهذا التفسير هو تفسير الزيادة التي يذكرها

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٩/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٩/٧.

الرضي، وهو قوله بأبي ابن خير الإماء، وقوله لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا، فلا مناقضة بين التفسيرين.[١]

وقال: وجاء في الأخبار أنه عقد للحسن إبنه على عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري على عشرة آلاف، ولفلان ولفلان حتى أجتمع له مائة الف سيف، وأخرج مقدمته يريد الشام، فضربه اللعين ابن ملجم، وكان من أمره ما كان، وأنفضت تلك الجموع، فكانت كالغنم فقدت راعيها.

إلى أن قال: ثم يطلع الله من يجمعهم ويضمهم، يعني من أهل البيت عليهم السلام، وهذه إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الوقت، وهو عند أصحابنا غير موجود الآن وسيوجد، وعند الإمامية موجود الآن.[٢]

وقال في كلام له عليه السلام: وأشهد أن لا إله إلاّ الله، شهادة يوافق فيها السر الإعلان، والقلب اللسان.

أيها الناس لا يجرمنكم شقاقي، ولا يستهوينكم عصياني، ولا تراموا بالأبصار عندما تسمعونه مني، فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إن الذي أنبئكم عن النبي الأمي عليه السلام ما كذب المبلغ، ولا جهل السامع، لكأني أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام، وفحص براياته في ضواحي

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٩/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٣/٧.

كوفان، فإذا فغرت فاغرتـه، وأشـتدت شـكيمته، وثقلـت فـي الأرض وطأته، الى آخره.[1]

قال في الشرح: أقسم بالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، فلق الحبة من البر، شقها وأخرج منها ألوان الخضر، قال الله تعالى: ﴿**فالق الحبّ والنوى**﴾، وبرأ النسمة، أي خلق الإنسان، وهذا القسم لا يزال أمير المؤمنين عليه السلام يقسم به، وهو من مبتكراته ومبتدعاته، والمبلغ هو نفسه عليه السلام، يقول: ماكذبت على الرسول تعمداً، ولا جهلت ما قاله، فأنقل عنه غلطاً، والضليل الكثير الضلال، كالشريب، والفسيق ونحوهما، وهذا كناية عن عبد الملك بن مروان، لأن هذه الصفات والأمارات فيه، ثم منها في غيره، لأنه قام بالشام حين دعا إلى نفسه، وهو معنى نعيقه، وفحصت راياته بالكوفة، تارة حيث شخص بنفسه إلى العراق، وقتل مصعباً، وتارة لما استخلف الأمر على الكوفة، كبشر بن مروان أخيه وغيره حتى انتهى الأمر إلى الحجاج، وهو زمان اشتداد شكيمة عبدالملك، وثقل وطأته، وحيئذ صعب الأمر منه، وتفاقمت الفتن مع الخوارج وعبد الرحمن بن الأشعث، فلما كمل أمر عبد الملك، وهو معنى قوله أينع زرعه هلك، وعقد رايات الفتن المعضلة من بعده كحروب أولاده مع بني المهلب، وكحربهم مع زيد بن علي عليه السلام، وكالفتن الكائنة بالكوفة أيام

---

[1] - نهج البلاغة ١٩٥/١.

يوسف بن عمر، وخالد القسري، وعمرو بن هبيرة وغيرهم، وما جرى فيها من الظلم واستيصال الأموال، وذهاب النفوس.[١]

وقد قيل: إنه كنى عن معاوية، وما حدث في أيامه من الفتن، وما حدث بعده من فتنة يزيد وعبيد الله بن زياد، وواقعة الحسين عليه السلام، والأول أرجح، لأن معاوية في أيام أمير المؤمنين عليه السلام كان قد نعق بالشام، ودعا إلى نفسه، والكلام يدل على إنسان ينعق فيما بعد، ألا تراه يقول لكأني أنظر إلى ضليل قد نعق.[٢]

وقال: قال أبو العباس المبرد: قد جاءت الرواية أن أمير المؤمنين عليه السلام لما ولد لعبد الله بن العباس مولود افتقده وقت صلاة الظهر فقال: ما بال أبي العباس لم يحضر؟ قالوا: ولد له ولد ذكر يا أمير المؤمنين، قال: فأمضوا بنا إليه، فأتاه، فقال: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، ما سميته؟ فقال: يا أمير المؤمنين أيجوز أن اسميه حتى تسميه، فقال: أخرجه اليّ، فأخرجه فأخذه وحنكه ودعا له، ثم رده إليه، وقال: خذ إليك أبا الأملاك قد سميته علياً، وكنيته أبا الحسن.[٣]

فلما قدم معاوية خليفة، قال لعبد الله بن العباس: لا جمع لكم بين الإسم والكنية، وقد كنيته أبا محمد، فجرت عليه.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٩/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٠/٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٨/٧، الكامل للمبرد

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٨/٧.

وقال عليه السلام: أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف، الذيال الميال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكم، أيه أبا وذحة.[١]

قال: قال الرضي رحمه الله: الوذحة، الخنفساء، وهذا القول يومىء به إلى الحجاج، وله مع الوذحة حديث، ليس هذا موضع ذكره.[٢]

قال: وغلام ثقيف المشار إليه هو الحجاج بن يوسف، والذيال التائه، وأصله من ذال، أي تبختر، وجرّ ذيله على الأرض، والميال الجاير الظالم، ويأكل خضرتكم، ويستأصل أموالكم، ويذيب شحمتكم، مثله، وكلتا اللفظتين استعارة.[٣]

ثم قال له كالمخاطب لإنسان حاضر بين يديه أيه أبا ودحة، أيه كلمة يستزاد بها من الفعل، تقديره زد وهات أيضاً ما عندك، وضدها إيهاً، أي كف وأمسك.[٤]

قال الرضي رحمه الله: والوذحة الخنفساء.

ولم أسمع هذا من شيخ من أهل الأدب، ولا وجدته في كتاب من كتب اللغة، ولا أدري من أين نقل الرضي رحمه الله.[٥]

ثم إن المفسرين بعد الرضي قالوا في قصة هذه الخنفساء وجوهاً:

---

[١] - نهج البلاغة ٢٣٠/١.

[٢] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٨/٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد٢٧٨/٧.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

[٥] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

منها: إن الحجاج رأى خنفساء تدب إلى مصلاه فطردها فعادت، ثم طردها فعادت، فأخذ بيده فخذف بها، فقرصته قرصاً، ورمت يده منه ورماً كان فيه حتفه، قالوا وذلك لأن الله تعالى قتله بأهون خلقه، فكأنه كما قتل نمرود بن كنعان بالبقة التي دخلت أنفه فكان فيها هلاكه.[١]

ومنها: إن الحجاج كان إذا رأى خنفساء تدب قريبة منه يأمر غلمانه بإبعادها ويقول هذه وذحة من وذح الشيطان، تشبيهاً لها بالبعرة، قالوا وكان مغرى بهذا القول، والوذح ما يتعلق بأذناب الشاة من أبعارها فيجف.[٢]

ومنها: إن الحجاج قال وقد رأى خنفساوات مجتمعات: واعجباً لمن يقول إن الله خلق هذه، قيل: فمن خلقها أيها الأمير؟ قال: الشيطان، إن ربكم لأعظم شأناً أن يخلق هذه الوذح، قالوا فجمعها على فعل كبدنة وبدن، فنقل قوله هذا إلى الفقهاء في عصره فأكفروه.[٣]

ومنها: إن الحجاج كان مثفاراً، وكان يمسك الخنفساء حية ليشفي بحركتها في الموضع حكاكه.[٤]

قالوا: ولا يكون صاحب هذا الداء إلاّ شانئاً مبغضاً لأهل البيت.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

قالوا: ولسنا نقول كل مبعض فيه هذا الداء، وإنما قلنا كل من به هذا الداء فهو مبغض.[١]

قالوا: وقد روى أبو عمر الزاهد -ولم يكن من رجال الشيعة- في أماليه وأحاديثه عن السياري، عن أبي خزيمة الكاتب قال: ما فتشنا أحداً فيه هذا الداء إلاّ وجدناه ناصباً.[٢]

قال أبو عمر: وأخبرني العطافي، عن رجاله قال: سئل جعفر بن محمد عليه السلام عن هذا الصنف من الناس، فقال: رحم منكوسة، تؤتى ولاتأتي، وما كانت هذه الخصلة في ولي لله تعالى قط، ولا تكون أبداً، وإنما تكون في الكفار والفساق، والناصب للطاهرين، وكان أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي من القوم، وكان أشد الناس عداوة للرسول صلى الله عليه وآله.[٣]

قالوا: ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر، يا مصفر استه، فهذا مجموع ما ذكره المفسرون، وما سمعته من أفواه الناس في هذا الموضع.[٤]

وقال: ومن كلام له عليه السلام وهو مما كان يجزيه عن الملاحم بالبصرة: يا أحنف كأني به وقد سار بالجيش الذي لايكون له غبار، ولا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٠/٧.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٠/٧.

لجب، ولا قعقعة لجم، ولا حمحمة خيل، يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام.[1]

وقال: قال الرضي ﴿رحمه الله تعالى﴾ يومىء بذلك إلى صاحب الزنج.

ثم قال عليه السلام: ويل لسكاكم العامرة والدور المزخرفة، لها أجنحة كأجنحة النسور، وخراطيم كخراطيم الفيلة، من أولئك الذين لا يندب قتيلهم، ولا يفقد غايبهم، أنا كاب الدنيا لوجهها، وقادرها بقدرها، وناظرها بعينها.[2]

و قال في الشرح: صاحب الزنج هذا فإنه ظهر في فرات البصرة في سنة خمس وخمسين ومائتين رجل زعم أنه علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ في البصرة، وأكثر الناس يقدحون في نسبه، وخصوصاً الطالبيين وجمهور النسابين، أتفقوا على أنه من عبد قيس، وأنه علي بن محمد عبد الرحيم، وأمه أسدية من أسد بن خزيمة، جدها محمد بن حكيم الأسدي من أهل الكوفة، أحد الخارجين مع زيد بن علي عليه السلام على هشام بن عبدالملك، فلما قتل زيد هرب، فلحق بالري، وجاء إلى القرية التي يقال لها

---

[1] - نهج البلاغة ٩/٢، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٥/٨.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٥/٨.

وزنين، فأقام بها، وبهذه القرية ولد محمد بن علي صاحب الزنج، وبها منشأوه، وساق الحديث بطوله.[١]

والغرض هنا أنه من علم الغيب الذي أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله علي عليه السلام فكان.[٢]

قال: وقال عليه السلام في وصف الأتراك: كأني أراهم قوماً وجوههم المجان المطرقة، يلبسون السرق والديباج، ويعتقبون الخيل العتاق، ثم ساق وصفهم عليه السلام.[٣]

قال في الشرح: فإن قلت: فإن من جملة الخمسة ﴿**وما تدري نفس ماذا تكسب غداً**﴾، وقد أعلم الله تعالى نبيه بأمور يكتسبها في غده كقوله ستفتح مكة، وأعلم نبيه وصيّه عليه السلام بما يكتسبه في غده نحو قوله: ستقاتل بعدي الناكثين، الخبر.[٤]

قلت: المراد بالآية لا تدري نفس جميع ما يكتسبه في مستقبل زمانها، وذلك لا يبقى حوله أن يعلم الإنسان ما يكتسبه في مستقبل زمانه.[٥]

وأعلم أن هذا الغيب الذي أخبر عنه عليه السلام قد رأيناه نحن عياناً، ووقع في زماننا، وكان الناس ينتظرونه من أول الإسلام حتى ساقه القضاء والقدر إلى

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٦/٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٦/٨.

[٣] - نهج البلاغة ١٠/٢.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٧/٨.

[٥] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٧/٨.

عصرنا، وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام، ثم ذكر قصة التتار في الشرح.[1]

وغرضنا من ذكر ذلك أنه عليه السلام من جملة الغيوب التي أخبر بها عليه السلام.[2]

وقال: ومن خطبة له عليه السلام يومىء فيها إلى ذكر الملاحم: يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن، إذا عطفوا القرآن على الرأي.[3]

وقال في الشرح: هذا إشارة إلى إمام يخلقه الله تعالى آخر الزمان وهو الموعود به في الأخبار والآثار، ومعنى يعطف الهوى يقهره ويثنيه عن جانب الايثار والإرادة، عاملاً عمل الهدى، فيجعل الهدى قاهراً له وظاهراً عليه، ولذلك قوله ويعطف الرأي على القرآن، أي يقهر حكم الرأي والقياس و العمل بغلبة الظن عاملاً على القرآن، وقوله عطفوا الهدى، وإذا عطفوا القرآن إشارة إلى الفرق المخالفين لهذا الإمام المشاقين له، الذين لا يعملون بالهدى، بل بالهوى، ولا يحكمون بالقرآن، بل بالرأي.[4]

وقال: ومنها قوله عليه السلام: كأني به قد نعق بالشام، وفحص براياته في ضواحي كوفان، فعطف عليها عطف الضروس، وفرش الأرض

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٧/٨.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٧/٨.

[3] - نهج البلاغة ٢١/٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٠/٩.

[4] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٠/٩.

بالروس، قد فغرت فاغرته، وثقلت في الأرض وطأته، بعيد الجوار، عظيم الصولة، والله ليشردنكم في أطراف الأرض حتى لا يبقى منكم إلاّ القليل كالكحل في العين، فلا يزالون كذلك حتى تؤوب إلى العرب عوازب أحلامها، فالزموا السنن القائمة، والآثار البينة، والعهد الذي عليه باقي النبوة، وأعلموا أن الشيطان إنما يسني لكم طرفه لتتبعوا عقبه.[1]

وقال في الشرح: هذا إخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام، وملكه بعد ذلك العراق، وما قتل من العرب فيها أيام عبد الملك ابن الأشعث، وقتله أيام مصعب بن الزبير.[2]

ونعق الراعي - بالعين المهملة- ونعق الغراب - بالغين المعجمة-.

وقال: قال أبو الفرج: ودخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة بين يديه خالد بن عرفطة، ومعه حبيب بن جماز يحمل رايته، فلما صار بالكوفة دخل من باب الفيل وأجتمع الناس إليه.

قال أبو الفرج: فحدثني أبو الصيرفي، وأحمد بن أبي عبد الله بن عمار، عن محمد بن علي بن خلف، عن محمد بن عمرو الرازي، عن مالك بن سعيد، عن محمد بن عبد الله الليثي، عن عطاء بن السائب، عن أبيه قال: بينما علي بن أبي طالب على منبر الكوفة دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين مات خالد بن عرفطة، قال: لا والله ما مات، ولا يموت حتى يدخل من باب المسجد

---

[1] - نهج البلاغة ٢٢/٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٦/٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٧/٩.

وأشار إلى باب الفيل، ومعه راية ضلال يحملها إلى حبيب بن جماز، قال: فوثب رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنا حبيب من جماز، وأنا لك شيعة، قال: فإنه كما أقول، قال: فوالله لقد قدم خالد بن عرفطة على مقدمة معاوية يحمل رايته حبيب بن جماز.[١]

قال أبو الفرج: وقال مالك بن سعد: وحدثني الأعمش بهذا الحديث، قال: حدثني صاحب هذه الدار وأشار الى دار السايب ابي عطا أنه سمع علياً ﴿رضي الله عنه﴾ يقول هذا.[٢]

وقال: كتب إلى علي عليه السلام معاوية: أما بعد: فدعني من أساطيرك، واكفف عني أحاديثك، وأقصر عن تقولك على رسول الله صلى الله عليه وآله وافترايك من الكذب، ما لم يقل، وغرور من معك، والخداع لهم، فقد استغويتهم، ويوشك أمرك أن ينكشف لهم، فيعتزلوك، ويعلموا أنما جيت به باطل مضمحل، والسلام.[٣]

قال: فكتب إليه علي عليه السلام: أما بعد: فطال ما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الرجيم، الحق أساطير، ونبذتموه وراء ظهوركم، وجهدتم في إطفاء نور الله بأيديكم وأفواهكم، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٧/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٨/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣٥/١٦.

ولعمري ليتمن النور على كرهك، ولينفذن العلم لصغارك، ولتجازين بعملك، فعث في دنياك المنقطعة عنك ما طال لك، فكأنك بأجلك وقد انقضى، وعملك قد هوى، ثم تصير إلى لظى، لم يظلمك الله شيئاً، وما ربك بظلام للعبيد.[١]

قال: وكتب ﴿رضي الله عنه﴾: أما بعد: فما أعجب ما يأتيني منك، وما أعلمني بما أنت صاير إليه، وليس ابطائي عنك إلاّ ترقباً لما أنت له مكذب، وأنا له مصدق، وكأني بك غداً وأنت تضج من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال، وستدعوني أنت وأصحابك إلى كتاب تعظمونه بألسنتكم، وتجحدونه بقلوبكم، والسلام.[٢]

وقال: وروى محمد بن جبلة الخياط، عن عكرمة بن يزيد الأحمسي، أن علياً عليه السلام كان جالساً في مسجد الكوفة وبين يديه قوم منهم عمرو بن حريث إذ اقبلت إمرأة مختمرة لا تعرف، فوقفت فقالت لعلي عليه السلام: يا من قتل الرجال، وسفك الدماء، وأيتم الصبيان، وأرمل النساء، وقال عليه السلام: وإنها لهي هذه السلقلق الجلعة الجعة، وإنها لهي هذه شبهة الرجال والنساء التي ما رأت دماً قط، قال: فولت هاربة منكسة رأسها، فتبعها عمرو، فلما صارت بالرحبة، قال لها: لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل، فأدخلي منزلي حتى أهب لك وأكسوك، فلما دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها، ونزع ثيابها لينظر

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٥/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٤/١٦.

صدقه فيما قاله عنها، فبكت وسألت أن لا يكشفها، وقالت: أنا والله كما قال، لي ركب النساء، وانثيان كأنثي الرجال، وما رأيت دماً قط، فتركها وأخرجها، ثم جاء إلى علي عليه السلام فأخبره فقال: إن خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني بالمتمردين عليّ من الرجال، والمتمردات من النساء إلى أن تقوم الساعة.[١]

قلت: السلقلقة: السليطة، وأصله من السلق، وهو الذيب، والسلقة الديبة، والجلعة المجعة البذية اللسان، والركب منبت العانة.[٢]

وقال: وروى عثمان بن سعيد، عن يحيى التميمي، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، قال: قام أعشى بأهله وهو غلام يومئذ حدث إلى علي عليه السلام وهو يخطب ويذكر الملاحم فقال: يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة، فقال عليه السلام: إن كنت آثماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف، ثم سكت، فقام رجال فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: غلام يملك بلدتكم هذه، لا يترك لله حرمة إلاّ انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغها.

قالوا: فيقتل قتلاً أو يموت موتاً؟ قال: يموت حتف أنفه بداء البطن يثقب حريرة لكثرة ما يخرج من جوفه.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٨٨/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٨٨/٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٨٩/٢.

قال إسماعيل بن رجاء: فوالله لقد رأيت بعيني هذا أعشى بأهله وقد أحضر في جماعة الأسرى الذين أسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد الأشعث بين يدي الحجاج، فقرعه ووبخه، وأستنشده شعره الذي حرض فيه عبدالرحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس.[1]

وقال: وروى محمد بن علي الصواف، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه، عن شمر بن سدير الأزدي قال: قال علي عليه السلام لعمرو بن الحمق الخزاعي: أين نزلت ياعمرو؟ قال: في قومي، قال: لا تنزلن فيهم، قال: أفأنزل في بني كنانة جيراننا؟ قال: لا، قال: أفأنزل في ثقيف؟ قال: فما تصنع بالمعرة والجرة؟ قال: وهما عنقان من نار يخرجان من ظهر الكوفة، يأتي أحدهما على تيم وبكر بن وايل، وقل ما يفلت منه أحد، ويأتي العنق الآخر فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفة، فقلّ من يصيب منهم، إنما يدخل الدار فيحرق الدار والبيت والبيتين، قال: فأين أنزل؟ قال: أنزل في بني عمرو بن عامر من الأزد، قال: فقال قوم حضروا: ما نراه إلاّ كاهناً يتحدث بحديث الكهنة، فقال يا عمرو: إنك لمقتول بعدي، وإن رأسك لمنقول، وهو أول رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك، أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برميتك إلاّ هذا الحي من بني عمرو بن عامر من الأزد، فإنهم لم يسلموك ولن يخذلوك.

قال: فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في أحياء العرب خائفاً مدحوراً حتى نزل في قومه من بني خزاعة،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٩/٢.

فأسلموه، فقتل، وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام، وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد.[١]

وقال: وروى إبراهيم بن ميمون الأزدي، عن حبّة العرني قال: كان جويرية بن مسهر العبدي صالحاً، وكان لعلي عليه السلام صديقاً، وكان علي عليه السلام يحبه، ونظر يوماً إليه وهو يسير فناداه يا جويرية إلحق بي، فإني إذا رأيتك هويتك.[٢]

قال إسماعيل بن أبان، فحدثني الصباح، عن مسلم، عن حبة العرني، قال: سرنا مع علي عليه السلام يوماً فألتفت إليّ فإذا جويرية خلفه بعيداً، فناداه يا جويرية ألحق بي لا أباً لك، ألا تعلم أني أهواك وأحبك، قال: فركض نحوه، فقال له: إني محدثك بأمور فأحفظها ثم اشتركا في الحديث سراً، فقال له جويرية: يا أمير المومنين إني رجل نسي، فقال: أنا أعيد عليك الحديث لتحفظه، ثم قال له في آخر ما حدثه: يا جويرية أحب حبيبنا، فإذا أبغضنا فأبغضه، وأبغض بغيضنا، فإذا أحبنا فأحبه، قال: فكان ناس ممن يشك في أمر علي عليه السلام يقولون أتراه جعل جويرية وصيه كما يدعي من وصية رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فيقولون ذلك لشدة اختصاصه له حتى دخل علي عليه السلام يوماً وهو مضطجع وعنده قوم من أصحابه، فناداه جويرية أيها النائم استيقظ، فلتضربن على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك، قال: فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٢٨٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٢٩٠.

وأحدثك يا جويرية بأمرك، والذي نفسي بيده لتنقلن إلى العتل الزنيم، فيقطع يدك ورجلك، وليصلبنك تحت جذع كافر.

قال: فوالله ما مضت الأيام على ذلك حتى أخذ زياد جويريه فقطع يده ورجله وصلبه إلى جانب جدع ابن مكعبر، وإنه طويلاًن فصلبه على جذع إلى جانبه.[١]

وقال: وروى إبراهيم في كتاب الغارات، عن أ حمد بن الحسن التميمي قال: كان ميثم التمار مولى علي بن أبي طالب عليه السلام كان عبداً لإمرأة من بني أسد، فاشتراه علي عليه السلام منها وأعتقه، وقال له: ما اسمك؟ فقال: سالم، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني إسمك الذي سماك به أبوك في العجم ميثم، فقال: صدق الله ورسوله، وصدقت يا أمير المؤمنين، هو والله إسمي، قال: فارجع إلى إسمك ودع سالماً فنحن نكينك به، فكناه أبا سالم، قال: وكان قد أطلعه علي عليه السلام على علم كثير، وأسرار خفية من أسرار الوصية، فكان ميثم يحدث ببعض ذلك، فيشك فيه قوم من أهل الكوفة، وينسبون علياً في ذلك إلى المخوفة والإيهام والتدليس، قال له يوماً بمحضر من خلق كثير من أصحابه فيهم الشاك والمخلص: يا ميثم إنك تؤخذ بعدي وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك وفمك دماً حتى تخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث طعنت بحربة يقضى عليك، فأنتظر ذلك، والموضع الذي تصلب فيه على باب دار عمرو بن حريث، إنك لعاشر عشرة أقصرهم خشبة، وأقربهم من

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٢٩٠.

المطهرة يعني الأرض، ولأرينك النخلة التي تصلب على جذعها، ثم أراه إياها بعد بيومين، فكان ميثم يأتيها فيصلي عندها، ويقول: بوركت من نخلة، لك خلقت، ولي نبت، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي عليه السلام حتى قطعت، فكان يرصد جذعها، ويتعاهده ويتردد إليه، ويبصره، وكان يلقى عمرو بن حريث فيقول ألا إني بجوارك فأحسن جواري، فلا يعلم عمرو ما يريد فيقول: أيريد أن يشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم، قال: وحج في السنة التي قتل فيها فدخل على أم سلمة ﴿رضي الله عنها﴾ فقالت له: من أنت؟ قال: عراقي فأستنسبته فذكر لها أنه مولى علي بن أبي طالب، فقالت: أنت ميثم؟ قال: بلى أنا ميثم، فقالت: سبحان الله، والله لربما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بك علياً في جوف الليل، فسألها عن الحسين بن علي، فقالت: هو في حايط له، قال: أخبريه أني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند رب العالمين إن شاء الله، ولا أقدر اليوم على لقايه، وأريد الرجوع، فدعت بطيب فطيبت لحيته، فقال لها: أما إنها ستخضب بدم، قالت: ومن أنبأك هذا؟ قال: أنبأني سيدي، فبكت أم سلمة، وقالت: إنه ليس بسيدك وحدك، وهو سيدي وسيد المسلمين أجمعين، ثم ودعها، فقدم الكوفة فأخذ، ودخل على عبيد الله بن زياد، وقيل له: هذا كان من آثر الناس عند أبي تراب، قال: ويحكم هذا الاعجمي؟ قالوا: نعم، فقال له عبيد الله: من ربك؟ قال: بالمرصاد، وقال: وبلغني اختصاص أبي تراب لك، قال: قد كان بعض ذلك، فما تريد؟ قال: وإنه أخبرك بما سيلقاك؟ قال: نعم، إنه أخبرني، قال: ما الذي أخبرك أني صانع بك؟ قال: أخبرني أنك

تصلبني عاشر عشرة، وأنا أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة، قال: لأخالفنه، قال: ويحك وكيف تخالفه، إنما أخبر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأخبر رسول الله عن جبرئيل، وأخبر جبرائيل عن الله، فكيف تخالف هولاء؟

أما والله لقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه أين هو من الكوفة، وإني لأول خلق الله ألجم في الإسلام، يلجم كما تلجم الخيل، فحبسه وحبس المختار بن أبي عبيده الثقفي، فقال ميثم للمختار وهما في حبس ابن زياد: إنك تفلت، وتخرج ثايراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الجبار الذي نحن في حبسه، وتطأ بقدمك هذه على جبهته وخديه، فلما دعا عبيد الله بن زياد المختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله يأمره بتخلية سبيلة، وذاك أن أخته كانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب، فسألت بعلها أن يشفع فيه إلى يزيد، فشفع فأمضى شفاعته، وكتب بتخلية سبيل المختار على البريد، فوافى البريد وقد أخرج ليضرب عنقه، فأطلق.[١]

فأما ميثم فأخرج بعده ليصلب، وقال عبيد الله: لأمضين حكم أبي تراب فيه، فلقيه رجل فقال له: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم؟ فتبسم وقال له: خلقت ولي عذبت، فلما رفع على الخشبة أجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث، قال عمرو: لقد كان يقول لي: إني مجاورك، فكان يأمر جاريته كل عشية أن تكنس خشبته وترشه، وتجمر بالجمرة تحته، فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم، ومخازي بني أمية وهو مصلوب على الخشبة، فقيل لإبن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩١/٢.

زياد: قد فضحكم هذا العبد، فقال: ألجموه فألجم، فكان أول خلق ألجم في الإسلام، فلما كان في اليوم الثاني فاضت منخراه وفمه دماً، فلما كان في اليوم الثالث طعن بحربة فمات، وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين عليه السلام بعشرة أيام.[١]

وقال: قال إبراهيم: وحدثني إبراهيم بن العباس النهدي، قال: حدثني مبارك البجلي، عن أبي بكر بن عباس، قال: حدثني المجالد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، قال: كنت عند زياد وقد أتي برشيد الهجري، وكان من خواص علي عليه السلام فقال له زياد: ما قال لك خليلك إنا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي، وتصلبونني، فقال زياد: أما والله لأكذبن حديثه، خلو سبيله، فلما أراد أن يخرج قال: روده لا نجد لك شيئاً أصلح مما قال لك صاحبك، إنك لاتزال تبتغي لنا سوءاً إن بقيت، أقطعو يديه ورجليه، فقطعوا يديه ورجليه، وهو يتكلم، فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه، قال: قد بقي لي عندكم ما أراكم فعلتموه، فقال زياد: اقطعوا لسانه، فلما أخدوه ليقطعوه قال: نفسوا عني أتكلم بكلمة واحدة، فنفسوا عنه، فقال: هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين، أخبرنى بقطع لساني فقطعوا لسانه وصلبوه.[٢]

وقال: وروى أبو داود الطيالسي، عن سليمان بن زريق، عن عبد العزيز بن صهيب، قال: حدثني أبو العالية، قال حدثني مزروع صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: ليقتلن جيش إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، قال أبو العالية:

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩١/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٤/٢.

فقلت له: إنك تحدثني بالغيب، فقال: احفظها ما أقوله لك، فإنما حدثني به الثقة علي بن أبي طالب.[١]

وحدثني أيضاً شيئاً آخر ليؤخذن رجل فليقتلن وليصلبن بين شرفتين من شرف المسجد، فقلت: إنك لتحدثني بالغيب، فقال: احفظ ما أقول لك، قال أبو العالية: فوالله ما أتت علينا جمعة حتى أخذ مزروع فقتل وصلب بين شرفتين من شرف المسجد.[٢]

قلت: حديث الخسف بالجيش قد أخرجه البخاري ومسلم ﴿رضي الله عنهما﴾ في الصحيحين، عن أم سلمة ﴿رضي الله عنها﴾ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول يعوذ قوم بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، فقلت: يا رسول الله لعل فيهم المكره والكاره، فقال: يخسف بهم، ولكن يحشرون أو قال يبعثون على نياتهم يوم القيامة.[٣]

قال: فسئل أبو جعفر محمد بن علي أهي بيداء من الأرض؟ قال: كلا، والله إنها بيداء المدينة.[٤] أخرج البخاري بعضه،[٥] وأخرج مسلم الباقي.[٦]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٤/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٤/٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٥/٢.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٥/٢.

[٥] - صحيح البخاري ٦٧٢/٢.

[٦] - صحيح مسلم ٢٢٠٨/٤.

وقال: وروى محمد بن موسى العنزي، قال: كان مالك ابن ضمرة الرواسي من أصحاب علي عليه السلام وممن استبطن من جهته علماً كثيراً، وكان أيضاً قد صحب أبا ذر فأخذ من علمه، وكان يقول في أيام بني أمية: اللهم لا تجعلني أشقى الثلاثة، فيقال له: وما الثلاثة؟ فيقول: رجل يرمى به من فوق طمار، ورجل تقطع يداه ورجلاه ولسانه ويصلب، ورجل يموت على فراشه، فكان من الناس من يهزأ به ويقول هذا من أكاذيب أبي تراب.[١]

قال: فكان الذي رمي به من طمار هاني بن عروة، والذي قطع وصلب رشيد الهجري، ومات مالك على فراشه.[٢]

وقد روى ابن هلال الثقفي في كتاب الغارات، عن زكريا بن يحيى العطار، عن فضيل، عن محمد بن علي، قال: قال: لما قال علي عليه السلام سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة، وتهدي مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها وسائقها.[٣]

قام إليه رجل فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر؟ فقال له علي عليه السلام: والله لقد حدثني خليلي أن على كل طاقة شعر من رأسك ملك يلعنك، وإن على كل طاقة من شعر لحيتك شيطاناً يغويك، وإن في بيتك

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٥/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٥/٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٦/٢.

سخلاً يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلاً يحبو، وهو سنان بن انس النخعي.[١]

وقال: وروى الحسن بن محبوب، عن ثابت الثمالي، عن سويد بن غفلة، أن علياً عليه السلام خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره فقال: يا أمير المؤمنين إني مررت بوادي القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فأستغفر له، فقال عليه السلام: والله ما مات، ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن جماز، فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال: يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن جماز، وإني لك لشيعة و محب، فقال: أنت حبيب بن جماز؟ قال: نعم، قال له ثانية: الله إنك لحبيب؟ فقال: أي والله، قال: أما والله إنك لحاملها، ولتحملنها ولتدخلن بها من هذا الباب، وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة، قال ثابت: فوالله ما مات حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام، وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته، وحبيب بن جماز صاحب رايته، فدخل بها من باب الفيل.[٢]

وقال: وفي كتاب صفين للواقدي عن علي عليه السلام قال: لولا أن تبطروا فتدعوا العمل لحدثتكم بما سبق على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله لمن قتل هؤلاء، وفيه قال عليه السلام: إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله فلأخرن من السماء أحب إليّ من أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا حدثتكم فيما بيننا عن نفسي، فإن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٦/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٧/٢.

الحرب خدعة، وإنما أنا رجل محارب، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، قولهم خير من أقوال البرية، صلاتهم أكثر من صلاتكم، وقرائتهم أكثر من قرائتكم، لا يجاوز إيمانهم تراقيهم، أو قال: حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة.[١]

وقال: وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ أن علياً عليه السلام لما دخل الكوفة دخل معه كثير من الخوارج، وتخلف منهم بالنخيلة وغيرها خلق كثير لم يدخلوها، فدخل حرقوص بن زهير السعدي، وزرعة بن البرك الطائي، وهما من رؤوس الخوارج على علي عليه السلام فقال له حرقوص: تب من خطيئتك، وأخرج بنا إلى معاوية نجاهده، فقال له علي عليه السلام: إني كنت نهيتكم عن الحكومة فأبيتم ثم الآن تجعلونها ذنباً، إذاً إنها ليست بمعصية، ولكنها عجز عن الرأي، وضعف في التدبير، وقد نهيتكم عنه، فقال زرعة: أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتلنك، أطلب بذلك وجه الله ورضوانه، فقال له عليه السلام: بؤساً لك ما أشقاك، كأني بك قتيلاً تسفو عليك الرياح، قال زرعة: وودته أنه كان ذلك، قال: وخرج علي عليه السلام يخطب الناس فصاحوا به من جوانب المسجد لا حكم إلاّ لله، وصاح به رجل **﴿ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من**

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٧/٢.

الخاسرين﴾،[١] فقال له علي عليه السلام: **﴿فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾**.[٢]

وقال: وذكر المدائني في كتاب الخوارج، قال: لما خرج علي عليه السلام إلى أهل النهروان أقبل رجل من أصحابه ممن كان على مقدمته يركض حتى انتهى إلى علي عليه السلام فقال: البشرى يا أمير المؤمنين، قال: ما بشراك؟ قال: إن القوم عبروا النهر لمّا بلغهم وصولك، فأبشر فقد منحك الله أكتافهم، فقال له: الله أنت رأيتهم قد عبروا، قال: نعم، فأحلفه ثلاث مرّات في كلها يقول نعم، فقال عليه السلام: والله ما عبروه ولن يعبروه، وإن مصارعهم لدون النطفة، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لن يبلغوا إلاّ ثلاث، ولا قصر بوران حتى يقتلهم الله، وقد خاب من افترى، قال: ثم أقبل فارس آخر يركض، فقال كقول الأول، فلم يعبأ علي عليه السلام بقوله، وجاءت الفرسان تركض كلها وتقول مثل ذلك، فقام علي عليه السلام فجال في متن فرسه، قال: فيقول شاب من الناس، والله لأكوننّ قريباً منه، فإن كانوا عبروا النهر لأجعلنّ سنان هذا الرمح في عينه، أيدعي علم الغيب! فلما انتهى عليه السلام إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم، وعرقبوا خيلهم، وجفوا على ركبهم، وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل، فنزل ذلك الشاب فقال: يا أمير المؤمنين إني شككت فيك آنفاً، وإني

---

[١] - الزمر/٦٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٨/٢، الروم/٦٠.

تائب إلى الله وإليك، فأغفر لي، فقال علي عليه السلام: إن الله هو الذي يغفر الذنوب فأستغفره.[١]

وقال: وذكر أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في ﴿الكامل﴾ قال: لما واقفهم علي عليه السلام بالنهروان قال: لا تبدأوهم بقتال حتى يبدؤكم، فحمل منهم رجل على صف علي عليه السلام فقتل منهم ثلاثة، ثم قال:

أقتلهم ولا أرى علياً ولو بدا أو حربه الخطيا

فخرج إليه علي عليه السلام فضربه فقتله، فلما خالطه سيفه قال: حبذا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهب: ما أدري إلى الجنة أم إلى النار، فقال رجل منهم: إنما حضرت غروراً بهذا الرجل، يعني عبد الله، وأراه قد شك واعتزل عن الحرب بجماعة من الناس، ومال الف منهم إلى أبي أيوب الأنصاري، وكان على ميمنة علي عليه السلام، فقال علي عليه السلام: احملوا عليهم، فوالله لا يقتل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة، فحمل عليهم فطحنهم طحناً، قتل من أصحابه عليه السلام تسعة، وأفلت من الخوارج ثمانية.[٢]

وقال: وروى جميع أهل السير كافة: أن علياً عليه السلام لما طحن القوم طلب ذا الثدية طلباً شديداً، وطلب القتلى ظهراً البطن، فلم يقدر عليه، فساءه

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٢/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٢/٢.

ذلك وجعل يقول: والله ما كذبت ولا كذبت، اطلبوا الرجل، وإنه لفي القوم، فلم يزل يطلبه حتى وجده، وهو رجل مخدج اليد، كأنها ثدي في صدره.[١]

وقال: وروى إبراهيم بن ديزيل في كتاب ﴿صفين﴾ عن الأعمش، عن يزيد بن وهب، قال: لما شجرهم علي عليه السلام بالرماح قال: اطلبوا ذا الثدية، فطلبوه طلباً شديداً حتى وجدوه وهو في وهدة من الأرض تحت ناس من القتلى، فأتي به وإذا رجل على ثديه مثل سبلات السنور، فكبر علي عليه السلام وكبر الناس معه، وسروا بذلك.[٢]

وقال: وروى أيضاً، عن مسلمة الضبي، عن حبة العرني قال: كان رجلاً أسود، منتن الريح، له يد كثدي المرأة، إذا مدت كأنها بطول اليد الأخرى، وإذا تركت اجتمعت وتفاصت، وصارت كثدي المرأة، عليها شعرات مثل شوارب الهرة، فلما وجدوه قطعوا يده ونصبوها على رمح، ثم جعل علي عليه السلام ينادي صدق الله، وبلغ رسوله، لم يزل يقول ذلك هو وأصحابه بعد العصر إلى أن غربت الشمس أو كادت.[٣]

وقال: وروى ابن ديزبل أيضاً قال: لما عيل صبر علي عليه السلام في طلب المخدج قال: ايتوني ببغلة رسول الله صلى الله عليه وآله، فركبها واتبعه الناس، فرأى القتلى

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٥/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٦/٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٦/٢.

وجعل يقول: اقلبوا فيقلبون قتيلاً عن قتيل حتى استخرجوه، فسجد علي عليه السلام.[١]

قال: وروى كثير من الناس أنه لما دعا بالبغلة ليركبها قال: أيتوني بها، فإنها هادية، فوقعت به على المخدج، فأخرجه من تحت قتلى كثيرين.[٢]

وقال: وروى العوام بن حوشب، عن أبيه، عن جده يزيد بن رويم، قال: قال علي عليه السلام: يقتل اليوم بقتل آلاف من الخوارج أحدهم ذو الثدية، فلما طحن القوم، ورام استخراج ذي الثدية فاتبعه، أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصبة، وركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: اطرح على كل قتيل منهم قصبة، فلم أزل كذلك وأنا بين يديه وهو راكب خلفي، والناس يتبعونه حتى بقيت في يدي واحدة، فنظرت إليه وإذا وجهه اربد، وإذا هو يقول: والله ما كذبت ولا كذبت، فإذا خيز ماء عند موضع داليه، فقال: فتش هذا، ففتشته فإذا قتيل منهم قد صار في الماء، وإذا رجله في يدي، فجذبتها وقلت: هذه رجل إنسان، فنزل عن البغلة مسرعاً، فجذب الرجل الأخرى وجررناه حتى صار على الطرف، فإذا هو المخدج، فكبر علي عليه السلام بأعلى صوته، ثم سجد فكبر الناس كلهم.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٦/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٦/٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٦/٢.

وقال: وروى: محمد بن حبيب قال: خطب علي عليه السلام الخوارج يوم النهر، فقال لهم: نحن أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وعنصر الرحمة، ومعدن العلم و الحكمة، نحن أفق الحجاز، بنا يلحق البطيء، وإلينا يرجع التايب.

أيها القوم إني نذير لكم اليوم أن تصبحوا صرعى بأهضام هذا الوادي، الى آخر الفصل.[1]

وقال: وروى قيس بن الربيع، عن يحيى بن هاني المرادي، عن رجل من قومه يقال له زياد بن فلان قال: كنا في بيت مع علي عليه السلام ونحن شيعته وخواصه، فالتفت فلم ينكر منا أحد، فقال: إن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم، فيقطعون أيديكم، ويسملون أعينكم، فقال رجل منا: وأنت حي يا أمير الؤمنين؟ قال: اعاذني الله من ذلك، فالتفت فإذا واحد يبكي، فقال له: يا ابن الحمقاء أتريد اللذات في الدنيا، والدرجات في الآخرة، إنما وعد الله الصابرين.[2]

وقال: قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: روى الشعبي، عن أبي الطفيل، قال: قال علي عليه السلام: يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٣/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٩/٤.

واحد، فوالله لقعدت على نجفة لي فارقاً حصيتهم واحداً واحداً، فما زادوا رجلاً، ولا نقصوا رجلاً.[١]

وقال: قال نصر: حدثنا عبد العزيز بن سياه، قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت، قال: حدثنا أبو سعيد التيمي المعروف بعقيصي، قال: كنا مع علي عليه السلام في مسيره إلى الشام حتى إذا كنا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد، إذ عطش الناس، وأحتاجوا إلى الماء، فأنطلق بنا علي عليه السلام حتى أتى إلى صخرة ضرس في الأرض كأنها ربضة عنز، فأمرنا فأقتلعناها، فخرج لنا من تحتها ماء، فشرب الناس منه وأرتووا، ثم أمرنا فأكفأناها عليه، وسار الناس حتى إذا مضى قليلاً، قال علي عليه السلام: أمنكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فأنطلقوا إليه، فانطلق منا رجال ركباناً ومشاة، فأقصصنا الطريق إليه حتى انتهينا المكان الذي نرى أنه فيه، فطلبناه فلم نقدر على شيء حتى إذا عيل علينا انطلقنا إلى دير قريب منا، فسألناهم أين هذا الماء الذي عندكم؟ قالوا: ليس قربنا ماء، فقلنا: بلى إنا شربنا منه، فقالوا: أنتم شربتم منه، قلنا: نعم، فقال صاحب الدير: والله ما بني هذا الدير إلاّ بذلك الماء، وما أستخرجه إلاّ نبي أو وصي نبي، قال: ثم مضى عليه السلام حتى نزل بأرض الجزيرة، فأستقبله بنو تغلب، والنمر بن قاسط بجزور، فقال علي عليه السلام ليزيد بن قيس الأرحبي: يا يزيد، قال: لبيك، قال: هؤلاء قومك من طعامهم فأطعم، ومن شرابهم فأشرب، قال: ثم سار حتى أتى الرقة وجل أهلها عثمانية، فروا من أهل

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١/١٤.

الكوفة إلى معاوية فأغلقوا أبوابها دونه وتحصنوا، وكان أميرهم سماك ابن مخرمة الأسدي في طاعة معاوية، وقد كان فارق علياً عليه السلام في نحو من مائة رجل من بني أسد، ثم كاتب معاوية، وأقام بالرقة حتى لحق بهم سبعمائة رجل.[1]

قال نصر: فروى حبّة العرني أن علياً عليه السلام لما نزل على الرقة بموضع يقال له البليخ على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صومعته، فقال لعلي عليه السلام: إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى ابن مريم أعرضه عليك، قال: نعم، فقرأ الراهب الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي قضى فيما قضى، وسطر فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولاً، يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الله، لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا مجزي في السيئة السيئة، بل يعفو ويصفح، أمته الحامدون الذين يحمدون الله على نشد، وفي كل صعود وهبوط، تلذذ ألسنتهم بالتكبير والتهليل، والتسبيح، وينصره الله على كل من ناواه، فإذا توفاه الله تعالى اختلفت أمته من بعده ثم أجتمعت، فلبثت ما شاء الله، ثم أختلفت، فيمر رجل من أمته بشاطيء هذا الفرات يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقضي الحق، ولا يركس الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمأ، يخاف الله في السر،

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٥/٣.

وينصح له في العلانية، لا يخاف في الله لومة لايم، فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني في الجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره، فإن القتل معه شهادة، ثم قال له: أنا صاحبك فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك.

فبكى علي عليه السلام ثم قال: الحمد لله الذي لم أكن عنده منسياً، الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار، فمضى الراهب معه، فكان فيما ذكروا يتغذى مع علي، ويتعشى حتى أصيب في صفين، فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم، قال علي عليه السلام: اطلبوه، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه، قال: هذا منا أهل البيت، فأستغفر له مراراً.[١]

وروى هذا الخبر نصر بن مزاحم في كتاب ﴿صفين﴾ عن عمر بن سعد، عن مسلم الأعور، عن حبة العرني، ورواه أيضاً إبراهيم بن ديزيل الهمداني بهذا الإسناد عن حبة أيضاً في كتاب ﴿صفين﴾.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٥/٣.

[٢] - وقعة صفين/ ١٤٨، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٦/٣.

الباب
التاسع والعشرون
في معجزاته من إستجابة الدعاء وغيره

قال ابن أبي الحديد: قال أبو هلال العسكري في كتاب ﴿الاوائل﴾: استجيبت دعوة علي عليه السلام في عثمان، وعبد الرحمن، فما ماتا إلاّ متهاجرين متعاديين، قال: أرسل عبد الرحمن إلى عثمان يعاتبه، وقال لرسوله: قل له: لقد وليتك ما وليتك من أمر الناس، وإن لي لأموراً ما هي لك، شهدت بدراً وما شهدتها، وشهدت بيعة الرضوان وما شهدتها، وفررت يوم أحد، وصبرت.

فقال عثمان لرسوله: قل له: أما يوم بدر فإن رسول الله صلى الله عليه وآله ردني إلى إبنته لما بها من المرض، وقد كنت خرجت للذي خرجت له، ولقيته عند منصرفه فبشرني بأجر مثل أجوركم، وأعطاني سهماً مثل سهامكم.[1]

وأما بيعة الرضوان فإنه صلى الله عليه وآله بعثني أستأذن قريشاً في دخوله إلى مكة، فلما قيل له: إني قتلت بايع المسلمين على الموت لما سمعه عني، وقال: إن كان حياً فأنا أبايع عنه، وصفق باحدى يديه على الأخرى، وقال: يساري خير من يمين عثمان، فيدك أفضل أم يد رسول الله صلى الله عليه وآله.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٦/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد /١٩٦.

وأما صبرك يوم أحد وفراري، فلقد كان ذلك، فأنزل الله العفو عني في كتابه، فعيرتني بذنب غفره الله لي، ونسيت من ذنوبك ما لا تدري أغفره الله لك أم لم يغفره.[1]

وقال: وعن عمر القناد، قال، حدثنا اسباط بن نصر الهمداني، عن السدي، قال: بينما أنا بالمدينة عند أحجار الزيت إذ أقبل راكب على بعير فوقف، فسبّ علياً عليه السلام فحف به الناس ينظرون إليه، فبينما هو كذلك إذ أقبل سعد ابن أبي وقاص فقال: اللهم إن كان قد سب عبداً لك صالحاً، فأر المسلمين خزيه، فما لبث أن نفر به بعيره فسقط، فأندقت عنقه.[2]

وقال: وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أن عدة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي عليه السلام، قائلين فيه بالسوء، ومنهم من كتم مناقبه، وأعان أعداءه ميلاً مع الدنيا، وإيثاراً للعاجلة، فمنهم انس بن مالك ناشد علي عليه السلام في رحبة القصر أو قال: في رحبة الجامع بالكوفة: أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه، فعلي مولاه، فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها، وانس بن مالك في القوم لم يقم، فقال له: يا انس ما يمنعك أن تقوم فتشهد، فلقد حضرتها، فقال: يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت، فقال: اللهم إن كان كاذباً فأرمه بها بيضاء لا تواريها العمامة.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٦/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٢/١٣.

قال طلحة بن عمر: فوالله لقد رأيت الوضح به بعد ذلك أبيض بين عينيه.[١]

وروى عثمان بن مطرف أن رجلاً سال أنس ابن مالك في آخر عمره عن علي بن أبي طالب، فقال: إني آليت أن لا أكتم حديثاً سألت عنه في علي بعد يوم الرحبة، ذاك رأس المتقين يوم القيامة، سمعته والله من نبيكم.[٢]

وقال: قال علي عليه السلام لأنس بن مالك وقد بعثه إلى طلحة والزبير لما جاءا إلى البصرة يذكرهما شيئاً سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في معناهما، فلوى عن ذلك ورجع إليه، فقال له: إني نسيت ذلك الأمر، فقال علي عليه السلام: إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لاتواريها العمامة.

قال: يعني البرص، فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه، فكان لا يرى إلاّ مُبرقعاً.[٣]

وقال: المشهور أن علياً عليه السلام ناشد الناس الله في الرحبة بالكوفة فقال: أنشدكم الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول وهو منصرف من حجة الوداع: من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه، فقام رجال فشهدوا بذلك، فقال علي عليه السلام لأنس بن مالك: لقد حضرتها فما بالك؟ فقال:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٤/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٤/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٧/١٩.

يا أمير المؤمنين كبر سني، وصار ما أنساه أكثر مما أذكره، فقال له: إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لا تواريها العمامة، فما مات حتى أصابه البرص.[١]

وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنس بن مالك في كتاب ﴿المغازي﴾ في باب البرص من أعيان الرجال، وابن قتيبة غير متهم في حق علي عليه السلام للمشهور من انحرافه عنه.[٢]

وقال: وروى المدائني في كتاب ﴿صفين﴾ قال: خطب علي عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان، فذكر طرفاً من الملاحم فقال: إذا كثر فيكم الأخلاط، وأستولت الأنباط دنا خراب الرستاق،[٣] ذلك إذا بنيت مدينة ذات اثل وأنهار، فإذا غلت فيها الأسعار، وشيد فيها البنيان، وحكم فيها الفساق، وأشتد البلاء، وتفاخر الغوغاء، دنا خسوف البيداء، وطاب الهروب والجلاء، وسيكون قبل الجلاء أمور يشيب فيها الصغير، ويعطب الكبير، ويخرس الفصيح، ويبهت اللبيب، تعاجلون بالسيف صلتاً، وقد كانوا قبل ذلك في غضارة من عيشهم يمرحون، فيا لها مصيبة حينئذ من البلاء العقيم، والبكاء الطويل، والويل والعويل، وشدة الصريخ، ذلك أمر والله كاين، وفناء مريح، فيا ابن خيرة الإماء متى تنتظر البشر بنصر قريب، من رب رحيم، ألا فويل للمتكبرين عند حصاد الحاصدين، وقتل الفاسقين، عتاة ذي العرش العظيم، فيا بأبي وأمي من عدة

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٧/١٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٨/١٩.

[٣] - في شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٤/٦: دنا خراب العراق.

قليلة أسمائهم في الأرض مجهولة، قد آن حينئذ ظهورهم، ولو شئت لأخبرتكم بما كان ويكون من حوادث دهركم، ونوايب زمانكم، وبلايا أيامكم، وغمرات ساعاتكم، ولكني أفضيه إلى من أفضيه إليه مخافة عليكم، ونظراً لكم مني بما هو كاين، وما تلقون من البلاء الشامل، ذلك عند تمارد الأشرار، وطاعة أولي الخسار، ذاك أوان الخسف والذمار، ذلك ادبار أمركم، وانقطاع أصلكم، وتشتت إلفتكم، وإنما يكون ذلك عند ظهور العصيان، وإنتشار الفسوق حيث يكون الضرب بالسيف أهون على المؤمن من اكتساب درهم حلال، حين لا ينال المعيشة إلاّ بمعصية الله في سمائه، حين يسكرون من غير شراب، ويحلفون من غير اضطرار، وتظلمون من غير منفعة، وتكذبون من غير إحراج، تتفكهون بالفسوق، وتبادرون بالمعصية، قولكم البهتان، وحديثكم الزور، وأعمالكم الغرور، فعند ذلك لا تأمنون البيات، فيا لها من بيات ما أشد ظلمته، ومن مصباح ما أفضع صوته، ذاك بيان لا يتمنى صاحبه، فعند ذلك تقتلون، وبأنواع البلاء تضربون، وبالسيف تحصدون، وإلى النار تصيرون، ويعضكم البلاء كما يعض الغارب القتب.

واعجباً كل العجب بين جمادى ورجب مع جمع أشتات، وحصد نبات، ومن أصوات بعدها أصوات، ثم قال: سبق القضا.[١]

فقال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة: أشهد إلى جانبه أنه لكاذب على الله ورسوله، قال الكوفي: وما يدريك!

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٤/٦.

قال: فوالله ما نزل علي عليه السلام حتى فلج ذلك الرجل، فحمل إلى منزله في شق محمل، فمات من ليلته.[١]

وروى المدائني أيضاً قال: خطب علي عليه السلام فقال: لو كسرت لي الوسادة، لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم، وما من آية في كتاب الله نزلت في سهل أو جبل إلاّ وأنا أعلم متى أنزلت، وفيمن أنزلت، فقال رجل من القعود تحت منبره: يا لله وللدعوى الكاذبة، وقال الآخر في جانبه: أشهد انك أنت الله رب العالمين.[٢]

قال: وقال شاعر بني أمية:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... فلم نر مهدياً إلى الجذع يصلب
وقستم بعثمان علياً سفاهة ... وعثمان خير من علي وأطيب[٣]

قال: فروي عن بعض الصالحين من أهل البيت قال: اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلبك، فخرج يوماً فعرض له الأسد فأفترسه.[٤]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٤/٦.
[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٦/٦.
[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٨/١٥.
[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٨/١٥.

الباب الثلاثون

في فضله ومرجع الفقهاء والعلماء اليه عليه السلام

قال ابن أبي الحديد: وأما فضائله فإنها قد بلغت من العظم والجلال، والإنتشار والإشتهار مبلغاً لا يسمح مع التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها، وصارت كما قال أبو العينا لعبد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل: رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر، فأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز، مقصر عن الغاية، فأنصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك.

وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بني أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، وأجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريف عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتواعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوهم رواية حديث يتضمن له فضيله، أو يرفع له ذكره حتى حضروا أن يسمى أحد بإسمه، فما زاده ذلك إلاّ رفعة وسمعة، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه، وكلما كتم تضوع نشره،

وكان كالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجب عنه عيناً واحدة أدركته عيون كثيرة.[١]

وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، وتنتمي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلي حلبتها، كل من برع فيها وبعده فمنه أخذ، وله رجع، وعلى منواله احتذى، وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف المعلومات، وكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه عليه السلام أقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى، ومنه ابتدا.[٢]

فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل، وأرباب النظر، ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه، لأن كبيرهم واصل بن عطاء، وأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذه عليه السلام.[٣]

وأما الأشعرية فإنهم ينتسبون إلى أبي الحسن علي بن بشر الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتمون بالاخرة إلى استاد المعتزلة ومعلمهم، وهو علي ابن أبي طالب.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧/١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧/١.

وأما الإمامية والزيدية فإنتمائهم إليه ظاهر، ومن العلوم علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وساسه، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه.[١]

أما أصحاب أبي حنيفة رحمه الله كأبي يوسف، ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة.[٢]

وأما الشافعي رحمه الله فقرأ على محمد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة.[٣]

وأما أحمد بن حنبل رحمه الله فقرأ على الشافعي، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام، وجعفر قرأ على أبيه، وينتهي الأمر إلى علي عليه السلام.[٤]

وأما مالك بن انس فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة الرأي على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالب عليه السلام.[٥]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨/١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨/١.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨/١.

وإن شيت رددت إليه فقه الشافعي بقرائته على مالك كان لك ذلك، فهولاء الفقهاء الأربعة.[١]

وأما فقه الشيعة فرجوعهم إليه ظاهر، وأيضاً إن فقهاء الصحابة كعمر بن الخطاب، وعبد الله بن العباس، وكلاهما أخذ عن علي، أما ابن عباس فظاهر، وأما عمر بن الخطاب وقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسايل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة: لولا علي لهلك عمر،[٢] وقوله: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن،[٣] وقوله: لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر،[٤] وقد عرف هذا الوجه انتهاء الفقه إليه.[٥]

وقد روت العامة والخاصة قوله صلى الله عليه وآله: أقضاكم علي، فإن القضاء هو الفقه، فهو إذاً أفقههم.[٦]

وقد روى الكل أيضاً أنه عليه السلام قال وقد بعثه إلى اليمن قاضياً: اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه، قال: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين.[٧]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨/١.

[٢] - الكافي للكليني ٤٢٤/٧، باب النوادر، المناقب للخوارزمي/٨١

[٣] - انساب الاشراف للبلاذري/١٠٠، دلائل الامامة للطبري/٢٢.

[٤] - البحار ١٤١/٤١.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨/١.

[٦] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨/١.

[٧] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨/١.

وهو عليه السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر، وهو الذي أفتى في الحامل الزانية، وهو الذي قال في المنبرية صار ثمنها تسعاً، وهذه المسألة لو فكر الفرضي فيها فكراً طويلاً لتحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بما قاله بديهة، واقتصه ارتجالاً.[١]

ومن العلوم تفسير القرآن، وعنه أخذ ومنه تفرع، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لأنه أكثر عنه، وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه.[٢]

وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.[٣]

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة، وأحوال التصوف، وقد علمت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون، وعنده يفقهون، وقد صرح بذلك الشبلي والجنيد، وسري وأبو زيد البسطامي، وأبو محفوظ معروف الكرخي وغيرهم، ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة التي هي شعارهم إلى اليوم، وكونهم يسندونها بإسناد متصل إليه عليه السلام.[٤]

ومن العلوم علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله، من جملتها

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩/١، ينابيع المودة للقندوزي ٤٤٩/١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩/١.

الكلام ثلاثة أشياء، اسم، وفعل، وحرف، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجزم، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط، وسيأتي إن شاء الله تعالى في الباب الرابع والثلاثون ما يؤكد ذلك.[١]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١.

الباب
الحادي والثلاثون
في أنه أعلم الناس بنص رسول الله صلى الله عليه وآله
وأنه عيبة علمه وباب مدينة العلم وخازن علمه صلى الله عليه وآله

قال ابن ابي الحديد في الأحاديث الأربعة والعشرين التي ذكرها في فضله عليه السلام ومناقبه عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

قال: الخبر الثاني والعشرون: قال صلى الله عليه وآله: أخصمك يا علي بالنبوة، فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع، لا يحاجك فيها أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسويّة، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزية.[1] رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء.[2]

الخبر الثالث والعشرون: قالت: إنك زوجتني فقيراً لا مال له، فقال: زوجتك أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً، ألا تعلمين أن الله أطلع إلى الأرض اطلاعة فأختار منها أباك، ثم اطلع إليها ثانية فأختار منها بعلك. رواه أحمد في المسند.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٣/٩.

[2] - حلية الأولياء ٦٦/١.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٩.

وقـال: قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي: وروى عبيد بن موسى، والفضيل بن دكين، والحسن بن عطية، قالوا: حدثنا خالد بن طهمان، عن نافع بن أبي رافع، عن مغفل بن يسار، قال: أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: هل لك أن تعود فاطمة؟ قلت: نعم يا رسول الله، فقام يمشي متوكياً عليّ، وقال: أما إنه سيحمل ثقلها غيرك، ويكون أجرها لك، قال: فوالله كأنه لم يكن من ثقل النبي شيء، فدخلنا على فاطمة عليها السلام فقال لها صلى الله عليه وآله: كيف تجدينك؟ قالت: لقد طال سقمي، وأشتدّ حزني، وقال لي النساء: زوجك أبوك فقيراً لا مال له، فقال: ألا ترضين زوجتك أقدم أمتي إسلاماً، وأكثرهم علماً، وأفضلهم حلماً، فقالت: بلى، رضيت يا رسول الله.[1]

وقد روى هذا الخبر يحيى بن عبد الحميد، وعبد السلام بن صالح، عن قيس بن الربيع، عن أبي أيوب الأنصاري بألفاظه أو نحوها.[2]

وروى عبد السلام بن صالح، عن إسحاق الأزرق، عن جعفر بن محمد، عن آبائه أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما زوج فاطمة دخل النساء عليها، فقلن: يا بنت رسول الله، خطبك فلان وفلان فردهم عنك، وزوجك فقيراً لا مال له، فلما دخل عليها أبوها عليه السلام رأى ذلك في وجهها، فسألها فذكرت له ذلك، فقال: يا فاطمة إن الله أمرني فأنكحتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً،

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٣.

وأعظمهم حلماً، وما زوجتك إلاّ بأمر من السماء، أما علمت أنه أخي في الدنيا والآخرة.[١]

وروى عثمان بن سعيد، عن الحكم بن ظهير، عن السدي، أن أبا بكر وعمر خطبا فاطمة فردهما رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له: لم أؤمر بذلك، فخطبها علي عليه السلام فزوجه إياها، وقال لها: زوجتك أقدم الأمة إسلاماً، وذكر تمام الحديث.[٢]

قال: وروى هذا الخبر جماعة من الصحابة، منهم اسماء بنت عميس، وأم أيمن، وابن عباس، وجابر بن عبد الله.[٣]

قال في الأحاديث الأربعة والعشرين المشار إليها:

قال في الخبر الرابع: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أراد أن ينظر إلى نوح في حزمه، وإلى آدم في علمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في فطنته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.[٤] رواه أحمد بن حنبل في المسند، ورواه البيهقي في صحيحة.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٨/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٨/١٣.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٨/٩.

وقال علي عليه السلام في خطبة: نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا يؤتى البيوت إلاّ من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً.[1]

وقال في الشرح: نحن الشعار والأصحاب يشير إلى نفسه، هو أبداً يأتي بلفظ الجمع، ومراده الواحد، والشعار ما يلي الجسد من الثياب، فهو أقرب من سائرها إليه، ومراده الإختصاص برسول الله صلى الله عليه وآله، والخزنة يمكن أن يعني به خزنة العلم، وأبواب العلم، لقول الرسول صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب، وقوله فيه: خازن علمي، وقال تارة: عيبة علمي، ويمكن أن يريد به خزنة الجنة، وأبواب الجنة، لا يدخل الجّة إلاّ من كان وفى بولايتنا، وقد جاء في حقه الخبر الشايع المستفيض أنه قسيم النار والجنة.[2]

أبو عبيدة الهروي في الجمع بين الفريقين أن قوماً من أئمة العربية فسروه، فقالوا: لأنه لما كان محبه من أهل الجنة، ومبغضه من أهل النار، كان بهذا الإعتبار قسيم النار والجنة.[3]

قال أبو عبيدة، وقال غير هؤلاء، بل قسيمها بنفسه في الحقيقة، يدخل قوماً إلى الجنة، وقوماً إلى النار، وهذا الذي ذكره أبو عبيدة خبراً، هو يطابق

---

[1] - نهج البلاغة ٤٣/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٥/٩.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٥/٩.

الأخبار الواردة فيه، يقول للنار: هذا لي فدعيه، وهذا لك فخذيه، ثم إن هذه البيوت لا تؤتى إلاّ من أبوابها، قال الله تعالى: ﴿**ولا تؤتوا البيوت من ظهورها وأتوا البيوت من أبوابها**﴾،[١] ثم قال: من أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً، وهذا حق ظاهراً وباطناً، أما الظاهر، فلأن من يتسوّر البيوت من غير أبوابها هو السارق، وأما الباطن، فإن من طلب العلم من غير استاد محقق، فلم يأته من بابه، فهو أشبه شيء بالسارق.[٢]

وأعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه، وبالغ بتعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي آتاه الله تعالى إياها وأختصه بها، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة، لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق ﴿صلوات الله عليه﴾ في أمره، ولست أعني بذلك الأخبار العامة الشايعة التي يحتج بها الإمامية على إمامته، كخبر الغدير، والمنزلة، وقصة براءة، وخبر المناجاة، وقصة خيبر، وخبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة ونحو ذلك، بل الأخبار الخاصة التي رواها أئمة الحديث التي لم يحصل أقلّ القليل منها لغيره.[٣]

وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه أئمة الحديث الذين لا يتهمون فيه، وجلهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فروايتهم فضايله يوجب سكون النفس ما توجبه رواية غيرهم.[٤]

---

[١] - البقرة/١٧٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٥/٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٦/٩.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٦/٩.

وقال: قد روى العامة والخاصة قوله ﷺ أقضاكم علي، والقضاء هو الفقه، فهو إذن أفقههم.[١]

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨/١.

الباب
الثاني والثلاثون
في رجوع أبي بكر وعمر وغيرهما إليه في العلم
واعتراف عمر بأنه عليه السلام أقضى الأمة

قال ابن ابي الحديد: قال: روى ابن الأنباري في أماليه أن علياً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد وعنده أناس، فلما قام عرض واحد يذكره وينسبه إلى التيه والعجب، فقال عمر: لمثله أن يتيه، وإنه لولا سيفه لما قام عمود الإسلام، وهو بعد أقضى الأمة، وذو سابقتها، وذو شرفها، فقال له ذلك القائل: فما منعكم يا أمير المؤمنين عنه؟ قالوا: كرهناه على حداثة السن، وحبه بني عبد المطلب.[1]

وقال: وروى أبو سعيد الخدري قال: حججت مع عمر أول حجة حجها في خلافته، فلما دخل المسجد الحرام دنا من الحجر الأسود فقبله وأستلمه، وقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله قبّلك وأستلمك لما قبلتك وأستلمتك، فقال له علي عليه السلام: بلى يا أمير المؤمنين، إنه ليضر وينفع، ولو علمت تأويل ذلك من كتاب الله لعلمت أن الذي أقول لك كما أقول، قال الله تعالى: ﴿**واذ اخذ ربك من بني آدم من**

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٢/١٢

ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾،[١] فلما أشهدهم وأقروا له أنه الرب عزّ وجل، وأنهم العبيد، كتب ميثاقهم في رق، ثم ألقمه هذا الحجر، وأن له لعينين ولساناً وشفتين، يشهد لمن وافاه بالموافاة، فهو أمين الله عزّ وجل في هذا المكان، فقال عمر: لا أبقاني الله بأرض لست بها يا أبا الحسن.[٢]

وقال: وروى الربيع بن زياد قال: قدمت على عمر بمال من البحرين وصليت معه العشاء، وسلمت عليه، فقال: ما قدمت به، قلت: خمسمائة ألف، قال: ويحك إنما قدمت بخمسين ألف، كم يكون ذلك؟ قلت: مائة ألف عددت خمساً، فقال: إنك ناعس ارجع إلى بيتك، ثم أغد عليّ فغدوت عليه، قال: ما جئت به؟ قلت: لك، قال: كم هو؟ قلت: خمسمائة ألف، قال: طيب لهو، قلت: نعم لا أعلم إلاّ ذلك، فأستشار الصحابة فيه، فأشير عليه بنصب الديوان، وقسم المال بين المسلمين، وفضلت عنده فضلة، فأصبح فجمع المهاجرين والأنصار فيهم علي بن أبي طالب، وقال للناس: ما ترون في فضل عندنا من هذا المال، فقال الناس: يا أمير المؤمنين إنا شغلناك بولاية أمورنا عن أهلك وتجارتك وصنعتك، فهو لك، فألتفت إلى علي عليه السلام فقال: ما تقول أنت؟ قال: قد أشاروا عليك، قال: فقل أنت، فقال: لم تجعل بقيدك ظناً، فلم يفهم عمر قوله، فقال لتخرجن مما قلت، قال: أجل، والله لأخرجن منه، قال:

---

[١] - الاعراف/١٧٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/١٠٠.

أتذكر حيث بعثك رسول الله صلى الله عليه وآله فأتيت العباس بن عبد المطلب فمنعك صدقته، فكان بينكما شيء، فجئتما إليّ وقلتما انطلق معنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فجينا إليه، فوجدناه خاثراً فرجعنا، ثم غدونا عليه، فوجدناه طيب النفس، فأخبرته بالذي صنع العباس، فقال لك: يا عمر إن علم الرجل صنوا أبيه، ذكرنا له ما رأينا من خثوره في اليوم الأول، وطيب نفسه في اليوم الثاني، فقال: إنكم أتيتم في اليوم الأول، وقد بقي عندي من مال الصدقة ديناران، فكان ما رأيتم من خثوري لذلك، وأتيتم في اليوم الثاني وقد وجهتهما، فذاك الذي رأيتم من طيب نفسي، أشير عليك أن لا تأخذ من هذا الفضل شيئاً، وأن تنفقه على فقراء المسلمين، فقال: صدقت والله، لأشكرنّ لك الأولى والأخيرة.[1]

وقال: وحدثني الحسين بن محمد السيني، قال: قرأت على ظهر كتاب أن عمر نزلت به نازلة فقام لها وقعد، وتنوح وتقطر، وقال لمن عنده: معشر الحاضرين ما تقولون في هذا الأمر، فقالوا: يا أمير المؤمنين أنت المفزع والمنزع، فغضب، وقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً**﴾،[2] قال: أما والله إني وإياكم لنعلم أين نجدها، والخبير بها، قالوا: كأنك أردت ابن أبي طالب، قال: وأنى يعدل بها عنه، وهل طفحت حرة مثله، قالوا: فلو دعوت به يا أمير المؤمنين، قال: هيهات إن هناك شمخاً من هاشم، وإثرة من علم، ولحمة من رسول الله صلى الله عليه وآله، يؤتى ولا يأتي، فأمضوا بنا إليه،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/٩٩.

[2] - الاحزاب/٧٠.

فأفضوا إليه، فلقوه في حايط له عليه بتان، وهو متوك على مسحاة، ويقرأ **﴿أيحسب الانسان ان يترك سدى﴾**،[١] إلى آخر السورة، ودموعه تهمي على خديه، فأجهش الناس لبكائه، فبكوا لبكائه، ثم سكت فسكتوا، فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها، فقال عمر: أما والله لقد أرادك الحق، ولكن أبى قومك، فقال: يا أبا حفص اخفض عليك من هنا ومن هنا، إن يوم الفصل كان ميقاتاً، فوضع عمر إحدى يديه على الأخرى وأطرق إلى الأرض، كأنما ينظر في رماد.[٢]

وقال: حدثنا عمر بن سعد، عن ازهر العبسي، عن النضر بن صالح، قال: كنت مع شريح بن هاني في غزوة سجستان فحدثني أن علياً عليه السلام أوصاني بكلمات إلى عمرو بن العاص وقال: قل لعمرو إذا لقيته إن علياً يقول لك: إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه، وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده، والله يا عمرو إنك لتعلم أين موضع الحق، فلم تتجاهل؟ يسير صرت لله ولأوليائه عدواً، فكأن قد أوتيت، قد زال عنك، فلا تكن للخائنين خصيماً، ولا للظالمين ظهيراً.[٣]

---

[١] - القيامة/٣٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٩/١٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٤/٢.

أما إني أعلم أن يومك الذي أنت فيه نادم هو يوم وفاتك، وسوف تتمنى أنك لم تظهر لي عداوة، ولم تأخذ على حكم الله رشوة.

قال شريح: فأبلغته ذلك يوم لقيته، فتمعر وجهه، وقال: متى كنت قابلاً مشورة علي أو منيباً إلى رأيه أو معتداً بأمره، فقلت: ما يمنعك يا ابن النابغة، وتقبل من مولاك، وسيد المسلمين بعد نبيهم مشورته، لقد كان منه خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه، ويعملان برأيه، فقال: إن مثلي لا يكلم مثلك، فقلت: بأبي أبويك، ترغب عن كلامي، أبأبيك الوشيظ أم بأمك النابغة؟ فقام من مكانه وقمت.[1]

وروى أنه رفع إلى عمر صك محله في شعبان، فقال: أي شعبان الذي مضى أم الذي نحن فيه، ثم جمع أصحاب رسول الله ﷺ وقال: ضعوا للناس تأريخاً يرجعون إليه، فقال قائل منهم: اكتبوا على تاريخ الروم، فقيل: إنه يطول وإنه مكتوب من عهد ذي القرنين، وقال قائل: اكتبوا على تاريخ الفرس، كلما قام ملك طرحوا ما كان قبله.[2]

فقال علي عليه السلام اكتبوا تاريخكم منذ خرج رسول الله ﷺ من دار الشرك إلى دار النصرة، وهي الهجرة، فقال عمر: نعم ما أشرت به، فكتب التاريخ للهجرة بعد مضي سنتين ونصف من خلافة عمر.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٢٥٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/٧٤.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/٧٤.

وقال: وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي اشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة: لولا علي لهلك عمر، وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو حسن علي، وقوله: لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر.[١]

وقال: وذكر عند عمر بن الخطاب حلي الكعبة وكثرته، فقال قوم: لو أخذته وجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحلي؟ فهمّ عمر بذلك، وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إن القرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وآله والأموال أربعة، أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرايض، والفيء فقسمه على مستحقه، والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكان حلي الكعبة تليها يومئذ فتركه الله على حاله، ولم يتركه نسياناً، ولم يخف عليه مكاناً، فأقره حيث أقره الله ورسوله، فقال عمر: لولاك لأفتضحنا، وترك الحلي.[٢]

قال: قال عليه السلام: لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيرت أشياء.[٣]

وقال في الشرح: لسنا نشك أنه كان يذهب في الأحكام الشرعية والقضايا إلى أشياء يخالف بها أقوال الصحابة، نحو قطعه السارق من رؤوس

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٨/١٩.

[٣] - نهج البلاغة ٦٦/٤.

الأصابع، وبيعه أمهات الأولاد وغير ذلك، وإنما كان يمنعه من تغيير أحكام من تقدم من اشتغاله بحرب البغاة والخوارج، وإلى ذلك يشير بالمداحض عن بعض السلف.[١]

وقال أوس بن حجر:

الألمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا[٢]

وقال أبو الطيب:

ذكي تظنيه طليعة عينه يرى قلبه في يومه ما يرى غدا[٣]

وقال: وروى ابن سعد قال: مكث عمر زماناً لا يأكل من مال المسلمين شيئاً حتى أصابته خصاصة، فأرسل إلى أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فأستشارهم، فقال لهم: قد شغلت نفسي بأمركم فما الذي يصلح أن أصيبه من مالكم؟ فقال عثمان: كل وأطعم، وكذلك قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فتركهما وأقبل على علي عليه السلام فقال: ما تقول أنت؟ قال: غذاء وعشاء، فقال: أصبت وأخذ بقوله.[٤]

وقال: روى أبو الفرج بن الجوزي في كتاب ﴿سيرة عمر﴾ عن نافع، عن عمر، قال: جمع عمر الناس لما انتهى إليه فتح القادسية ودمشق، فقال: إني كنت امرءاً تاجراً يغنيني الله، يغني الله عيالي بتجارتي، وقد شغلتموني عن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦١/١٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٩/٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٦/١٦.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٠/١٢، اسد الغابة لابن سعد

التجارة بأمركم هذا، فما ترون أنه يحل لي من هذا المال؟ فقال القوم فأكثروا، وعلي عليه السلام ساكت، فقال عمر: ما تقول أنت يا أبا الحسن؟ قال: ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف، وليس لك من هذا المال غيره، فقال: القول ما قاله أبو الحسن، وأخذ به.[١]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٠/١٢.

الباب
الثالث والثلاثون
في عبادته عليه السلام

قال ابن أبي الحديد: قال: روى زرارة ابن أعين، عن أبيه، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: كان علي عليه السلام إذا صلى الفجر لم يزل معقباً إلى أن تطلع الشمس، وإذا طلعت الشمس اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس، فيعلمهم الفقه والقرآن، وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك، فقام يوماً فمر برجل فرماه بكلمة، قال: ولم يسمه محمد بن علي عليه السلام فرجع عوده على بدنه حتى صعد المنبر وأمر فنودي الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إنه ليس شيء أحب إلى الله، ولا أعم نفعاً من حلم إمام وفقهه، ولاشيء أبغض إلى الله، ولا أعم ضرراً من جهل إمام وخرقه، من لم يكن له من نفسه واعظ، لم يكن له من الله حافظ، ألا وإنه من أنصف من نفسه لم يزده الله إلاّ عزاً، ألا وإن الذل في طاعة الله أقرب إلى الله من العز في معصيته.[1]

ثم قال: أين المتكلم آنفاً، فلم يستطيع الإنكار، فقال: ها أنا ذا يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني لو اشاء لقلت، فقال: إن تعف وتصفح فأنت أهل ذلك،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٩/٤.

قال: قد عفوت وصفحت، فقيل لمحمد بن علي عليه السلام ما أراد أن يقول؟ قال: أراد أن يسبه.[١]

وقال: وقد روى زرارة أيضاً قال: قيل لجعفر بن محمد بن علي عليهما السلام إن قوماً هاهنا ينتقصون علياً، قال: بم ينتقصونه لا أباً لهم؟ وهل فيه موضع نقيصة، والله ما عرض عليه أمران قط، كلاهما لله طاعة إلاّ عمل بأشدهما وأشقهما عليه، ولقد كان يعمل العمل كأنه قائم بين الجنة والنار، ينظر إلى ثواب هؤلاء فيعمل له، وينظر إلى عقاب هؤلاء فيعمل له، وإنه كان ليقوم إلى الصلاة، فإذا قال وجهت وجهي، تغيّر لونه حتى يعرف ذلك في وجهه، ولقد أعتق ألف عبيد من كد يده، كلهم يعرق فيه جبينه، وتحفى فيه كفه، ولقد بشر بعين نبعت في ماله مثل عنق الجزور، فقال: بشر الوارث، ثم جعلها صدقة على الفقراء، والمساكين، وابن السبيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ليصرف النار عن وجهه، ويصرف وجهه عن النار.[٢]

وقال: قال علي بن أبي طالب: لو كشف الغطاء ما أزددت يقيناً.[٣]

وقال: قال عليه السلام: ما شككت في الحق منذ رأيته.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٠/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٠/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨/١٣

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١١/١.

وقال: وأما العبادة فكان أعبد الناس، وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمه الأوراد، وقيام النافلة، وما ظنك برجل تبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير يصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه، وتمر على صماخيه يمنياً وشمالاً، لا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى فرغ من وظيفته، وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده.[١]

وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخشوع لهيبته، والخشوع لعزته، والإستحذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسان جرت.[٢]

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام وكان الغاية في العبادة، أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: عبادتي عند عبادة جدي، كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله.[٣]

وأما قراءة القرآن والإشتغال به، فهو المنظور إليه في هذا الباب، أتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه، ونقلوا كلهم على أنه تأخر عن بيعة أبي بكر

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧/١.

تشاغلاً بجمع القرآن، فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن، لأنه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله ﷺ لما احتاج أن يتشاغل بجمعه بعد صلاته ﷺ، وإذا رجعت إلى كتب القراءات، وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه، كأبي عمر بن العلاء، وعاصم بن أبي النجود وغيرهم، لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القاريء، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه، وعنده أخذ القرآن، فصار هذا الفن من الفنون الذي ينتهي إليه أيضاً من كثير مما سبق.[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧/١.

الباب
الرابع والثلاثون
في عصمته وعصمة أهل البيت عليهم السلام

قال ابن ابي الحديد قال: ومن كلامه عليه السلام لما بلغه اتهام بني أمية بالمشاركة في دم عثمان: أولم ينه بني أمية علمها بي عن اتهامي، أو ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي، وما وعظهم الله تعالى به أبلغ من لساني، أنا حجيج المارقين، وخصيم المرتابين، على كتاب الله تعرض الأمثال، وبما في الصدور يجازي العباد.[1]

وقال في الشرح: القرف العيب، فرقته بكذا، أي عبته، ووزع كفه وردعه، منه قوله لا بدّ للناس من وزعة، جمع أوزاع، أي من رؤوساء وأمراء، والتهمة- بفتح التاء- وهي اللغة الفصيحة، وأصل التاء واواً، والحجيج كالخصيم، والحجاج، والخصومة بقوله عليه السلام أما كان في علم بني أمية بحالي ما ينهاها عن قذفي بدم عثمان، والحالة التي أشار إليها، وذكره أن علمهم بها يقتضي أن لا يتهم بذلك، هي منزلته في الدين الذي لا منزلة أعلى منها، وما نطق به الكتاب الصادق من طهارته، وطهارة نبيه في قوله **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**، وقول النبي صلى الله عليه وآله:

---

[1] - نهج البلاغة ١٢٥/١.

أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وذلك يقتضي عصمته عن الدم الحرام، كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك، وترادف الأقوال والأفعال من رسول الله ﷺ في أمره التي يضطر معها الحاضرون لها، والمشاهدون إياها على أن مثله لا يجوز أن يسعى في إراقة دم مسلم يحدث حدثاً يستوجب به إحلال دمه، وهذا الكلام صحيح معقول، وذلك أنا نرى من يظهر ناموس الدين، ويواضب على نوافل العبادات، ونشاهد من ورعه وتقواه ما يتقرر معه في نفوسنا استشعاره الدين، واعتقاده إياه، فيصرفنا ذلك عن قذفه بالعيوب الفاحشة، ونستبعد من ذلك طعن من يطعن فيه، وننكره ونأباه ونكذبه، فكيف ساغ لأعداء أمير المؤمنين عليه السلام مع علمهم بمنزلته العالية في الدين التي لم يصل إليها أحد من المسلمين أن يطلقوا ألسنتهم فيه، وينسبوه إلى قتل عثمان أو الممالاة عليه.[1]

وقال: ومن كلام له عليه السلام: والله لإن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر في الأغلال مصفداً، أحب إليّ أن القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع الى البلى أفولها، ويطول في الثرى حلولها إليه، والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الألوان من فقرهم، كأنما اسودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكداً عليّ القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيعه

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٩/٦.

ديني، وأتبع قياده مفارقاً لطريقي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد يحترق من مسها، فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتأن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه، أتأن من الأذى، ولا أؤن من لظى.

وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعايها، ومعجونة بشنها، كأنما عجنت بريق حية أو قيئها، فقلت أصلة أم زكاة أم صدقة، فذلك محرم علينا أهل البيت، فقال: لا ذاك ولا ذاك، ولكنها هدية، فقلت هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، اختبطت أم ذو جنّة، أم تهجر، والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها.

ما لعلي ونعيم يفنى، ولذة لا تبقى، أعوذ بالله من سباة العقل، وقبح الزلل.[1]

وقال في الشرح: اهدى له الأشعث بن قيس نوعاً من الحلوى تأنق فيه، وكان عليه السلام يبغض الأشعث، لأن الأشعث كان يبغضه، وظن الأشعث أن يستميله بالمهادم لغرض دنيوي، كان في نفس الأشعث، وكان أمير المؤمنين

---

[1] - نهج البلاغة ٢/٢١٦.

تفطن لذلك ويعلمه، فلذلك ردّ هدية الأشعث، ولولا ذلك لقبلها، لأن النبي ﷺ قبل الهدية، وقد قبل علي هدايا جماعة من أصحابه، ودعاه بعض من كان يأنس إليه الى حلوى يوم نوروز فأكل، وقال لم عملت هذا؟ فقال: لأنه يوم نوروز، فضحك وقال: نورزوا لنا في كل يوم إن استطعتم، وكان عليه السلام من لطافة الأخلاق، وسجاحة الشيم على قاعدة عجيبة جميلة، لكنه كان يعرض عن قوم يعلم من حالهم الشنآن له، وممن يحاول أن يصانعه بذلك عن مال المسلمين، وهيهات حتى يلين الضرس لماضغ الحجر، وقال بملفوفة وعائها، لأنها كانت في طبق مغطى، ثم قال ومعجونة شنئتها، أي بغضتها، ونفرت عنها كأنها عجنت بريق الحية أو بقيئها، وذلك أعظم الأسباب للنفرة من المأكول.[١]

وقال الراوندي: وصفها باللطافة كأنها عجنت بريق الحية، وهذا تفسير أبعد من الصحيح، وقوله أصلة أم زكاة، أم صدقة، فذلك محرم علينا أهل البيت، الصلة العطية لا يراد بها الآخرة، بل يراد بها الوصول، وأكثر ما يفعل للذكر، والصلة والزكاة هي ما يجب في النصاب من مال، والصدقة هنا صدقة التطوع، وقد يسمي الزكاة الواجبة صدقة، لأنها هي النافلة.[٢]

فإن قلت: كيف قال فذلك محرم علينا أهل البيت، وإنما تحرم عليهم الزكاة الواجبة، ولا يحرم عليهم صدقة التطوع، ولا قبول الصلات؟

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٧/١١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٨/١١.

قلت: أراد بقوله أهل البيت الأشخاص الخمسة، وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فهؤلاء خاصة دون غيرهم من بني هاشم محرم عليهم قبول الصلة، وقبول الصدقة، فأما غيرهم من بني هاشم، فلا يحرم عليهم إلاّ الزكاة الواجبة خاصة.[١]

فإن قيل: كيف قلت بأن هؤلاء الخمسة يحرم عليهم قبول الصلات، وقد كان حسن وحسين عليهما السلام يقبلان صلات معاوية؟

قلت: كلا، لم يقبلا صلاته، ومعاذ الله أن يقبلاها، وإنما قبلا منه ما كان يعطي إليهما من جملة حقهما من بيت المال، فإن سهم ذوي القربى منصوص عليه في الكتاب العزيز، ولهما غير سهم غير ذوي القربى سهم آخر للإسلام من الغنائم.[٢]

وقال: وروى القاضي أبو حامد أحمد بن بشير المروروذي العامري فيما حكاه أبو حيان التوحيدي، وذكر حديثاً طويلاً ذكر فيه بيعة أبي بكر، وقال في آخره: وقام أبو بكر إليه يعني علياً عليه السلام فأخذ بيده، وقال: إن عصابة أنت منها يا أبا الحسن لمعصومة، وإن أمة أنت فيها لمرحومة، ولقد أصبحت عزيزاً علينا كريماً لدينا، نخاف الله إذا سخطت، ونرجوه إذا رضيت، ولولا إني شهدت لما أجبت إلى ما دعيت إليه، ولكني خفت الفتنة وإستيثار الأنصار بالأمر على قريش، وأعجلت عن حضورك ومشاورتك، ولو كنت حاضراً

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٨/١١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٩/١١.

لبايعتك، ولم أعدل بك، ولقد حط الله عن ظهرك ما أثقل كاهلي به، وما أسعد من ينظر الله إليه، وإنا إليك لمحتاجون، وبفضلك عالمون، وإلى رأيك وهداك في جميع الأحوال راغبون، وعلى حمايتك وحفيظتك معولون.[١]

وقال في أحاديث قصة الجمل: قال أبو مخنف: قام رجل إلى علي عليه السلام وقال: يا أمير المؤمنين أي فتنة أعظم من هذه إن البدرية لتمشي بعضها الى بعض بالسيف، فقال علي عليه السلام: ويحك أتكون فتنة أنا أميرها وقائدها، والذي بعث محمداً بالحق نبياً، وكرم وجهه ما كذبت ولا كذبت، ولا ضللت ولا ضل بي، ولا ذللت ولا ذل بي، واني على بينة من ربي، بيّنها الله لرسوله، وبيّنها رسوله لي، وسأدعى يوم القيامة ولا ذنب لي، ولو كان لي ذنب لكفر عني ذنوبي ما أنا فيه من قتالهم.

قال في الشرح: قال: إنه عليه السلام قد لزم نفسه العدل، والعدالة ملكة يصدر بها عن النفس الأفعال الفاضلة خلقاً لا تخلقاً.[٢]

وأقسام العدالة ثلاثة، هي الأصول، وما عداها من الفضائل فروع عليها:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧١/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٠/٦.

الأولى: الشجاعة ويدخل فيها السخاء، لأنه شجاعة، وتهوين للمال، كما أن الشجاعة الأصلية تهوين للنفس، فالشجاع في الحرب، جواد بنفسه، والجواد بالمال شجاع في إنفاقه، ولهذا قال الطائي:

أيقنت أن من السماح شجاعة تدمى وإن من الشجاعة جودا[١]

والثانية: العفة، وتدخل فيها القناعة والزهد والعفة.

والثالثة: الحكمة، وهي أشرفها.

ولم تحصل العدالة الكاملة لأحد من البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ لهذا الرجل، ومن أنصف علم صحة ذلك، فإن شجاعته وجوده، وعفته وقناعته وزهده، يضرب بها الأمثال.[٢]

وأما الحكمة والبحث في الأمور الإلهية، فلم يكن من فن أحد من العرب، ولا نقل في جهاد أكابرهم وأصاغرهم شيء من ذلك أصلاً، وهذا فن كانت اليونان وأوائل الحكماء وأساطين الحكمة، ينفردون به، وأول من خاض فيه من العرب علي عليه السلام، ولهذا تجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبثوثة في فرش كلامه وخطبه، ولا تجدن في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك، ولا يتصورونه، ولو فهموه لم يفهموه، وأنى للعرب ذلك، ولهذا انتسب المتكلمون الذين لجحوا في بحار المعقولات إليه خاصة، وسموه استادهم ورئيسهم، وأجتذبه كل فرقة من الفرق إلى نفسها، ألا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٠/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٠/٦

ترى أن أصحابنا ينتهون إلى واصل بن عطاء، وواصل تلميذ أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ إبيه محمد، ومحمد تلميد أبيه علي عليه السلام.[1]

فأما الشيعة من الإمامية والزيدية والكيسانية فأنتمائهم إليه ظاهر، والأشعرية فإنهم بالاخره ينتمون إليه، لأن أبا الحسن الأشعري تلميذ شيخنا أبي علي، وشيخنا أبو علي تلميذ أبي يعقوب الشحام، وأبو يعقوب تلميذ أبي الهذيل، وأبو الهذيل تلميذ عثمان الطويل، وعثمان الطويل تلميذ واصل بن عطاء، فعاد الأمر إلى انتهاء الأشعرية إلى علي عليه السلام.[2]

وأما الكرامية فإن الهيضم ذكر في كتابه المعروف بكتاب المقالات، أن أصل مقالتهم وعقيدتهم ينتهي إلى علي بن أبي طالب من طريقين:

أحدهما: بأنهم يسندون اعتقادهم عن شيخ بعد شيخ إلى أن ينتهي إلى سفيان الثوري، ثم قال: وسفيان الثوري من الزيدية.[3]

ثم سأل نفسه فقال: إذا كان شيخهم الأكبر الذي يتنهون إليه زيدياً، فما لكم أنتم لم تكونوا زيدية؟

وأجاب بأن سفيان الثوري، وإن اشتهر عنه التزيد إلاّ أن تزيده إنما كان عبارة عن موالاة أهل البيت عليهم السلام، وإنكار ما كان بنو أمية عليه من الظلم،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٣٧٠.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٣٧١.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٣٧١.

وإجلال زيد بن علي عليه السلام وتعظيمه، وتصويبه في أحكامه وأحواله، ولم ينقل عن سفيان الثوري طعن في أحد من الصحابة.

الطريق الثاني: إنه عد مشايخهم واحداً فواحداً حتى انتهى إلى علماء الكوفة من أصحاب علي عليه السلام كسلمة بن كهيل، وحبة العرني، وسالم بن الجعد، والفضل بن دكين، وشعبة، والأعمش، وعلقمة، وهبيرة بن مريم، وأبو إسحاق السبيعي، وغيرهم.[١]

ثم قال: وهولاء أخذوا العلم من علي ابن أبي طالب عليه السلام، فهو رئيس أهل الجماعة، يعني الصحابة، وأقوالهم منقولة عنه، ومأخوذة منه.[٢]

وأما الخوارج فإن إنتمائهم إليه ظاهر أيضاً مع طعنهم فيه، لأنهم أصحابه كانوا، وعنه مرقوا بعد أن تعلموا منه، وأقتبسوا عنه، وهم شيعته وأنصاره بالجمل وصفين، ولكن الشيطان ران على قلوبهم، وأعمى أبصارهم.[٣]

[أقول:] وأعلم أن ابن أبي الحديد في الشرح قد صرح بأنه عليه السلام معصوم.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٧١/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٧٢/٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٧٢/٦.

الباب
الخامس والثلاثون
في شجاعته عليه السلام وقوته

ابن أبي الحديد قال: أما الشجاعة فإنه أنسى الناس فيها ذكر من قبله، ومحى إسم من يأتي بعده ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فر قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلاّ قتله، ولا ضرب ضربة قط فأحتاجت الأولى إلى ثانية.[١]

وفي الحديث: كانت ضرباته وتراً.[٢]

ولما دعا معاوية إلى المبارزه، ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلاّ اليوم! أتأمرني بمبارزه أبي الحسن، وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي![٣]

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر، قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١.

لو أن قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبداً ما دمت في الأبد
لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد[١]

وأنتبه يوماً معاوية، فرأى عبد الله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره فقعد، فقال له عبد الله يداعبه: يا أمير المؤمنين، لو شئت أن أفتك بك لفعلت، فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر، قال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصف إزاء علي بن أبى طالب! قال: لا جرم إنه قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيت اليمنى فارغة، يطلب من يقتله بها.[٢]

وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي، وبإسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها.[٣]

وأما القوة والأيد: فبه يضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبه في المعارف: ما صارع أحداً قط إلاّ صرعه.[٤]

وهو الذي قلع باب خيبر، وأجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه، فلم يقلبوه، وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة، وكان عظيماً جداً، وألقاه إلى الأرض.[٥]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١/١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١/١.

[٥] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١/١.

وهو الذي اقتلع الصخره العظيمة في أيام خلافته عليه السلام بيده بعد عجز الجيش كله عنها، وأنبط الماء من تحتها.[١]

وقال عليه السلام: وكأني بقائلكم يقول إذا كان هذا قوت ابن أبى طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان، ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً، والرواتع الخضرة أرق جلوداً، والنباتات العذية أقوى وقوداً، وأبطأ خموداً.

وأنا من رسول الله كالضوء من الضوء، والذراع من العضد، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها، وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس، والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد.[٢]

وقال في الشرح: الشجرة البرية التي تنبت في البر الذي لا ماء فيه، فهي أصلب عوداً من الشجرة التي تنبت في الأرض الندية، وإليه وقعت الإشارة بقوله والرواتع الخضرة أرق جلوداً.[٣]

ثم قال: والنابتات العذية التي تنبت عذياً، والعذي -بسكون الذال- الزرع لا يسقيه إلاّ ماء المطر، وهو يكون أقل أخذاً من الماء من النبت سقياً،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١/١.

[٢] - نهج البلاغة ٧٢/٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٩/١٦.

قال عليه السلام: إنها تكون أقوى وقوداً مما يشرب الماء السائح أو ماء الناضح، وأبطأ خمودًا، وذلك لصلابة جرمها.[١]

ثم قال: وأنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالضوء من الضوء، والذراع من العضد، وذلك لأن الضوء الأول يكون علة في الضوء الثاني، ألا ترى أن الهواء المقابل للشمس يصير مضيئاً من الشمس، فهذا الضوء هو الضوء الأول، ثم إنه يقابل وجه الأرض فيضيء وجه الأرض منه، فالضوء الذي على وجه الأرض هو الضوء الثاني، وما دام الضوء الأول ضعيفاً، فالضوء الثاني ضعيف، فإذا ازداد الجو إضاءة ازداد وجه الأرض إضاءة، لأن المعلول يتبع العلة، فشبه عليه السلام نفسه بالضوء الثاني، وشبه رسول الله صلى الله عليه وآله بالضوء الأول، وشبه منبع الأضواء والأنوار سبحانه جلت أسماؤه بالشمس التي توجب الضوء الأول، ثم الضوء الأول يوجب الضوء الثاني.[٢]

وها هنا نكتة، وهي أن الضوء الثاني يكون أيضاً علة لضوء ثالث، وذلك أن الضوء الحاصل على وجه الأرض - وهو الضوء الثاني - إذا أشرق على جدار مقابل ذلك الجدار قريباً منه مكان مظلم، فإن ذلك المكان يصير مضيئاً بعد أن كان مظلماً، وإن كان لذلك المكان المظلم باب، وكان داخل البيت مقابل ذلك الباب جدار، كان ذلك الجدار أشد إضاءة من باقي البيت، ثم ذلك الجدار إن كان فيه ثقب إلى موضع آخر، كان ما يحاذي ذلك البيت

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٩/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٩/١٦.

أشد إضاءة مما حواليه، وهكذا لا تزال الأضواء يوجب بعضها بعضاً على وجه الإنعكاس بطريق العلية، وبشرط المقابلة، ولا تزال تضعف درجة درجة إلى أن تضمحل ويعود الأمر إلى الظلمة.[١]

وهكذا عالم العلوم، والحكم المأخوذة من أمير المؤمنين عليه السلام لا تزال تضعف كلما انتقلت من قوم إلى قوم إلى أن يعود الإسلام غريباً كما بدأ، بموجب الخبر النبوي الوارد في الصحاح.[٢]

وأما قوله: والذراع من العضد، فلأن الذراع فرع على العضد، والعضد أصل، ألا ترى أنه لا يمكن أن يكون ذراع إلاّ إذا كان عضد، ويمكن أن يكون عضد لا ذراع له، ولهذا قال الراجز لولده:

يــا بكر بكرين ويــا خلب الكبد أصبحت مني كذراع من عضد[٣]

فشبه عليه السلام بالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالذراع الذي العضد أصله وأسه، والمراد من هذا التشبيه الإبانة عن شدة الإمتزاج والإتحاد والقرب بينهما، فإن الضوء الثاني شبيه بالضوء الأول، والذراع متصل بالعضد اتصالاً بيّنا، وهذه المنزلة قد أعطاه إياها رسول الله صلى الله عليه وآله في مقامات كثيرة، نحو قوله في قصة براءة: قد أمرت أن لا يؤدي عني إلاّ أنا أو رجل مني، وقوله: لتنتهن يا بني وليعة أو لأبعثن إليكم رجلاً مني أو قال: عديل نفسي، وقد سماه

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٠/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٠/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٠/١٦.

الكتاب العزيز نفسه فقال: ﴿ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾،[١] وقد قال له: لحمك مختلط بلحمي، ودمك مسوط بدمي، وشبرك وشبري واحد.[٢]

فإن قلت: أما قوله: لو تظاهرت العرب عليّ لما وليت عنها.

فمعلوم، فما الفائدة في قوله: ولو أمكنت الفرصة من رقابها لسارعت إليها؟ وهل هذا مما يفخر به الرؤساء، ويعدونه منقبة، وإنما المنقبة أن لو أمكنته الفرصة تجاوز وعفا![٣]

قلت: غرضه أن يقرر في نفوس أصحابه وغيرهم من العرب أنه يحارب على حق، وأن حربه لأهل الشام كالجهاد أيام رسول الله ﷺ، وأن من يجاهد الكفار يجب عليه أن يغلظ عليهم، ويستأصل شأفتهم، ألا ترى أن رسول الله ﷺ لما جاهد بني قريظة، وظفر لم يبق ولم يعف، وحصد في يوم واحد رقاب ألف إنسان صبراً في مقام واحد، لما علم في ذلك من إعزاز الدين، وإذلال المشركين، فالعفو له مقام، والإنتقام له مقام.[٤]

وقال: وروى أبو عامر بن عبد الواحد الزاهد اللغوي، غلام ثعلب، ورواه أيضاً محمد بن حبيب في أماليه أن رسول الله ﷺ لما فر معظم أصحابه عنه يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين،وقصدته كتيبة من بني

---

[١] - آل عمران/٦١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩١/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩١/١٦.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩١/١٦.

كنانة ثم من بني عبد مناة بن كنانة، فيها بنو سفيان بن عويف، وهم خالد بن سفيان، وأبو الشعثاء بن سفيان، وأبو الحمراء بن سفيان، وأبو غراب بن سفيان، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي اكفني هذه الكتيبة، فحمل عليها، وإنها لتقارب خمسين فارساً، وهو عليه السلام راجل، فما زال يضربها بالسيف فتفترق عنه، ثم تجتمع عليه، هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة، وتمام العشرة منها، ممن لا يعرف بأسماهم، فقال جبرائيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمد هذه المواساة، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما يمنعه وهو مني وأنا منه، فقال جبرائيل: وأنا منكما.[١]

قال: وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء، لا يرى شخص الصارخ به ينادي مراراً: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ علي.

فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عنه فقال: هذا جبرئيل.[٢]

قلت: وروى هذا الخبر جماعة من المحدثين، وهو من الأخبار المشهورة، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن إسحاق، ورأيت بعضها خالياً عنه، وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكينة عن هذا الخبر، فقال: صحيح، فقلت له: فما بال الصحاح لم تشتمل عليه؟ قال: أوكلما كان صحيحاً

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥١/١٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥١/١٤.

يشتمل عليه كتب الصحاح! كم أهمل جامعوا الصحاح من الأخبار الصحيحة.[١]

ثم قال علي عليه السلام: لقد رأيتني يؤمئذ وإني لأذبهم في ناحية، وإن أبا دجانة لفي ناحية يذب طائفة منهم، حتى فرج الله ذلك كله، ولقد رأيتني وأنفردت منهم يومئذ فرقة خشناء، فيها عكرمة بن أبي جهل، فدخلت وسطهم بالسيف فضربت به، وأشتملوا عليّ حتى أفضيت إلى آخرهم، ثم كررت فيهم الثانية حتى رجعت من حيث جئت، ولكن الأجل استأخر، ويقضي الله أمراً كان مفعولاً.[٢]

قلت: قال ابن أبي الحديد بعد أن ذكر هذا الخبر: قال الواقدي: وطلع يومئذ عبد الرحمن بن أبي بكر على فرس مدججاً، لا يرى منه إلاّ عيناه، فقال من يبارز، أنا عبد الرحمن بن عتيق، فنهض إليه أبو بكر، وقال: أنا أبارزه، وجرد سيفه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: شم سيفك، وارجع إلى مكانك، ومتعنا بنفسك.[٣]

قال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ: وقد ثبت أبو بكر مع النبي صلى الله عليه وآله يوم أحد كما ثبت علي، فلا فخر لأحدهما على صاحبه في ذلك اليوم.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥١/١٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٥/١٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٦/١٤.

قال شيخنا أبو جعفر: أما ثباته يوم أحد فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه، وجمهورهم يروي أنه لم يبق مع النبيﷺ الاّ علي، وطلحة والزبير، وأبو دجانة.[١]

وقد روى عن ابن عباس قال: ولهم خامس، وهو عبد الله بن مسعود، ومنهم من أثبت سادساً، وهو المقداد بن عمرو.[٢]

وروى يحيى بن سلمة بن كهيل قال: قلت لأبي: كم ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد قال: اثنان، قلت: من هما؟ قال: علي وأبو دجانة.[٣]

وهب أن أبا بكر ثبت يوم أحد كما يدعيه الجاحظ، أيجوز أن يقول: ثبت كما ثبت علي، فلا فخر لأحدهما على الآخر، وهو يعلم آثار علي عليه السلام ذلك اليوم، وأنه قتل أصحاب الألوية من بني عبد الدار، منهم طلحة بن أبي طلحة الذي رأى رسول الله ﷺ في منامه أنه مردف كبشاً، فأوّله وقال كبش الكتيبة، فقتله، فلما قتله علي عليه السلام بارزه، وهو أول قتيل من المشركين ذلك اليوم، كبر رسول الله ﷺ وقال: هذا كبش الكتيبة.[٤]

وما كان منه من المحاماة عن رسول الله ﷺ، وقد فرّ الناس وأسلموه، فتصمد له كتيبة من قريش، فيقول: يا علي اكفني هذه، فيحمل

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٣/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٣/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد٢٩٣/١٣.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٣/١٣.

عليها فيهزمها، ويقتل عميدها حتى سمع المسلمون والمشركون صوتاً من قبل السماء، لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ علي.[١]

وحتى قال النبي عن جبرائيل ما قال، لكون هذه آثاره وأفعاله، ثم يقول الجاحظ لا فخر لأحدهما على صاحبه! ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الفاتحين.[٢]

قال الجاحظ: ولأبي بكر في ذلك اليوم مقام مشهور، خرج إبنه عبدالرحمن فارساً مكفراً في الحديد، يسأل المبارزة، ويقول أنا عبد الرحمن بن عتيق، فنهض إليه أبو بكر يسعى بسيفه، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شم سيفك، وارجع إلى مكانك، ومتعنا بنفسك.[٣]

قال شيخنا أبو جعفر رَحِمَهُ اللهُ: ما كان أغناك يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لأبي بكر، لو تسمعه الإمامية لأضافوه إلى ما عندها من المثالب، لأن قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ارجع دليل على أنه لا يحتمل مبارزة أحد، لأنه إذا لم يحتمل مبارزة إبنه، وأنت تعلم حق الابن على الأب، وتبجيله له، وإشفاقه عليه، وكف عنه، لم يحتمل مبارزة الغريب الأجنبي، وقوله متعنا بنفسك إيذان له بأنه كان يقتل لو خرج، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان أعرف به من

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٣/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٣/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٤/١٣.

الجاحظ، فأين حال هذا الرجل الذي صلى بالحرب، ومشى إلى السيف بالسيف، فقتل السادة والقادة والفرسان والرجال.[١]

قال الجاحظ: على أن أبا بكر وإن لم يكن آثاره في الحرب كآثار غيره، فقد بذل الجهد، وفعل ما يستطيعه وتبلغه قوته، وإذا بذل المجهود، فلا حال أشرف من حاله.[٢]

قال شيخنا أبو جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ: أما قوله إنه بذل الجهد، فقد صدق، وأما قوله: لا حال أشرف من حاله فخطأ، لأن حال من بلغت قوته أضعاف قوته فأعملها في قتل المشركين، أشرف من حال من نقصت قوته عند بلوغ الغاية، ألا ترى أن حال الرجل أشرف في الجهاد من حال المرأة، وحال البالغ الأيد أشرف من حال الصبي الضعيف.[٣]

فهذه جملة ما ذكره شيخنا أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي رَحِمَهُ اللَّهُ في نقض العثمانية، أقتصرنا عليها ها هنا، وسنورد فيما بعد إلى ذكر جملة أخرى من كلامه إذا اقتضت الحال ذكره.[٤]

وقال: قال شيخنا أبو جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ: لا ننكر فضل الصحابة وسابقتهم، ولسنا كالإمامية يحملهم الهواء على جحد الأمور المغلوبة، ولكنها تنكر

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٤/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٤/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٥/١٣.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٥/١٣.

تفضيل أحد من الصاحبة على علي عليه السلام، لسنا ننكر غير ذلك، وننكر تعصب الجاحظ للعثمانية، وقصده إلى فضائل هذا الرجل ومناقبه بالرد والإبطال.[١]

فأما حمزة فهو عندنا ذو فضل عظيم، ومقام جليل، وهو سيّد الشهداء الذين استشهدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما فضل عمر فغير منكر، وكذلك الزبير وسعد، وليس فيما ذكرنا يقتضي كون علي عليه السلام مفضولاً لهم أو لغيرهم إلاّ قوله، وكل هذه الفضائل لم تكن لعلي فيها ناقة ولا جمل.[٢]

قال: هذا من التعصب البارد، والحيف الفاحش، وقد قدمنا من آثار علي عليه السلام قبل الهجرة، وما له إذ ذاك من المناقب والخصايص ما هو أفضل وأعظم وأشرف من جميع ما ذكر لهؤلاء على أن أرباب السيرة يقولون إن الشجة التي شجها سعد، وإن السيف الذي سله الزبير، هو الذي جلب الحصار في الشعب على النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم، وهو الذي سيّر جعفر وأصحابه إلى الحبشة، وسل السيف في الوقت الذي لم يؤمن من المسلمون فيه، فسل السيف غير جائز، قال الله تعالى: ﴿**ألم ترَ الذين قيل لهم كفوا أيدكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلمّا كتب عليهم القتال اذ فريق منهم يخشون الناس**﴾،[٣] فبين أن التكليف له أوقات، فمنها وقت لا يصلح فيه سل السيف، ومنها وقت يصلح فيه ويحب، فأما قوله تعالى: ﴿**لا يستوي منكم**﴾،

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٥/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٥/١٣.

[٣] - النساء/٧٧.

فقد ذكرنا من عندنا في دعواهم لأبي بكر إنفاق المال، وأيضاً قال تعالى لم يذكر إنفاق المال، وإنما قرن به القتال، ولم يكن أبو بكر صاحب قتال وحرب، فلا تشمله الآية، وكان علي عليه السلام صاحب قتال وإنفاق قبل الفتح.[1]

أما قتاله فمعلوم بالضرورة، وأما إنفاقه فقد كان على حسب حاله وفقره، وهو الذي أطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وأنزلت فيه وفي زوجته وابنية سورة كاملة من القرآن، وهو الذي ملك أربعة دراهم، فأخرج منها درهماً سراً، ودرهماً علانية ليلاً، ثم أخرج منها في النهار درهماً سراً، ودرهماً علانية، فأنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية**﴾.[2]

وهو الذي قدم بين يدي نجواه صدقة دون المسلمين كافة، وهو الذي تصدق بخاتمه وهو راكع فأنزل الله فيه: ﴿**إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكون**﴾.[3]

قال الجاحظ: والحجة العظمى للقائلين بتفضيل علي عليه السلام على قتله الأقران وخوضه الحرب، وليس له في ذلك فضيلة، لأن كثرة المشي بالسيف إلى الأقران لو كان من أشد المحن أعظم الفضائل، وكان دليلاً على الرياسة والتقدم، لوجب أن يكون الزبير، وأبي دجانة، ومحمد بن مسلمة، وابن عفراء،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٦/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٦/١٣.

[3] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٦/١٣.

والبراء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله ﷺ، لأنه لم يقتل بيده إلاّ رجلاً واحداً، ولم يحضر يوم بدر ولا خالط الصفوف، وإنما كان معتزلاً عنهم في العريش ومعه أبو بكر، وأنت ترى الرجل الشجاع قد يقتل الأقران، ويجدل الأبطال وفوقه في العسكر من لا يقتل ولا يبارز، وهو الرئيس ذو الرأي والمستشار في الحرب، لأن للرؤساء من الاكتراث والاهتمام، وشغل البال، والغاية، والتعقد ما ليس لغيرهم، ولأن الرئيس هو المخصوص بالمطالبة، وعليه مدار الأمور، وبه يستبصر المقاتل ويستنصر، وبإسمه ينهزم العدو، ولم يكن له إلاّ الجيش لو ثبت وفر هو، لم يغر بثبوت الجيش، وكانت الدبرة عليهم، ولو ضيّع القوم جميعاً، وحفظ هؤلاء ينصر، وكانت الدولة، ولهذا لا يضاف النصر والهزيمة إلاّ إليه، ؟ ففضل أبي بكر بمقامه في العريش مع رسول الله ﷺ يوم بدر أعظم من جهاد علي ذلك اليوم، وقتل أبطال قريش.[١]

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: لهذا أعطي أبو عثمان مقولاً، وحرم معقولاً إن كان يقول هذا على اعتقاد وجد، ولم يذهب به الهزل على طريق التفاصح والتشادق، وإظهار القوة والسلاطة، وذلاقة اللسان، وحدة الخاطر، والقوة على جدال الخصوم.[٢]

ألم يعلم أبو عثمان أن رسول الله ﷺ كان أشجع البشر، وأنه خاض الحروب، وثبت في المواقف التي طاشت فيها الألباب، وبلغت القلوب

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٧/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٧/١٣.

الحناجر، فمنها يوم أحد ووقوفه، بل إنه فرّ المسلمون بأجمعهم، ولم يبق معه إلاّ أربعة علي، وطلحة، والزبير، وأبو دجانة، فقاتل ورمى النبل حتى فنيت نبله، وأنكسرت قوسه، وأنقطع وتره، فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها، فقال: يا رسول الله لا يبلغ الوتر، فقال له: أوتر ما بلغ، قال عكاشة: فوالذي بعثه بالحق لقد أوترت حتى بلغ، وطويت منه شبراً على سية القوس، ثم أخذها، فما زال يرميهم حتى نظرت إلى قوسه قد تحطمت، وبارز أبي بن خلف، فقال له أصحابه: إن شئت عطف عليه بعضنا فأبى، وتناول الحربة من الحارث بن الصمة، ثم تنفض بأصحابه كما ينتفض البعير، قالوا: فتطايرنا عنه تطاير العشارير، فطعنه بالحربة، فجعل يخور كما يخور الثور.[١]

ولو لم يدل على ثباته حين انهزم الصحابة وتركوه إلاّ قوله تعالى: ﴿اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم﴾،[٢] فكونه ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ في أخراهم وهم يصعدون ولا يلوون هاربين، دليل على أنه ثبت ولم يفر.[٣]

وثبت يوم حنين في تسعة من أهله ورهطه الأدنين، وقد فرّ المسلمون كلهم، والنفر التسعة يحدقون به، العباس أخذ بحكمة بغلته، وعلي بين يديه مصلت سيفه، والباقون حول بغلة رسول الله يمنة ويسرة، وقد انهزم المهاجرون

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٨/١٣.

[٢] - آل عمران/١٥١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٨/١٣.

والأنصار، وكلما فروا قدم هو ﴿صلوات الله عليه﴾ وصمم مستقدماً يلقى السيوف والنبال بصدره، ثم أخذ كفاً من بطحاء وحصب المشركين، وقال: شاهت الوجوه.[١]

والخبر المشهور عن علي عليه السلام وهو أشجع البشر، كنا إذا اشتد البأس، وحمي الوطيس، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله، ولذنا به.[٢]

فكيف يقول الجاحظ إنه ما خاض، ولا خالط الصفوف، وأي فرية أعظم من فرية من نسبة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإحجام واعتزال الحرب، ثم أي مناسبة من أبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى ليقيسه الجاحظ به وينسبه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الجيش والدعوة، رئيس الإسلام والملة، والملحوظ بين الصحابة وأعدائه بالسيادة، وإليه الإيماء والإشارة، وهو الذي حنق قريشاً والعرب، وورى أكبادهم بالبراءة من آلهتهم، وعنت دينهم، وتضليل أسلافهم، ثم وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم وأكابرهم، وحق لمثله إذا تنحى عن الحرب وأعتزلها أن يتنحى ويعتزل، لأن ذلك شأن الملوك والرؤساء إذا كان الجيش منوطاً لهم وببقائهم، فمتى هلك هلك الجيش، ومتى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه، وإن عطب جيشه بأن يستجد جيشاً آخر، ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الحرب بنفسه، وخطأوا الاسكندر لما بارز وقورا ملك الهند، ونسبوه إلى مجانبة الحكمة، ومفارقة الصواب والحزم،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٨/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/١٣.

فليقل لنا الجاحظ ما دخل لأبي بكر في هذا المعنى، ومن الذي كان يعرفه من أعداء الإسلام ليقصده بالقتل، وهل هو إلاّ واحد من عرض المهاجرين، حكمه حكم عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان وغيرهما، بل كان عثمان أكثر منه صيتاً، وأشرف منه مركباً، والعيون إليه تطمع، وعليه أحنق وأكلب، ولو قتل أبو بكر في بعض تلك المعارك هل كان يؤثر قتله في الإسلام ضعفاً أو حدث فيه وهناً أو يخاف على الملة لو قتل أبو بكر في بعض تلك الحروب أن تندرس وتعفى آثارها، وينطمس منارها ليقول الجاحظ إن أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله صلى الله عليه وآله في مجانبة الحرب واعتزالها، نعوذ بالله من الخذلان.[1]

وقد علم العقلاء كلهم ممّن له بالسير معرفة، وبالآثار والأخبار ممارسة حال حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كيف كانت، وحاله عليه السلام فيها كيف وقوفه حيث وقف، وحربه حيث حارب، وجلوسه في العريش يوم جلس، وإن وقوفه صلى الله عليه وآله وقوف رياسة وتدبير، ووقوف ظهر وسند، يتعرف أمور أصحابه، ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم، وتخلف عن التقدم في أوائلهم، ولأنهم متى علموا أنه في أخراهم أطمأنت قلوبهم، ولم تتعلق بأمره نفوسهم فيشتغلوا بالاهتمام به عن عدوهم، ولا يكون لهم فئة يلجئون إليها، وظهر يرجعون إليه، ويعلمون أنه متى كان خلفهم تفقد أمورهم، وعلم مواقفهم، وأراه كل إنسان مكانه في الحماية والنكاية، وعند المنازلة في الكر

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/١٣.

والحملة، فكان وقوفه حيث وقف أصلح لأمرهم، وأحمى وأحرس لبيضتهم، ولأنه المطلوب من بينهم، إذ هو مدبر أمرهم، ووالي جماعتهم.[1]

ألا ترون أن موقف صاحب اللواء موقف شريف، وأن صلاح الحرب في وقوفه، وأن فضيلته في ترك التقدم في أكثر حالاته، فللرئيس حالات، فحالة يتخلف ويقف آخراً ليكون سنداً، وقوة ورداً وعدة، وليتولى تدبير الحرب، ويعرف مواضع الخلل، وحالة يتقدم في وسط الصف ليقوي الضعيف، ويشجع الناكص، وحالة ثالثة، وهي إذا اصطدم الفيلقان، و تكافح السيفان، اعتمد على ما يقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح أو من مباشرة الحرب، فانها آخر المنازل، وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد، وفشالة الجبان المموه، فأين مقام الرياسة العظمى لرسول الله ﷺ، وأين منزلة أبي بكر، ليسوي بين المنزلين، ويناسب بين الحالتين، ولو كان أبو بكر شريكاً لرسول الله ﷺ في الرسالة، وممنوحاً من الله تعالى بفضيلة النبوة، وكانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمد عليه السلام وأن يدبر من أمر الإسلام، وتسريب العساكر، وتهجيز السرايا، وقتل الأعداء ما يدبره محمد ﷺ لكان للجاحظ أن يقول ذلك، فأما وحاله وهو أضعف المسلمين جناناً، وأقلهم عند العرب ترة، لم يرم قط بسهم، ولا سل سيفاً، ولا أراق دماً، وهو أحد الأتباع غير مشهور ولا معروف، ولا طالب ولا مطلوب.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٠/١٣.

فكيف يجوز يجعل مقامه ومنزلته مقام رسول الله صلى الله عليه وآله ومنزلته، ولقد خرج ابنه عبد الرحمن مع المشركين يوم أحد فرآه أبو بكر فقام مغيظاً عليه، فسل من السيف مقدار اصبع، يريد البروز إليه، فقال له رسول الله: يا أبا بكر شم سيفك، وأمتعنا بنفسك، ولم يقل له أمتعنا بنفسك إلاّ لعلمه بأنه ليس أهلاً للحرب وملاقاة الرجال، وإنه لو بارز لقتل، وكيف يقول الجاحظ لا نصيب له في مباشرة الحروب، ولقاء الأقران، وقتل أبطال الشرك، وهل قامت عمد الإسلام إلاّ على ذلك، وهل ثبت الدين وأستقر إلاّ بذلك، أتراه لم يسمع قول الله تعالى: ﴿**يحب الله الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص**﴾،[1] والمحبة من الله هي إرادة الثواب، فكل من كان أشد ثبوتاً في الصف، وأعظم قتالاً كان أحب إلى الله، ومعنى الأفضل هو الأكثر ثواباً، فعلي عليه السلام إذاً هو أحب المسلمين إلى الله، لأنه أثبتهم قدماً في الصف المرصوص، لم يفر قط بإجماع الأمة، ولا بارز قرن إلاّ قتله، وأتراه، لم يسمع قول الله تعالى: ﴿**وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً**﴾،[2] وقوله: ﴿**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن**﴾،[3] ثم قال سبحانه مؤكداً لهذا البيع والشراء: ﴿**ومن أوفى بعهده**

---

[1] - الصف/٤.

[2] - النساء/٩٥.

[3] - التوبة/١١١.

من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم وذلك هو الفوز العظيم﴾،[١] وقال تعالى: **﴿ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلاّ كتب لهم به عمل صالح﴾.**[٢]

فمواقف الناس في الجهاد على أحوال، وبعضهم في ذلك أفضل من بعض، فمن دلف إلى الأقران، وأستقبل السيوف والأسنة، كان أثقل على أكتاف الأعداء لشدة نكايته، فهم من وقف في المعركة وأعان ولم يقدم، وكذلك من وقف في المعركة وأعان ولم يقدم إلاّ أنه بحيث تناله السهام والنبل أعظم غناء، وأفضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك، ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة لقلة بسط الكف، وترك الحرب، وأن ذلك يشاكل فعل النبي صلى الله عليه وآله، لكان أوفر الناس حظاً، وأشدهم لها استحقاقاً حسان بن ثابت، وإن بطل فضل علي عليه السلام في الجهاد، لأن النبي صلى الله عليه وآله كان أقلهم قتالاً كما زعم الجاحظ، ليبطلن على هذا القياس فضل أبي بكر في الإتفاق، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أقلهم مالاً، وأنت إذا تأملت أمر العرب وقريش، ونظرت السير، وقرأت الأخبار، عرفت أنها كانت تطلب محمداً عليه السلام، وتقصد قصده، وتروم قتله، فإن أعجزها وفاتها طلبت علياً عليه السلام وأرادت قتله، لأنه كان أشبههم بالرسول حالاً، وأقربهم منه قربى، وأشدهم منه دفعاً، وأنهم متى

---

[١] - التوبة/١٢٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨١/١٣.

قصدوا علياً فقتلوه أضعفوا أمر محمد ﷺ وكسروا شوكته، إذ كان أعلى من ينصره في البأس والقوة، والشجاعة، والنجدة، والإقدام، والبسالة.[١]

ألا ترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر، وقد خرج هو وأخوه شيبة، وإبنه الوليد بن عتبة، فأخرج إليهم رسول الله ﷺ نفراً من الأنصار فأستنسبوهم فأنتسبوا لهم، فقال: أرجعوا إلى قومكم، ثم نادوا يا محمد أخرج إلينا الأكفاء من قومنا، فقال النبي ﷺ لأهله الأدنين: قوموا يا بني هاشم، فأنصروا حقكم الذي أتاكم الله على باطل هؤلاء، قم يا علي، قم يا عبيدة، ألا ترى ما جعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم أحد، لأنه اشترك هو وحمزة في قتل أبيها يوم بدر، ألم تسمع قول هند ترثي أهلها:

ما كان من عتبة لي من صبر ... أبي وعمي وشقيق صدري

أخي الذي كان كضوء البدر ... بهم كسرت يا علي ظهري[٢]

وذلك لأنه قتل أخاها الوليد بن عتبة، وشرك في قتل أبيها عتبة، وأما عمها شيبة فإن حمزة تفرد بقتله، وقال جبير بن مطعم لوحشي يوم أحد: إن قتلت محمداً فأنت حر، وإن قتلت علياً فأنت حر، وإن قتلت حمزة فأنت حر، فقال: أما محمد فيمنعه أصحابه، وأما علي فرجل حذر، كثير الإلتفات في الحرب، ولكني سأقتل حمزة، فقصد له وزرقه الحربة فقتله.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٢/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٣/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٣/١٣.

ولما قلناه من مقاربة حال علي عليه السلام في هذا الباب لحال رسول الله صلى الله عليه وآله ومناسبتها إياها، لما وجدناه في السير والأخبار من اشفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وحذره عليه، ودعائه له بالحفظ والسلامة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الخندق وقد برز إلى عمرو، ورفع يديه إلى السماء بمحضر أصحابه: اللهم إنك أخذت مني حمزة يوم أحد، وعبيدة في يوم بدر، فأحفظ اليوم عليّ علياً، ربّ لا تذرني فرداً، وأنت خير الوارثين، ولذلك ضنّ به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً، في كلها يحجمون، ويقدم علي فيسأله الإذن له في البراز حتى قال صلى الله عليه وآله إنه عمرو، فقال: وأنا علي، فأذن له وقبّله وعممه بعمامة، وخرج معه خطوات كالمودع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه، ثم لم يزل صلى الله عليه وآله رافعاً يديه إلى السماء، مستقبلاً بوجهه، والمسلمون صموت حوله، كأنما على رؤوسهم الطير حتى ثارت الغبرة، وسمعوا التكبير من تحتها، فعلموا أن علياً قتل عمرو، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين.[1]

ولذلك قال حديفة: لو قسمت فضيلة علي بقتله عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٣/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٤/١٣.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ قال: قال: بعلي بن أبي طالب.[1]

وأعلم أن كل دم أراقه رسول الله صلى الله عليه وآله بسيف علي عليه السلام، وبسيف غيره، فإن العرب بعد وفاته عليه السلام عصبت تلك الدماء لعلي بن أبي طالب وحده، لأنه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعهم، وسنتهم وعادتهم أن يعصب به تلك الدماء إلاّ علي وحده، وهذه عادة العرب إذا قتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل، فإن مات أو تعذر عليها مطالبته، طالبت بها أمثل الناس من أهله.[2]

وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن احمد بن زيد فقلت له: إني لأعجب من علي عليه السلام كيف بقي تلك المدة الطويلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وكيف ما أغتيل وفتك به في جوف منزله، مع تلظي الأكباد عليه؟ فقال: لولا أنه أرغم أنفه بالتراب، ووضع خده في حضيض الأرض لقتل، ولكنه لما حمل نفسه، وأشتغل بالعبادة والصلاة، والنظر في القرآن، وخرج عن ذلك الزي الأول، وذلك الشعار، ونسي السيف، وصار كالفاتك يثوب ويصير سايحاً في الأرض أو راهباً في الجبال، ولما أطاع القوم الذين ولوا الأمر، وصار أذل لهم من الحذاء، تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدم عليه إلاّ بمواطاة من متولي

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٤/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٠/١٣.

الأمر، وباطن السر منه، فلما لم يكن لولاة الأمر باعث وداع إلى قتله، وقع الإمساك عنه، لولا ذلك لقتل، ثم الأجل بعد معقل حصين .[١]

فقلت له: أحق ما يقال في حديث خالد؟ فقال: إن قوماً من العلوية يذكرون ذلك، وقد روي أن رجلاً جاء إلى زفر بن الهذيل صاحب أبي حنيفة فسأله عما يقول أبو حنيفة في جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم، نحو الكلام، والفعل الكثير، والحدث، فقال: إنه جايز، قد قال أبو بكر في تشهده ما قال، فقال الرجل: وما الذي قال أبو بكر؟ قال: لا عليك، فأعاد السؤال ثانية وثالثة، فقال: اخرجوه، قد كنت أحدث أنه من أصحاب أبي الخطاب.[٢]

قلت له: فما الذي تقول أنت؟ قال: أنا أستبعد ذلك وإن روته الإمامية، ثم قال: أما خالد فلا أستبعد منه الإقدام عليه لشجاعته في نفسه، ولبغضه إياه، ولكني أستبعده من أبي بكر، فإنه كان ذو ورع، ولم يكن ليجمع بين أخذ الخلافة، ومنع فدك، وإغصاب فاطمة، وقتل علي، حاش لله من ذلك.[٣]

فقلت له: أكان خالد يقدر على قتله؟ قال: نعم، ولم لا يقدر على ذلك والسيف في عنقه، وعلي أعزل غافل عما يراد به، قد قتله ابن ملجم غيلة، وخالد أشجع من ابن ملجم.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠١/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠١/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٢/١٣.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٢/١٣.

فسألته عما ترويه الإمامية في ذلك كيف ألفاظه فضحك، وقال: كم عالم بالشيء وهو يُسايل.

ثم قال: دعنا من هذا، ما الذي تحفظ في المعنى، قلت له: قول أبي الطيب:

نحن أدرى وقد سألنا بنجد أطويل طريقنا أم يطول

وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رده تعليل

فأستحسن ذلك، وقال: لمن عجز البيت الذي استشهدت به؟ قلت: لمحمد بن هاني المغربي، وأوله:

في كل يوم أستزيد تجارباً كم عالم بالشيء وهو يسايل

فبارك عليّ مراراً، ثم قال: نترك الآن هذا، ونتمّ ما كنا فيه، وكنت أقرأ عليه في ذلك الوقت جمهرة النسب لإبن الكلبي، فعدنا إلى القراءة، وعدلنا عن الخوض عما كان أعترض الحديث فيه.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٢/١٣.

الباب
السادس والثلاثون
في رد إيراد الجاحظ على شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام

قال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ: على أن مشي الشجاع بالسيف إلى الأقران ليس على ما يتوهمه من لا يعلم باطن الأمر، لأن معه في حال مشيه إلى الأقران بالسيف أموراً أخرى لا يبصرها الناس، وإنما يقضون على ذلك ما يرون من إقدامه وشجاعته، فربما كان سبب ذلك الحوج، وربما كان العرارة والحداثة، وربما كان الإحراج والحمية، وربما كان لمحبة الفلج والأحدوثة، وربما كان طباعاً لطباع القاسي والرحيم، والسخي والبخيل.[1]

قال: قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: فيقال للجاحظ فعلى أيها كانت مشي علي بن أبي طالب إلى الأقران بالسيف، وأيها قلت من ذلك كانت عداوتك لله ولرسوله، وإن كان مشيته ليس على وجه مما ذكرت، وإنما كان على وجه النصرة والقصد إلى المسابقة إلى قرب الآخرة، والجهاد في سبيل الله، وإعزاز الدين كنت بجميع ما قلت معانداً، وعن سبيل الإنصاف خارجاً، وفي إمام المسلمين طاعناً، وإن تطرق في مثل هذا الوهم على علي عليه السلام ليتطرقن مثله على أعيان المهاجرين والأنصار، وأرباب الجهاد والقتال الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وآله بأنفسهم، ووقوه بمهجهم، وفدوه بأبنائهم وآبائهم، فلعل ذلك كان

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٤/١٣.

لعلة من العلل المذكورة في ذلك الطعن في الدين، وفي جماعة المسلمين، ولو جاز أن يتوهم هذا في علي عليه السلام وغيره، لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حكاية عن الله تعالى لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ولا قال لعلي عليه السلام: برز الإيمان كله للشرك كله، ولا قال: أوجب طلحة، وقد علمنا ضرورة من دين الرسول صلى الله عليه وآله تعظيمه لعلي عليه السلام، تعظيماً دينياً لأجل جهاده ونصرته، والطاعن فيه طاعن في رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ زعم أنه يمكن أن يكون جهاده لا لوجه الله تعالى، بل لأمر آخر من الأمور التي عددها، وبعثه على التفوه بها أغواء الشيطان وكيده، والإفراط في عداوة من أمر الله تعالى بمحبته، ونهى عن بغضه وعداوته.[1]

أترى رسول الله صلى الله عليه وآله خفي عليه من أمر علي عليه السلام ما لاح للجاحظ والعثمانية، فمدحه وهو غير مستحق للمدح.[2]

وقال الجاحظ: فصاحب النفس المختارة المعتدلة يكون قتاله طاعة، وفراره معصية، لأن نفسه معتدلة كالميزان في استقامة لسانه وكيفيته، فإذا لم يكن كذلك، كان إقدامه طباعاً، وفراره طباعاً.[3]

وقال: قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: فيقال له: فلعل إنفاق أبي بكر على ما تزعم أربعين ألف درهم لا ثواب له، لأن نفسه ربما تكون غير معتدلة، لأنه

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٥/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٦/١٣.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٦/١٣.

يكون مطبوعاً على الجود والسخاء، ولعل خروجه مع النبي صلى الله عليه وآله يوم الهجرة إلى الغار لا ثواب له، لأسباب كانت له بهيجة، ودواعيه غالبة، لحبه كان الخروج، وبغضه المقام، ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه للإسلام، وإكبابه على الصلوات الخمس في جوف الليل، وتدبيره أمر الأمة لا ثواب له فيه، لأنه قد تكون نفسه غير معتدلة، بل يكون في طبعه الرياسة، وحبه العبادة والالتذاذ بها، ولقد كنا نعجب من مذهب أبي عثمان أن المعارف ضرورة، وأنها تقع طباعاً، وفي قوله بالتولد وحركه الحجر بالطبع، رأينا من قوله ما هو أعجب منه، فزعم أنه ربما يكون جهاد علي عليه السلام وقتله المشركين لا ثواب له فيه، لأن فعله طبعاً، وهذا أطرف من قوله في المعرفة وفي التوليد.[1]

قال الجاحظ: ووجه آخر أن علياً عليه السلام لو كان كما تزعم شيعته ما كان له بقتل الأقران كبير فضيلة، ولا عظيم طاعة، لأنه قد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين، فإذا كان قد وعده بالبقاء بعده، فقد وثق بالسلامة من الأقران، وعلم أنه منصور عليهم وقاتلهم، فعلى هذا يكون جهاد طلحة والزبير أعظم طاعة منه.[2]

قال: قال أبو جعفر رحمه الله: هذا راجع إلى الجاحظ في النبي صلى الله عليه وآله، لأن الله تعالى قال له: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾،[3] فلم يكن له في جهاده كبير

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٦/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٦/١٣.

[3] - المائدة/٦٧.

طاعة، كثير من الناس يروي عنه ﷺ اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر، فوجب أن يبطل جهادهما، وقد قال للزبير ستقاتل علياً وأنت ظالم له، فأشعره بذلك أنه لا يموت في حياة رسول الله ﷺ، وقال في الكتاب العزيز لطلحة: ﴿**وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده**﴾،[١] قالوا: نزلت في طلحة، فأعلمه بذلك أنه يبقى، فوجب أن لا يكون له كبير ثواب في الجهاد، والذي صح عندنا من الخبر وهو قوله: ستقاتل بعدي الناكثين أنه قال له لما وضعت الحرب أوزارها، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ووضعت الجزية، ودانت العرب قاطبة.[٢]

قال: قال أبو جعفر: لما جزع عمرو بن عبد ود الخندق في ستة فرسان هو أحدهم، فصار مع أصحاب النبي ﷺ على أرض واحدة، وهم ثلاثة آلاف، ودعاهم إلى البراز مراراً، لم ينتدب أحد منهم للخروج إليه، ولا سمح منهم أحد بنفسه، حتى وبخهم وقرعهم، وناداهم ألستم تزعمون أنه من قتل منا فإلى النار، ومن قتل منكم فإلى الجنة؟ أفلا يشتاق أحدكم أن يذهب إلى الجنة، أو يقدم عدوة إلى النار، فجبنوا كلهم ونكلوا، ودخلهم الرعب والوهل.

فإما أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه أو كون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفشلهم، وقد روى الناس كلهم الشعر الذي أنشده لما

---

[١] - الاحزاب/٥٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٧/١٣.

نكل القوم بجمعهم عنه، وأنه جال بفرسه وأستدار وذهب يمنة، ثم ذهب يسرة، ثم وقف تجاه القوم فقال:

ولقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشيع موقف القرن المناخز
وكذاك أني لم أزل متسرعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرايز

فلما برز إليه علي عليه السلام أجابه فقال له:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة يرجو الغداة نجاة فايز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنايز
من ضربة تفنى ويبقى ذكرها عند الهزاهز[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩١/١٣.

الباب
السابع والثلاثون
في مبيت علي عليه السلام على الفراش ليلة الهجرة وإمتحانه عليه السلام وفضيلته على أبي بكر

قال ابن أبي الحديد قال: قال شيخنا: قد بينا الأخبار الصحيحة والخبر المرفوع السند أنه كان يوم أسلم بالغاً كاملاً، منابذاً بلسانه وقلبه لمشركي قريش، ثقيلاً على قلوبهم، وهو المخصوص دون أبي بكر بالحصار بالشعب، وصاحب الخلوات برسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الظلمات، المتجرع الغصص المرار من أبي لهب، وأبي جهل وغيرهما، والمصطلي لكل مكروه، والشريك لنبيه في كل أذى، قد نهض بالحمل، وبان بالأمر الجليل، ومن الذي كان يخرج ليلاً من الشعب على هيئة السارق، يخفي نفسه، ويضائل شخصه حتى يأتي إلى من يبعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش، كمطعم بن عدي وغيره، فيحمل لبني هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح، وهو على أشد خوف من أعدائهم كأبي جهل وغيره، ولو ظفروا به لأراقوا دمه، أعلي كان يفعل ذلك أيام الحصار في الشعب أم أبو بكر، وقد ذكر هو عليه السلام حاله يومئذ فقال في خطبة له مشهورة: فتعاقدوا ألا يعاملونا، ولا يناحكونا، وأوقدت العرب علينا نيرانها، وأضطررنا إلى جبل وعرن مؤمننا يرجو الثواب، وكافرنا يحامي عن الأهل، ولقد كانت القبائل كلها أجتمعت عليهم، وقطعوا عنهم

المادة والميرة، فكانوا يتوقعون الموت جوعاً صباحاً ومساءاً، لا يرون وجهاً، ولا فرجاً، قد اضمحل عزمهم، وأنقطع رجاهم، فمن الذي خلص إليه مكروه تلك المحن بعد محمد ﷺ إلاّ علي وحده، وما عسى أن يقول الواصف والمطنب في هذه الفضيلة من تقصي معانيها، وبلوغ غاية كنهها، وفضيلة الصابر عندها، ودامت عليهم هذه المحنة ثلاث سنين حتى انفرجت عنهم بقصة الصحيفة، والقصة مشهورة، وكيف يستحسن الجاحظ لنفسه أن يقول في علي أنه قبل الهجرة، كان وادعاً، رافهاً، لم يكن مطلوباً ولا طالباً، وهو صاحب الفراش الذي فدى رسول الله بنفسه ووقاه بمهجته، وأحتمل وقع السيوف، ورضخ الحجارة دونه، وهل ينتهي الواصف وإن أطنب، والمادح وإن أسهب إلى الإبانة عن مقدار هذه الفضيلة، والإيضاح بمزية هذه الخصيصة.[١]

وأما قوله أن أبا بكر عذب بمكة، وإنا لا نعلم أن العذاب كان واقعاً إلاّ بعبد عسيف أو بمن لا عشيرة له تمنعه، فأنتم في أبي بكر بين أمرين تارة تجعلونه دخيلاً سامعاً، وهجيناً، ورذلاً مستضعفاً ذليلاً، وتارة تجعلونه رئيساً متبعاً، وكبيراً مطاعاً، فأعتمدوا على أحد القولين لنكلمكم بحسب ما تختارونه لأنفسكم، ولو كان الفضل في الفتنة و العذاب لكان عمار وحباب وبلال، وكل معذب بمكة أفضل من أبي بكر، لأنهم كانوا من العذاب في أكثر مما

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٣/١٣.

كان فيه، ونزل فيهم من القرآن ما لم ينزل فيه كقوله تعالى: ﴿**والذين هاجروا في الله من بعد ماظلموا**﴾.[١]

قالوا: نزلت في حباب وبلال، ونزل في عمار قوله: ﴿**إلاّ من اكره وقلبه مطمئن بالايمان**﴾،[٢] وكان رسول الله ﷺ مر على عمار وأبيه وأمه وهم يعذبون، يعذبهم بنو مخزوم، لأنهم كانوا حلفائهم فيقول: صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة.[٣]

وكان بلال يقلب على الرمضاء، وهو يقول أحد أحد، وما سمعنا لأبي بكر في شيء من ذلك ذكراً، ولقد كان لعلي عليه السلام عنده يد غراء إن صح ما رويتموه في تعذيبه، لأنه قتل نوفل بن خويلد، وعمير بن عثمان يوم بدر، ضرب نوفلاً فقطع ساقه، فقال: أذكرك الله والرحم، فقال: قد قطع الله كل رحم وصهر إلاّ من كان تابعاً لمحمد، ثم ضربه ضربة أخرى ففاضت نفسه، وصمد لعمير بن عثمان التميمي فوجده يروم الهرب، وقد أرتج عليه المسلك، فضربه على شراسيف صدره، فصار نصفه الأعلى بين رجليه، وليس أن أبا بكر لم يطلب بثاره منهما ويجتهد، لكنه لم يقدر على أن يفعل فعل علي عليه السلام فبان علي عليه السلام بفعله دونه.[٤]

---

[١] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٥/١٣، النحل/٤١.

[٢] – النحل/١٠٦.

[٣] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٥/١٣.

[٤] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٥/١٣.

قال الجاحظ: ولأبي بكر مراتب لا يشرك فيها علي ولا غيره، وذلك قبل الهجرة، فقد علم الناس أن علياً عليه السلام إنما ظهر فضله، وأنتشر صيته وأمتحن، ولقي المشاق منذ يوم بدر، إنما قاتل في الزمان الذي استوى فيه الإسلام، وأهل الشرك، وطمعوا في أن يكون الحرب بينهم سجالاً، وأعلمهم الله تعالى أن العاقبة للمتقين، وأبو بكر كان قبل الهجرة معذباً، ومطروداً مشرداً في الزمان الذي ليس بالإسلام وأهله نهوض ولا حركة، ولذلك قال أبو بكر في خلافته: طوبى لمن مات في نأنأة الإسلام، يقول في ضعفه.[١]

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: لا أشك أن الباطل خان أبا عثمان، والخطأ أقعده، والخذلان اصاره إلى الحيرة، فما علم وعرف حتى قال ما قال، فزعم أن علياً قبل الهجرة لم يمتحن، ولم يكابد المشاق، وإنه إنما قاسى مشاق التكليف، ومحن الابتلاء منذ يوم بدر، ونسي الحصار في الشعب، وما مني به منه، وأبو بكر وادع رافه، يأكل ما يريد، ويجلس مع من يحب، مخلى سربه، طيبة نفسه، ساكناً قلبه، وعلي يقاسي الغمرات، ويكابد الأهوال، ويجوع ويظمأ، ويتوقع القتل صباحاً ومساءاً، لأنه كان هو المتوصل المحتال في إحضار قوت زهيد من شيوخ قريش، وعقلائها سراً، ليقيم به رمق رسول الله صلى الله عليه وآله وبني هاشم، وهم في الحصار، ولا يأمن في كل وقت مفاجأة أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله بالقتل كأبي جهل بن هشام، وعقبة بن معيط، والوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة، وغيرهم من فراعنة قريش وجبابرتها، ولقد كان يجيع

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٥/١٣.

نفسه، ويطعم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ زاده، ويظميء نفسه، ويسقيه ماءه، وهو كان المُعلل له إذا مرض، والمؤنس له إذا استوحش، وأبو بكر بنجوة عن ذلك لا يمسه مما يمسهم ألم، ولا يلحقه ما لحقهم مشقة، ولا يعلم بشيء من أخبارهم وأحوالهم إلاّ على سبيل الإجمال دون التفصيل، ثلاث سنين محرمة معاملتهم، ومناكحتهم، ومجالستهم، محبوسين محصورين، ممنوعين من الخروج في التصرف في أنفسهم، فكيف أعمل الجاحظ هذه الفضيلة، ونسي هذه الخصيصة، ولا نظير لها.[1]

ولكن الجاحظ لا يبالي بعد أن يسوغ له لفظه، وتتسق له خطابته، ما ضيع من المعنى، ورجع عليه من الخطأ.[2]

وأما قوله: وأعلموا أن العاقبة للمتقين، ففيه إشارة إلى معنى غامض قصده الجاحظ، يعني أن لا فضيلة لعلي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في الجهاد، لأن الرسول كان علمه أنه منصور، وأن العاقبة له، وهذا من دسائس الجاحظ وهمزاته، وليس بحق ما قاله إن الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ علم أصحابه جملة أن العاقبة لهم، ولم يعلم واحداً منهم بعينه أن لا يقتل لا علياً ولا غيره، وإن صح أنه كان أعلمه أنه لا يقتل، فلم يعلمه أنه لا يقطع عضو من أعضائه، ولم يعلمه أنه لا يمسه ألم الجراح في جسده، ولم يعلمه أنه لا يناله الضرب الشديد، وعلى أن رسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قد أعلم أصحابه قبل بدر، وهو يومئذ بمكة أن العاقبة لهم، كما أعلم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٦/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٧/١٣.

أصحابه بعد الهجرة ذلك، فإن لم يكن لعلي والمجاهدين فضيلة في الجهاد بعد الهجرة لإعلامه إياهم ذلك، فلا فضيلة لأبي بكر وغيره في احتمال المشاق قبل الهجرة، لإعلامه إياهم بذلك، فقد جاء في الخبر أنه وعد أبا بكر قبل الهجرة بالنصر، وأنه قال له أرسلت إلى هؤلاء بالذبح، وأن الله تعالى سيغنمنا أموالهم، ويملكنا ديارهم، فالقول في الموضعين مساو متفق.[١]

قال الجاحظ: وإن بين المحنة في الدهر الذي صار فيه أصحاب النبي ﷺ مقرنين لأهل مكة، ومشركي قريش، ومنهم أصحاب يثرب أصحاب النخيل والأطام، والشجاعة والصبر، والمواساة والإيثار، والمحاماة، والعدد الدثر، والفعل الجزل، وبين الدهر الذي كانوا فيه بمكة يفتنون، ويشتمون ويضربون، ويشردون ويجوعون، ويعطشون مقهورين، لا حراك بهم، وأذلاء لا عزّ لهم، وفقراء لا مال لهم، ومستحقين لا يمكنهم اظهار دعوته، لفرقاً واضحاً، ولقد كانوا في حال أحوجت لوطاً وهو نبي إلى أن قال: ﴿**لو ان لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد**﴾،[٢] فقال النبي ﷺ: عجبت من أخي لوط كيف قال أو آوي إلى ركن شديد، وهو يأوي إلى الله تعالى، ثم لم يكن ذلك يوماً ولا يومين، ولا شهر ولا شهرين، ولا عاماً ولا عامين، ولكن السنين

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٧/١٣.

[٢] - هود/٨٠

بعد السنين، وكان أغلظ القوم وأشدهم محنة بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أبو بكر، ثلاث عشرة سنة، وهو أوسط ما قالوا في مقام النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.[1]

قال: قال شيخنا أبو جعفر رَحِمَهُ اللهُ: ما نرى الجاحظ أحتج لكون أبي بكر أغلظهم وأشدهم محنة إلاّ بقوله إنه أقام بمكة مدة مقام الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ بها، وهذه الحجة لا تخص أبا بكر وحده، لأن علياً أقام معه هذه المدة، وكذلك طلحة وزيد، وعبد الرحمن، وبلال، وخباب، وغيرهم، وقد كان الواجب أن يخص أبا بكر وحده بحجة تدل على أنه كان أغلظ الجماعة، وأشدهم محنة بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فالإحتجاج في نفسه فاسد، بل يقال ما بالك أهملت أمر مبيت علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على الفراش ليلة الهجرة، وهل نسيته أم تناسيته، فإنها المحنة العظيمة، والفضيلة الشريفة التي لو أمتحنها الناظر، وأجال فكره فيها، رأى تحتها فضايل متفرقة، ومناقب متناثرة، وذلك أنه لما استقر الخبر عند المشركين أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مجمع على الخروج من بينهم، والهجرة إلى غيرهم، قصدوا إلى المعاجلة، وتعاقدوا على أن يبيتوه في فراشه، وأن يضربوه بأسياف كثيرة، بيد كل صاحب قبيلة من قريش سيف منها ليضيع دمه بين الشعوب، ويتفرق بين القبائل، ولا يطلب بنو هاشم بدمه قبيلة واحدة بعينها من بطون قريش، وتحالفوا على تلك الليلة، وأجتمعوا عليها، فلما علم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذلك من أمرهم دعا أوثق الناس عندهم، وأميلهم في نفسه، وأبذلهم في ذات الله بمهجته وأسرعهم إجابة إلى طاعته فقال له: إن قريشاً قد تحالفت

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٧/١٣.

على أن تبيتني هذه الليلة، فأمض إلى فراشي، ونم في مضجعي، والتفّ ببردي الحضرمي، ليروا أني لم أخرج إن شاء الله، فمنعه أولاً من التحرز، وإعمال الحيلة، وصده عن الإستظهار لنفسه بنوع من أنواع المكايد، والجهات التي تحتاط بها الناس لنفوسهم، والجأه إلى أن يعرض نفسه لظبات السيوف الشحيذة من أيدي أرباب الحنق والغيظ.[١]

فأجاب إلى ذلك سامعاً مطيعاً، طيبة نفسه بها، ونام على فراشه صابراً محتسباً، واقياً له بمهجته ينتظر القتل، ولا نعلم فوق بذل النفس درجة يلتمسها صابر، ولا يبلغها طالب، والجود بالنفس أقصى غاية الجود.[٢]

ولولا أن رسول الله ﷺ علمه أنه أهل لذلك، ولو كان عنده نقص في صبره أو في شجاعته أو في مناصحته لابن عمه، واختير لذلك لكان من اختاره ﷺ منقوصاً في رأيه، مضراً في اختياره، ولا يجوز أن يقول في هذا أحد من الإسلام، وكلهم يجمعون على أن الرسول ﷺ عمل الصواب، وأحسن في الاختيار، ثم في ذلك إذا تأمله المتأمل وجوه من الفضل.[٣]

منها: إنه وإن كان عنده في موضع الثقة، فإنه غير مأمون عليه أن لا يضبط السرّ، فيفسد التدبير بإفشائه تلك الليلة إلى من يلقيه إلى الأعداء.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٩/١٣.
[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٩/١٣.
[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦٠/١٣.
[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦٠/١٣.

ومنها: وإنه وإن كان ضابطاً للسر، وثقة عند من اختاره، فغير مأمون عليه الخبر عند مفاجأة المكروه، ومباشرة الأهوال، فيفرّ من الفراش فيفطن لموضع الحيلة، ويطلب رسول الله فيظفر به.[١]

ومنها: وإن كان ضابطاً للسر، شجاعاً نجداً، فلعله غير محتمل المبيت على الفراش، لأن هذا أمر خارج عن الشجاعة، إذ كان قد أقامه مقام المكتوف الممنوع، بل هو أشد مشقة من الممنوع، لأن المكتوف الممنوع يعلم من نفسه أنه لا سبيل له إلى الهرب، وهذا يجد السبيل إلى الهرب وإلى الدفع عن نفسه، ولا يهرب ولا يدافع.[٢]

ومنها: وإن كان ثقة عنده ضابطاً للسر، شجاعاً محتملاً للمبيت على الفراش فإنه غير مأمون أن يذهب صبره عند العقوبة الواقعة، والعذاب النازل بساحته حتى يبوح به عنده، ويصير إلى الإقرار بما يعلمه، وهو أنه أخذ طريق كذا، فيطلب فيؤخذ، فلهذا قال علماء المسلمين إن فضيلة علي عليه السلام تلك الليلة لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها إلاّ ما كان من إسحاق وإبراهيم عند استسلامه للذبح.[٣]

ولولا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا إن محنة علي عليه السلام أعظم، لأنه قد روي أن إسحاق تلكأ لما أمره أن يضطجع، وبكى على نفسه، وقد كان

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٩/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٩/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٠/١٣.

أبوه يعلم أن عنده في ذلك وقعة، ولذلك قال له فأنظر ماذا ترى، وحال علي عليه السلام بخلاف ذلك، لأنه ما تلكأ، ولا تتعتع، ولا تغير لونه، ولا اضطربت أعضاؤه، ولقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يشيرون عليه بالرأي المخالف لما كان أمره به وقدم فيه، فيتركه ويعمل بما أشاروا به، كما جرى يوم الخندق في مصانعته الأحزاب بثلث تمر المدينة، فإنّهم أشاروا عليه بترك ذلك فتركه، وهذه كانت قاعدته معهم، وعادته فيما بينهم، وقد كان لعلي عليه السلام أن يعتل بعلّة، وأن يقف ويقول يا رسول الله أكون معك فأحميك من العدو، وأذب بسيفي عنك، فلست مستغنياً في خروجك عن مثلي، ونجعل عبداً من عبيدنا في فراشك قائماً مقامك، يتوهم القوم برؤيته نائماً في بردك أنك لم تخرج، ولم تفارق مركزك، فلم يقل ذلك ولا تحبس، ولا توقف، ولا تلعثم، وذلك لعلم كل واحد منهما عليهما السلام أن أحداً لا يصبر على ثقل هذه المحنة، ولا يتورد هذه الهكلة إلاّ من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها، والفوز بفضيلتها.[١]

وله من جنس ذلك فعال كثيرة، كيوم دعا عمرو بن عبد ود المسلمين إلى المبارزة فأحجم الناس كلهم عنه، لما علموا من بأسه وشدته، ثم كرر النداء، فقام علي عليه السلام فقال: أنا أبرز إليه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه عمرو، قال: وأنا علي، فأمره بالخروج إليه، فلما خرج قال صلى الله عليه وآله: برز الإيمان كله للشرك كله.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٠/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦١/١٣.

وكيوم أُحد حيث حمى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبطال قريش وهم يقصدون قتله، فقلتهم دونه حتى قال جبرئيل: يا محمد إن هذه المواساة، فقال: هو مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما.

ولو عددنا أيامه ومقاماته التي شرى فيها نفسه لله تعالى لأطلنا وأسهبنا.[١]

قال: قال الجاحظ: فإن احتج محتج لعلي عليه السلام على المبيت على الفراش، فبين الغار والفراش فرق واضح، لأن الغار صحبة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وآله، وقد نطق بها القرآن، فصار كالصلاة والزكاة وغيرهما مما نطق به الكتاب، وأمر علي عليه السلام وكونه على الفراش وإن كان ثابتاً صحيحاً إلاّ أنه لم يذكر في القرآن، وإنما جاء مجيء الروايات والسير، وهذا لا يوازي هذا كله ولا يكايله.[٢]

قال: قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: هذا فرق غير مؤثر، لأنه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش، فلا فرق بينه وبين ما ذكر في نص الكتاب، ولا يجحده إلاّ مجنون أو غير مخالط لأهل الملة، أرأيت كون الصلاة خمساً، وكون زكاة الذهب ربع العشر، وكون خروج الريح ناقضاً للطهارة، وأمثال ذلك ما هو معلوم بالتواتر حكمه، هو مخالف لما نص في الكتاب عليه من الأحكام، هذا مما لا يقوله رشيد ولا عاقل على أن الله تعالى لم يذكر اسم أبي

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦١/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦١/١٣.

بكر في الكتاب وإنما قال: ﴿**إذ يقول لصاحبه**﴾،[١] وإنما علمنا أنه أبو بكر بالخبر، وما ورد في السيرة، وقد قال أهل التفسير أن قوله تعالى: ﴿**ويمكر الله وهو خير الماكرين**﴾،[٢] كناية عن علي عليه السلام أنه مكرهم، وأول الآية: ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾،[٣] أنزلت في ليلة الهجرة، ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش، ومكر الله تعالى هو مقام علي عليه السلام على الفراش، فلا فرق بين الموضعين في أنهما مذكوران كناية لا تصريحاً، وقد روى المفسرون أن قوله تعالى: ﴿**ومن يشري نفسه ابتغاء مرضات الله**﴾،[٤] نزلت في علي عليه السلام ليلة المبيت على الفراش، فهذا مثل قوله تعالى ﴿**يقول لصاحبه**﴾، لا فرق بينهما.[٥]

قال: قال الجاحظ: وفرق آخر، وهو أنه لو كان مبيت علي عليه السلام على الفراش جاء مجيء كون أبي بكر في الغار، لم يكن في ذلك كبير طاعة، لأن الناقلين نقلوا أنه صلى الله عليه وآله قال له نم فلن يخلص لك شيء تكرهه، ولم ينقل ناقل

---

[١] - التوبة/٤٠.

[٢] - الانفال/٣٠.

[٣] - الانفال/٣٠.

[٤] - البقرة/٢٠٧.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦١/١٣.

أنه قال لأبي بكر في صحبته إياه معه في الغار مثل ذلك، ولا قال له أنفق واعتق فإنك لن تفتقر، ولن يصل إليك مكروه![1]

قال: قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: هذا هو الكذب الصراح، والتحريف والإدخال في الرواية ما ليس منها، والمعروف المنقول أنه صلى الله عليه وآله قال له: اذهب فأضطجع في مضجعي، وتغشى ببردي الحضرمي، فإن القوم سيفقدونني ويتعاهدون مضجعي، فلعلهم إذا رأوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا، فإذا أصبحت فأغد في أداء أمانتي.[2]

ولم ينقل ما ذكره الجاحظ، وإنما ولده أبو بكر الأصم وأخذه عنه الجاحظ، ولا أصل له، ولو كان هذا صحيحاً لم يصل إليه مكروه منهم، وقد وقع الاتفاق على أنه ضرب ورمي بالحجارة قبل أن يعلموا من هو حتى تصوروا أنهم قالوا له رأينا تضورك، فإنا كنا نرمي محمداً ولا يتضور، إن لفظه المكروه، وإن كان قالها إنما يراد بها القتل، فهب أنه أمن من القتل، فكيف يأمن من الضرب والهوان أو من يقطع بعض أعضائه، وإن سلمت نفسه.[3]

أليس الله تعالى قال لنبيه: ﴿**بلّغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت راسلته والله يعصمك من الناس**﴾[4] ومع ذلك فقد كسرت

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٢/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٣/١٣.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٣/١٣.

[4] - المائدة/٦٧.

رباعيته، وشج وجهه، وأدميت ساقه، وذلك لأنه عصمه من القتل خاصة، وكذلك المكروه الذي أؤمن عليه السلام منه إن صح ذلك في الحديث، إنما هو مكروه القتل.[١]

ثم يقال له: وأبو بكر لا فضيلة له أيضاً في كونه في الغار، لأن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا تحزن إن الله معنا، ومن يكون الله معه، فهو آمن لا محالة من كل سوء، فكيف قلت ولم ينقل ناقل أنه قال لأبي بكر في الغار مثل ذلك، فكل ما يجاب به عن هذا، فهو جوابنا عما أورده.[٢]

ويقال له: هذا ينقلب عليك في النبي صلى الله عليه وآله لأن الله تعالى وعده بظهور دينه وعاقبة أمره، فيجب على قولك أن لا يكون مثاباً عند الله تعالى على ما يحتمله من المكروه، ولا ما يصيبه من الأذى، إذ كان قد أيقن بالسلامة والفتح في غده.[٣]

قال: قال الجاحظ ومن جحد كون أبي بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كفر، لأنه جحد نص الكتاب، ثم أنظر ما في قوله ﴿**إن الله معنا**﴾ من الفضيلة لأبي بكر، لأنه شريك رسول الله صلى الله عليه وآله في كون الله معه، وأنزل السكينة قال كثير من الناس في الآية مخصوص بأبي بكر، لأنه كان محتاجاً إلى السكينة لما تداخله من رقة الطبع البشري، والنبي صلى الله عليه وآله كان غير محتاج

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٣/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٣/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٣/١٣.

إليها، لأنه يعلم أنه محروس من الله تعالى، فلا معنى لنزول السكينة عليه، وهذه فضيلة ثالثة لأبي بكر.[١]

قال: قال شيخنا أبو جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ: إن أبا عثمان يجر على نفسه ما لا طاقة له به من مطاعن الشيعة، ولقد كان في غنية بما تعلق، لأن الشيعة تقول: إن هذه الآية بأن تكون عيباً وطعناً على أبي بكر، أولى من أن تكون فضيلة له، لأنه لما قال ﴿**لا تحزن**﴾ دل على أنه قد كان حزن وقنط، وأشفق على نفسه، وليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين، ولا يجوز أن يكون حزنه طاعة، لأن الله تعالى لا ينهى عن الطاعة، فلو لم يكن ذنباً لم ينهه عنه، وقوله: ﴿**إن الله معنا**﴾ أي إن الله عالم بحالنا، وما نضمره من اليقين أو الشك كما يقول الرجل لصاحبه: لا تضمرنّ سوء، ولا تنوينّ قبيحاً، فإن الله تعالى يعلم ما نسرّه وما نعلنه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿**ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم أينما كانوا**﴾،[٢] أي عالم بهم.[٣]

وأما السكينة، فكيف يقول إنها ليست راجعة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴿**وايده بجنود لم تروها**﴾، أترى المؤيد بالجنود كان أبو بكر أم رسول الله؟! وقوله: إنه مستغن عنها ليس بصحيح، ولا يستغني أحد عن ألطاف الله وتوفيقه

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٤/١٣.

[٢] - المجادلة/٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٤/١٣.

وتأييده، وتثبيت قلبه، وقد قال الله تعالى في قصة حنين: ﴿**وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليّتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله**﴾.[١]

وأما الصحبة فلا تدل إلاّ على الرفقة والإصطحاب لا غير، وقد يكون حيث لا إيمان كما قال الله تعالى: ﴿**قال لصاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب**﴾، ونحن وإن كنا نعتقد إخلاص أبي بكر وإيمانه الصحيح السليم، وفضيلته التامة إلاّ أنا لا نحتج له بمثل ما يحتج به الجاحظ من الحجج الواهية، ولا بما يجر علينا دواهي الشيعة ومطاعنها.[٢]

قال: قال الجاحظ: وإن كان المبيت على الفراش فضيلة، فأين هي من فضائل أبي بكر، وأيام مكة من عتق المعذبين، وإنفاق المال، وكثرة المستجيبين مع فرق ما بين الطاعتين، لأن طاعة الشاب الغرير، والحدث الصغير الذي في عزّ صاحبه عزه، ليست كطاعة الحليم الكبير الذي لا يرجع تسويد صاحبه إلى رهطه وعشيرته.[٣]

قال: قال شيخنا أبو جعفر رَحِمَهُ اللهُ: أما كثرة المستجيبين، فالفضل فيها راجع إلى المجيب لا إلى المجاب على أنا قد علمنا أن من استجاب لموسى

---

[١] - التوبة/٢٥ – ٢٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦٥/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦٥/١٣.

عليه السلام أكثر ممن استجاب لنوح، وثواب نوح أكثر لصبره على الأعداء ومقاساة خلافهم وعنتهم.[١]

وأما إنفاق المال، فأين محنة الغني من محنة الفقير؟ وأين يعتدل إسلام من أسلم وهو غني إن جاع أكل، وإن أعيا ركب، وإن عرى لبس، قد وثق بيساره، واستغنى بماله، وأستعان على نوايب الدنيا بثروته، ممن لا يجد قوت يومه، وإن وجد لم يستأثر به، فكان الفقر شعاره في ذلك، وفي ذلك قيل: الفقر شعار المؤمن، وقال الله تعالى لموسى: يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً، فقل مرحباً بشعار الصالحين، وفي الخبر أن الفقراء يدخلون في الجّة قبل الأغنياء بخمس مائة عام.[٢]

وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول: اللهم احشرني في زمرة الفقراء، ولذلك أرسل الله محمداً صلى الله عليه وآله فقيراً، فكان بالفقر سعيداً، فقاسى محنة الفقر، ومكابدة الجوع حتى شدّ حجراً على بطنه، وحسبك بالفقر فضيلة في دين الله لمن صبر عليه، فإنك لا تجد صاحب الدنيا يتمناه، لأنه مناف لحال الدنيا وأهلها، وإنما هو شعار أهل الآخرة.[٣]

وأما طاعة علي، وكون الجاحظ وهم أنها كانت في عزّ محمد، وعز رهطه بخلاف طاعة أبي بكر، فهذا يفتح عليه أن يكون جهاد حمزة كذلك،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٥/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٦/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٦/١٣.

وجهاد عبيدة بن الحارث، وهجرة جعفر إلى الحبشة، بل لعل محاماة المهاجرين من قريش على رسول الله ﷺ كانت لأن في دولته دولتهم، وفي نصرته استجداد ملك لهم، وهذا يجر الإلحاد، ويفتح باب الزندقة، ويفضي إلى الطعن في الإسلام والنبوة.[1]

قال الجاحظ: وعلى أنا إذا نزلنا إلى ما يريدونه جعلنا الفراش كالغار، وخلصت فضائل أبي بكر في غير ذلك عن معارض.[2]

قال: قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: قد بيّنا فضيلة المبيت على الفراش على فضيلة الصحبة في الغار، بما هو واضح لمن أنصف، ونزيد ذلك هاهنا تأكيداً بما لم نذكره فيما تقدم فنقول: إن فضيلة المبيت على الفراش على الصحبة في الغار لوجهين:

أحدهما: إن علياً عليه السلام قد كان أنس بالنبي ﷺ وحصل له بمصاحبته أنس عظيم، وألف شديد، فلما فارقه عدم ذلك الأنس، وحصل به أبو بكر، فكان ما يجده علي عليه السلام من الوحشة، وألم الفراق موجباً زيادة ثوابه، لأن الثواب على قدر المشقة.

وثانيهما: إن أبا بكر كان يؤثر الخروج من مكة، وقد كان خرج من قبل فرداً، فازداد كراهية للمقام، فلما جزع مع رسول الله ﷺ وافق ذلك هوى قلبه، ومحبوب نفسه، فلم يكن له من الفضل ما يوازي فضيلة من احتمل

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٦/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٦/١٣.

المشقة العظيمة، وعرض نفسه لوقوع السيوف، ورأسه لرضخ الحجارة، لأن على قدر سهولة العبادة، يكون نقصان الثواب.[١]

قال: وروى محمد بن إسحاق في كتاب المغازي، قال: لم يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً من المسلمين ما عزم عليه من الهجرة إلاّ علي بن أبي طالب، وأبا بكر بن أبي قحافة.[٢]

وأما علي فإن رسول الله أخبره بخروجه، وأمره أن يبيت على فراشه، يخادع المشركين عنه، ليروا أنه لم يبرح فلا يطلبوه حتى تبعد المسافة بينهم، وأن يتخلف بعد بمكة حتى يؤدي عن رسول الله الودايع التي عنده للناس، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله استودعه رجال من مكة ودايع لهم، لما يعرفونه من أمانته، وأما أبو بكر فخرج معه.[٣]

وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد الحسني فقلت له: إذا كانت قريش قد محضت رأيها، وألقى إليها إبليس كما روى ذلك الرأي، وهو أن يضربوه بأسياف من أيدي جماعة من بطون مختلفة ليضيع دمه في بطون قريش فلا تطلبه بنو عبد مناف، فلماذا انتظروا به تلك الليلة الصبح، فإن الرواية جاءت بهم كان تسوروا الدار، فعاينوا فيها شخصاً مسجى بالبرد الحضرمي الأخضر، فلم يشكوا أنه هو، فرصدوه إلى أن أصبحوا فوجدوه علياً، وهذا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦٦/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٠٣/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٠٣/١٣.

طريف، لأنهم كانوا قد أجمعوا على قتله تلك الليلة، فما بالهم لم يقتلوا ذلك الشخص المسجى، وانتظارهم به النهار دليل على أنهم لم يكونوا أرادوا قتله تلك الليلة؟[١]

فقال في الجواب: لقد كانوا أهموا بقتله تلك الليلة، وكان إجماعهم على ذلك، وعزمهم في خفية من بني عبد مناف، لأن الذين محضوا هذا الرأي، وأتفقوا عليه النضر بن الحارث من بني عبد الدار، وأبو البختري بن هاشم، وحكيم بن حزام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، هؤلاء الثلاثة من بني أسد بن عبد العزى، وأبو جهل بن هشام وأخوه الحارث، وخالد بن الوليد بن المغيرة، هولاء الثلاثة من بني مخزوم، ونبيه ومنبه أبناء الحجاج، وعمرو بن العاص، هؤلاء الثلاثة من بني سهم، وأمية بن خلف وأخوه أبي بن خلف خلف، هذان من بني جمح، فنما هذا الخبر من الليل إلى عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، فلقي منهم قوماً فنهاهم عنه، وقال إن بني عبد مناف لا تمسك عن دمه، ولكن صفدوه في الحديد واحبسوه في دار من دوركم، وتربصوا به أن يصيبه من الموت ما أصاب أمثاله من الشعراء، وكان عتبة بن ربيعة سيد بني عبد شمس ورئيسهم، وهم من بني عبد مناف، وبنو عم الرجل ورهطه، فأحجم أبو جهل وأصحابه تلك الليلة عن قتله، ثم تسوروا عليه وهم في الدار، فلما رأوا انساناً مسجى بالبرد الأخضر الحضرمي، لم يشكوا انه هو، وأئتمروا في قتله، فكان أبو جهل يذمرهم عليه، فيتهمون ثم يجمحون، ثم قال بعضهم

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٤/١٣.

لبعض ارموه بالحجارة، فرموه، فجعل علي يتضور منها، ويتقلب ويتأوه تأوهاً خفيفاً، فلم يزالوا كذلك بين إقدامهم عليه وإحجامهم عنه لما يريده الله تعالى من سلامته ونجاته حتى أصبح الصبح وهو وقيذ من رمي الحجارة، ولو لم يخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأقام بينهم بمكة ولو لم يقتلوه تلك الليلة لقتلوه في الليلة التي تليها، وإن شبت الحرب بينهم وبين بني عبد مناف، فإن أبا جهل لم يكن بالذي ليمسك عن قتله، وكان نافذ البصيرة، شديد العزم على الولوغ في دمه.[1]

فقلت للنقيب: أفعلم رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام بما كان من نهي عتبة لهم قال: لا، إنهما لم يعلما ذلك تلك الليلة، وإنما عرفاه من بعد، ولقد قال رسول الله ﷺ يوم بدر لما رأى عتبة ورعى له ما كان منه، إن يكون في القوم خير، ففي صاحب الجمل الأحمر، ولو قدرنا أن علياً علم ما قال لهم عتبة لم يسقط ذلك فضله في المبيت، لأنه لم يكن على ثقة من أنهم يقبلون قول عتبة، بل كان ظنّ الهلاك والقتل أغلب.[2]

فأما علي عليه السلام فإنه لما أدى الودايع خرج بعد ثلاث من هجرة النبي ﷺ، فجاء إلى المدينة راجلاً، وقد تورمت قدماه، فصادف رسول الله ﷺ نازلاً بقباء على كلثوم بن الهرم، فنزل معه في منزله، وكان أبو بكر نازلاً بقبا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٤/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٥/١٣.

أيضاً في منزل حبيب بن بساف، ثم خرج رسول الله، وهما معه من قباء حتى نزل بالمدينة على أبي أيوب خالد بن يزيد الأنصاري، وبنى المسجد.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٥/١٣.

الباب
الثامن والثلاثون
في سخائه وجوده عليه السلام

ابن أبي الحديد قال: أما السخاء والجود، فحاله فيه ظاهر، كان يصوم ويطوي، ويؤثر بزاده، وفيه أنزل: ﴿**ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً**﴾.[1]

وروى المفسرون أنه لم يكن يملك إلاّ أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، فأنزل فيه: ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية**﴾.[2]

وروي عنه كان يسقي بيده النخل لقوم من يهود المدينة حتى مجلت يده، ويتصدق بالأجر، ويشد على بطنه حجراً.[3]

وقال الشعبي وقد ذكره عليه السلام: كان أسخى الناس، كان على الخلق الذي يحبه الله السخاء والجود، ما قال لا لسائل قط.[4]

---

[1] - الدهر/٩ — ١٠، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١/١.

[2] - البقرة/٢٧٤.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/١.

[4] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/١.

وقال عدوه ومبغضه الذي كان يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبـي سفيان لمحقن بن أبي الضبّي لما قال لـه: جيتـك مـن عنـد أبخـل النـاس، قـال: ويحك كيف تقول إنه أبخل الناس؟ ولو ملك بيتاً من تبر، وبيتاً من تبن، لأنفـذ تبره قبل تبنه، وهو الذي كان يكنس بيوت الأموال ويـصلي فيهـا، وهـو الـذي قال يا صفراء ويا بيضاء غري غيري، وهو الذي لم يخلف ميراثاً، وكانت الدنيا كلها بيده إلاّ ما كان من الشام.[1]

وروى زرارة أيضاً قال: قيل لجعفر بن محمـد عليه السلام إن قومـاً ينتقـصون علياً، قال: بما ينتقصونه لا أباً لهم؟ وهل فيه موضع نقيصة، والله ما عرض لعلـي أمران قط، كلاهما لله طاعة إلاّ عمل بأشدهما وأشقهما عليه، ولقد كـان يعمـل العمل كأنه قايم بين الجنة والنار، ينظر إلى ثواب هؤلاء فيعمل له، وينظـر إلـى عقاب هؤلاء فيعمل له، وإن كان ليقوم إلى الصلاة فـإذا قـال وجهـت وجهـي، تغير لونه حتى يعرف ذلك في وجهه، ولقد أعتق ألف عبد من كد يده، يعـرق فيه جبينه، وتحفى فيه كفه، ولقد بشر بعين نبعت فـي مالـه مثـل عنـق الجـزور، فقال: بشر الوارث، ثم جعلها صدقة على الفقراء والمساكين، وابن الـسبيل إلـى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ليصرف النار عن وجهه، ويصرف وجهـه عـن النار.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٠/٤.

قال: ومن وصيته بما يعمل في أمواله، كتب بعد منصرفه من صفين: هذا ما أمر به عبد الله علي بن أبي طالب في ماله ابتغاء وجه الله ليولجه به الجنّة، ويعطيه به الأمنة.[١]

قال في الشرح: وقد عابه العثمانية عليه السلام وقالت: إن أبا بكر مات ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، وأن علياً مات وخلف عقاراً كثيراً يعنون نخلاً.[٢]

فيقال لهم: قد علم كل أحد أن علياً استخرج عيوناً بكد يده بالمدينة وينبع وسويعة، وأحيا بها مواتاً كثيراً، ثم أخرجها عن ملكه، وتصدق بها على المسلمين، ولم يمت وشيء منها في ملكه.[٣]

ألا ترى ما يتضمنه كتب السير والأخبار من منازعة بين علي وعبد الله بن الحسن في صدقات علي عليه السلام، ولم يورث على بنيه إلاّ قليلاً من المال ولا كثيراً إلاّ عبيده واماءه، وسبعمائة درهم من عطاياه، تركها ليشتري بها خادماً لأهله، قيمتها ثمانية وعشرون ديناراً على حساب الماية أربعة دنانير، هكذا كانت المعاملة بالدارهم إذ ذاك، وإنما لم يترك أبو بكر قليلاً ولا كثيراً، لأنه ما عاش، ولو عاش لترك.[٤]

---

[١] - نهج البلاغة ٢٢/٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٦/١٥.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٦/١٥.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٦/١٥.

ألا ترى أن عمر أصدق أم كلثوم أربعين ألف درهم ودفعها إليها، وذلك أن هؤلاء طالت أعمارهم، فمنهم من ردت عليه أخلاف التجارة، ومنهم من يستعمر الأرض ويزرعها، ومنهم من استفضل من رزقه من الفيء، وأفضلهم أمير المؤمنين عليه السلام كان يعمل بيده، ويحرث الأرض، ويسقي الماء، ويغرس النخل، كل ذلك يباشره بنفسه الشريفة، ولم يستبق منه لوقته ولا لعقبه قليلاً ولا كثيراً، وإنما كان صدقة، وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وله ضياع كثيرة جليلة جداً بخيبر وفدك وبني النضير، وكان له وادي النخل، وضياع أُخرى كثيرة بالطائف، فصارت بعد موته صدقة بالخبر الذي رواه أبو بكر، فإن كان علي عليه السلام معيباً بضياعه ونخله، فكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا كفر وإلحاد، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله إنما ترك ذلك صدقة، فرسول الله صلى الله عليه وآله ما روى عنه الخبر إلاّ في ذلك إلاّ واحد من المسلمين، وعلي عليه السلام كان في حياته قد أثبت عند جميع المسلمين بالمدينة أنها صدقة، فالتهمة إليه في الباب أبعد.[١]

وقال: منها: أنه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف، وينفق عنه في المعروف، فإن حدث بحسن حدث وحسين حي، قام بالأمر بعده، وأصدره مصدره، وإن لبني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي، وإني إنما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغي وجه الله، وقربة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وتكريماً لحرمته، وتشريفاً لوصلته، ويشترط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله، وينفق من ثمره حيث أمره به، وهذا له، وأن لا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٦/١٥.

يبيع من أولاد نخيل هذه القرى ودية حتى تشكل أرضها غراساً، ومن كان من إمائي اللائي أطوف عليهن لها ولداً، وهي حامل فتمسك على ولدها وهي من حظه، فإن مات وهي حية، فهي عتيقة، قد برح عنها الرق، وحررها العتق.[١]

قال الرضي: قوله: وأن لا يبيع من نخلها ودية، فالودية الفسيلة، وجمعها ودي، وقوله حتى تشكل أرضها أرضاً غراساً، هو من أفصح الكلام، والمراد به الأرض يكثر فيها غرايس النخل حتى يراها الناظر على تلك الصفة التي عرفها بها، فيشكل عليه أمرها، ويحسبها غيرها.[٢]

قال في الشرح: جعل للحسن ابنه عليه السلام ولاية صدقات أمواله، وأذن له أن يأكل منه بالمعروف، أي لا يسرف، وإنما يتناول منه مقدار الحاجة وما جرت بمثله عادة من يتولى الصدقات كما قال الله تعالى: ﴿**العاملين عليها**﴾،[٣] قال: فإن مات الحسن والحسين بعده حي، فالولاية للحسين، والهاء في مصدره ترجع إلى الأمر، أي يصرفه في مصارفه التي كان الحسن يصرفه فيها، ثم ذكر إن لهذين الولدين حصة من صدقاته أسوة بساير النبيين، وإنما قال ذلك لأنه قد يتوهم متوهم بشيء، وإن الصدقات إنما يتناولهما غيرهما من بني علي عليه السلام ممن لا ولاية له مع وجودهما، ثم بيّن لماذا خصّهما بالولاية، فقال: إنما فعلت ذلك بشرفهما برسول الله صلى الله عليه وآله، فقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأن جعلت

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤٧/١٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤٨/١٥.

[٣] - التوبة/٦٠.

لسبطيه هذه الرياسة، وفي هذا رمز وإزراء بمن صرف الأمر عن أهل بيت رسول الله ﷺ مع وجود من يصلح للأمر، أي كان الأليق بالمسلمين والأولى أن يجعلوا الرياسة بعده لأهله، قربة إلى رسول الله ﷺ وتكرماً لحرمته، وطاعة له، وأنفة لقدره عليه السلام أن تكون ذريته سوقه تليهم الأجانب، ومن ليس من شجرته وأصله.[١]

ألا ترى أن هيبة الرسالة والنُبوة في صدور الناس أعظم إذا كان السلطان والحاكم في الخلق من بيت النبوة، وليس يوجد مثل هذه الهيبة والجلال في نفوس الناس للنبوة إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة عليه السلام.[٢]

وقال: قالت الحكماء: أفضل العبادة الصدقة، لأن نفعها يتعدى، ونفع الصلاة والصوم لا يتعدى، وجاء في الأثر أن علياً عمل ليهودي في سقي نخلة له في حياة رسول الله بمد من شعير، فخبزه قرصاً، فلما همّ أن يفطر عليه أتاه سايل يستطعم فدفعه إليه، وبات طاوياً، وتاجر الله بتلك الصدقة، فغدا الناس هذه الفعلة من أعظم السخاء، وعدّوها أيضاً من أعظم العبادة، وقال بعض شعراء الشيعة يذكر اعادة الشمس عليه، وأحسن فيما قال:

جاد بالقرص والطوى ملأ جنبيه   وعلف الطعام وهو سغوب

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٨/١٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٩/١٥.

فأعاد القرص المنير على القرص والـمـقـرض الـكـرام كسوب[١]

وقال: قرأت في أمالي ابن دريد، قال: أخبرنا الجرموزي، عن المهلبي، عن شداد بن إبراهيم، عن عبيد الله بن الحسن العنبري، عن ابن عرادة قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعشي الناس في شهر رمضان باللحم، ولا يتعشى معهم، فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم، فأفاضوا ليلة في الشعراء، وهم على عشائهم، فلما فرغوا خطبهم عليه السلام وقال في خطبته: أعلموا أن ملاك أمركم الدين، وعصمتكم التقوى، وزينتكم الأدب، وحصون أعراضكم الحلم.[٢]

ثم قال: قل يا أبا الأسود فيما كنتم تفضون فيه، أي الشعراء أشعر؟ فقال: يا أمير المؤمنين الذي يقول:

ولقد اغتدى يدافع ركني اعوجي ذو ميعة اضريج

مخلط مزيل معن مفن منفح مطرح سبوح خروج

يعني أبا داود الأيادي، فقال عليه السلام: ليس به، قالوا: فمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: ما رفعت القوم غاية فجروا إليها معاً، فعلمنا من السابق منهم، ولكن إن يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة، قيل: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال الملك الضليل، ذو الفروج، قيل: امرء القيس؟ قال: هو، قيل: فأخبرنا عن ليلة القدر، قال: ما أحل من أن أكون أعلمها فأستر علمها، ولست

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠١/١٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥٣/٢٠.

أشك أن الله تعالى إنما يسترها عنكم نظراً لكم، لأنه لو أعلمكموها ما عملتم فيها، وتركتم غيرها، وأرجو أن لا تخطيكم إن شاء الله، انهضوا رحمكم الله.[١]

وقال: وجاء في الأثر أن علياً عليه السلام جاءه مخبر فأخبره أن مالاً له قد انفجرت فيه عين جرارة، يبشره بذلك، فقال عليه السلام: بشر الوارث، بشر الوارث يكررها، ثم وقف ذلك المال على الفقراء، وكتب به كتاباً تلك الساعة.[٢]

قال: رؤي علي عليه السلام يوماً باكياً، فقيل له: ممّ بكاؤك؟ فقال له: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام، أخاف أن يكون الله أهانني.[٣]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٢/٢٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٠/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٣/١١.

الباب
التاسع والثلاثون
في حلمه وصفحه عليه السلام

ابن أبي الحديد: أما الحلم والصفح، فكان أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهرت صحة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم، وكان أعدى الناس له، وأشدهم بغضاً، فصفح عنه، وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، وخطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم الوغب اللئيم، وكان علي عليه السلام يقول: ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى شبّ عبد الله، فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً، وصفح عنه، وقال: اذهب فلا أرينك، ولم يزد على ذلك، وظفر بسعيد بن العاص بمكة بعد ذلك، وكان له عدواً، فأعرض عنه، ولم يقل له شيئاً.[١]

وقد علمتم ما كان من عايشة في أمره، فلما ظفر بها أكرمها، وبعث معها إلى المدينة عشرين إمرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمايم، وقلدهن السيوف، فلما كانت بعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به، ونافقت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي، فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمايمهن، وقلن لها: إنما نحن نسوة.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣/١.

وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه، ووجوه أولاده بالسيف، وشتموه ولعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر ألا لا يتبع مولي، ولا يجهز على جريح، ولا يقتل متأسر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن يحيز إلى عسكر الإمام، فهو آمن، وما أخذ أموالهم، ولا سبى ذراريهم، ولا غنم شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، ولكنه أبى إلاّ الصفح والعفو، وتقبل سنّة رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، فإنه عفا والأحقاد لم تبرد، والإساءة لم تنس.[1]

ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء، وأحاطوا بشريعة الفرات، وقال رؤساء أهل الشام له اقتلهم بالعطش، كما قتلوا عثمان عطشاً، سألهم علي عليه السلام وأصحابه أن يسوغوا لهم شرب الماء، فقالوا: لا والله، ولا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات عثمان، فلما رأى عليه السلام أنه الموت لا محالة تقدم بأصحابه وحملوا على عسكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالوهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع سقطت منه الرؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلات لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته: أمنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك، ولا تسقيهم منه قطرة، وأقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي ولا حاجة لك إلى الحرب، فقال: والله لا أفعل بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حد السيف ما يغني عن ذلك.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣/١.

فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح، فناهيك به جمالاً وحسناً، وإن نسبتها إلى الدين والورع، فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام.[1]

وقال: وروى زرارة بن أعين، عن أبيه، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال: كان علي عليه السلام إذا صلى الفجر لم يزل معقباً إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس، فيعلمهم الفقه والقرآن، وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك، فقام يوماً فمر برجل فرماه بكلمة هجر، قال: ولم يسمه محمد بن علي عليه السلام، فرجع عوده على يده وصعد المنبر، وأمر فنودي الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه.

ثم قال: أيها الناس، إنه ليس شيء أحب إلى الله، ولا أعم نفعاً من حلم إمام وفقهه، ولا شيء أبغض إلى الله، ولا أعم ضرراً من جهل إمام وخرقه، ألا وإنه من لم يكن له من نفسه واعظ، لم يكن له من الله حافظ، ألا وإنه من أنصف من نفسه، لم يزده الله إلاّ عزاً.

ألا وإن الذل في طاعة الله، أقرب إلى الله من العز في معصيته، ثم قال: أين المتكلم آنفاً، فلم يستطع الإنكار، فقال: ها أنا ذا يا أمير المؤمنين، فقال: إني لو أشاء لقلت، فقال: أو تعفوا وتصفح فأنت أهل ذلك، قال: قد عفوت وصفحت، فقيل لمحمد بن علي عليه السلام ما أراد أن يقول: قال: أراد أن يسبه.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٩/٤.

وقال: دعا علي عليه السلام غلاماً مراراً وهو لا يجيبه، فقام إليه فقال: ألا تسمع يا غلام؟ قال: بلى، قال: ما حملك على ترك الجواب، قال: أمني لعقوبتك، قال: اذهب فأنت حرّ.[١]

قال: قالت إمرأة عبد الله بن خلف الخزاعي بالبصرة لعلي عليه السلام بعد ظفره وقد مرّ ببابها: يا علي، يا قاتل الأحبّة، لا مرحباً بك، وأيتم الله منك ولدك، كما أيتمت بني عبد الله بن خلف، فلم يرد عليها ولكنه وقف وأشار إلى ناحية من دارها، ففهمت إشارته، فسكتت وأنصرفت، وكانت قد سترت عندها عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، فأشار إلى الموضع الذي كانا فيه، أي لو شيت أخرجتهما، فلما فهمت انصرفت، وكان عليه السلام حليماً كريماً.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢١/١١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٥/١٥.

الباب الأربعون
في زهده في المطعم والمشرب تأسياً برسول الله ﷺ وطلاقه الدنيا ثلاثاً

ابن أبي الحديد قال: وأما الزهد فهو سيد الزهاد، وبدل الأبدال، وإليه تشد الرحال، وعنده تنقص الأحلاس، ما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً.[١]

قال عبيد الله بن أبي رافع: دخلت عليه يوم عيد، فقدم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقدمه فأكل، فقلت: يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ قال: أخشى هذين الولدين أن يليناه بسمن أو زيت، وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة، وبليف أخرى، ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرابيس الغليظ، فإذا كمه طويلاً قطعه بشفرة ولم يخطه، فكان لا يزال متساقطاً عن ذراعيه حتى يبقى سداً لا لحمة له، وكان يأتدم إذا ايتدم بخل أو ملح، فإن ترقى عن ذلك فببعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فقليل من البان الأبل، ولا يأكل اللحم إلاّ قليلاً ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوان، وكان مع ذلك أشد الناس قوة، وأعظمهم يداً، لم ينقص الجوع قوته، ولا تخون الإقلال همته، وهو الذي طلق الدنيا، وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلاّ من الشام، فكان يفرقها، ثم يقول:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦/١.

هـــذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه[1]

وقال: قال: فتأس بنبيك الأطهر الاطيـب فإنـه فيـه أسـوة لمـن تأسى، وعزاء لمن تعزى، وأحبّ العباد إلى الله المتأسي بنبيه، المقـتص آثاره، قضم الدنيا قضماً، ولم يعرها طرفاً، أهظـم أهـل الـدنيا كـشحاً، وأخمصهم من الدنيا بطناً، عرضت عليه فـأبى أن يقبلهـا، وعلـم أن الله أبغض شيئاً فأبغضه، وحقّر شيئاً فحقره، وصغّر شيئاً فـصغره، ولـو لـم يكن فينا إلاّ حبنا ما أبغض الله ورسوله، وتعظيمنا ما صغر الله ورسـوله لكفى به شقاقاً لله، ومحادة عن أمر الله، ولقد كان يأكـل علـى الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيـده ثوبـه، ويركـب الحمار العاري، ويردف خلفه، ويكون الستر على باب بيته فيكـون فيـه التصاوير فيقول يا فلانه لإحدى أزواجه غيبيه عني، فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمـات ذكرهـا فـي نفسه، وأحب أن يغيب بيتها عن عينه، لكي لا يتخـذ منهـا رياشـاً، ولا يعتدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيبها عن البصر، وكذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليـه، وأن يذكر عنده، ولقد كان في رسول الله ﷺ ما يدلك على مـساوي الدنيا وعيوبها، إذ أجاع فيها مع خاصته، فزويت عنه زخارفها مع عظيم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦/١.

زلفته، فلينظر ناظر بعقله، أكرم الله محمداً أم أهانه فإن قال أهانه فقد كذب والله العظيم، وإن قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا، وزواها عن الأقرب منه، فتأسى متأس بنبيه، وأقتص أثره، وولج مولجه، وإلاّ فلا يأمن الهلكة، فإن الله جعل محمداً علماً للساعة، ومبشراً بالجنّة، ومنذراً بالعقوبة، خرج من الدنيا خميصاً، وورد الآخرة سليماً، لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه، فما أعظم منّة الله عندنا حين أنعم به علينا سلفاً نتبعه، وقايداً نطأ عقبه، والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها، ولقد قال لي قائل ألا تنبذها، فقلت: أعزب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى.[١]

وقال في الشرح: المقتص لأثره المتبع لها، ومنه قوله تعالى: ﴿وقالت لأخته قصيه﴾،[٢] وقضم الدنيا، تناول منها قدر الكفاف، وما تدعو إليه الضرورة من جنس المعيشة.[٣]

وقال أبو ذر رَحِمَهُ اللَّهُ: يخضمون ونقضم، والموعد الله، والخضم أكل بكل الفم، وضده القضم، وهو الأكل بأطراف الاسنان، وقيل: الخضم أكل الشيء الرطب، والقضم أكل الشيء اليابس، وروى قصم –بالصاد- أي كسر، وقوله: أهضم أهل الدنيا كشحاً، الكشح الخاصرة، ورجل أهضم بيّن الهضم، إذا كان

---

[١] - نهج البلاغة ٥٨/٢.

[٢] - القصص/١١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٣/٩.

خميصاً لقلة الأكل، وحقر شيئاً فحقره – بالتخفيف- والشقاق الخلاف، والمحاداة المعاداة، وخصف النعل خرزها، والرياش الزينة، والمدرعة الدرعة.[١]

وقوله: عند الصباح يحمد القوم السرى، مثل يضرب لتحمل المشقة العاجلة، رجاء الراحة الآجلة.

جاء في الأخبار الصحيحة أنه عليه السلام قال: إنما أنا عبد آكل أكل العبد، وكان يأكل على الأرض، ويجلس جلوس العبد، يضع قصبتي ساقيه على الأرض، ويعتمد عليهما بباطني فخذيه، الحمار العاري آية التواضع، وهضم النفس، والرادف خلفه غيره آكد في الدلالة على ذلك.[٢]

وجاء في الأخبار الصحيحة النهي عن التصاوير، وعن نصب الستور التي فيها التصاوير، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى ستراً فيه تصاوير أمر أن يقطع رأس تلك الصورة، وجاء في الخبر من صوّر صورة كلف في يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح، فإذا قال لا أستطيع عذّب.[٣]

قوله: لم يضع حجراً على حجر، هو عين ما جاء في الأخبار الصحيحة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يضع حجراً على حجر، جاء في أخبار علي عليه السلام التي ذكرها أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائله، وهو روايتي عن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١/١٩٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩/٢٣٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩/٢٣٤.

قريش بن السُبيع ابن المهنا العلوي، عن نقيب الطالبيين أبي عبد الله أحمد بن المعمر، عن المبارك بن عبد الجبار أحمد بن القاسم الصيرفي المعروف بابن الطيوري عن محمد بن علي بن محمد بن يوسف العلاف المزني، عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، أبي عبد الله أحمد قال: قيل لعلي عليه السلام: يا أ مير المؤمنين لم لا ترفع قميصك؟ قال: ليخشع القلب، ويقتدي بي المؤمنون.[١]

وروى أحمد رحمه الله إن علياً كان يطوف الأسواق مؤتزراً بإزار، مرتدياً برداء ومعه الدرة، كأنه إعرابي بدوي، فطاف مرة حتى بلغ سوق الكرابيس فقال لواحد: يا شيخ بعني قميصاً يكون قيمته ثلاثة دراهم، فلما عرفه الشيخ لم يشتر منه شيئاً، ثم أتى آخر، فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً، فأتى غلام حدثاً فأشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم، فلما جاء أبو الغلام أخبروه فأخذ درهما، ثم جاء إلى علي عليه السلام ليدفعه إليه، فقال له: ما هذا، وقال: ما شابه هذا؟ فقال: يا مولاي إن القميص الذي باعك ابني كان يساوي درهمين، فلم يأخذ الدرهم، وقال: باعني برضاي، وأخذ برضاه.[٢]

وروى أحمد، عن أبي النوار بايع الخام بالكوفة، قال: جاءني علي بن أبي طالب إلى السوق، ومعه غلام له وهو خليفة، فأشترى مني قميصين، وقال

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٥/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٥/٩.

عليه السلام لغلامه: اختر أيهما شئت، فأخذ أحدهما، وأخذ علي الآخر، ثم لبسه ومد يده، فوجد كمه فاضلة، فقال: اقطع الفاضلة، فقطعته ثم كف وذهب.[١]

وروى أحمد، عن الصمال بن عمير، قال: رأيت قميص علي عليه السلام الذي أصيب فيه، وهو كرابيس سُنبلاني دمه قد سال عليه كالدردي.[٢]

وروى أحمد قال: لما أرسل عثمان إلى علي وجده مؤتزراً بعباءة، محتجزاً بعقال، وهو يهنأ بعيراً له. والأخبار كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية.[٣]

وقال: ومن خطبة له عليه السلام روى عن نوف البكالي، قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة في الكوفة وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف، وحمايل سيفه ليف، وكأن جبينه نفثة بعير.[٤]

قال في الشرح: المدرعة الجبة، وتدرع لبسها، وربما قالوا يتدرع، وثفنة البعير واحدة ثفانة، وهو ما يرقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ، فيغلظ ويكثف، كالركبتين وغيرهما، ويقال: ذو الثفنات ثلاثة وعدّ منهم علي بن الحسين عليه السلام، قال دعبل:

وحمزة والسجاد ذو الثفنات[٥]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٥/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٦/٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٦/٩.

[٤] - نهج البلاغة ١٠٣/٢.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٩/١٠.

وقال: ومن خبر ضرار بن ضمرة الضبابي عند دخوله على معاوية ومسألته عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدُوله، وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، يقول: يا دنيا يا دنيا إليك عني، أبي تعرضتي، أم اليّ تشوقتي، لا حان حينك، هيهات هيهات، غري غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثاً، لا رجعة فيها، فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير، آه من قلّة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظم المورد.[١]

قال في الشرح: السليم الملسوع، وقوله لا حان حينك دعا عليها لا حضر وقتك، كما تقول لا كنت.[٢]

فأما ضرار بن ضمرة فإن الرياشي روى خبره، ونقلته أنا من كتاب عبدالله بن إسماعيل الحلبي في التذييل على نهج البلاغة، قال: دخل ضرار على معاوية، وكان ضرار من أصحاب علي عليه السلام فقال له معاوية: يا ضرار صف لي علياً، قال: أو تعفيني، قال: لا أعفيك، قال: لا بد منه، قال: كان والله شديد القوى، بعيد المدى، ينفجر العلم من أنحاه، والحكمة من أرجائه، حسن المعاشرة، سهل المباشرة، خشن المأكل، قصير الملبس، غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألنا، ويبدينا إذا سكتنا، ونحن مع تقربه إلينا أشد ما يكون صاحب لصاحبه هيبة، لا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٤/١٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٤/١٨.

نبتديه الكلام لعظمه، يحب المساكين، ويقرب أهل الدين، وأشهد لقد رأيته في مواقفه. وتمام الكلام مذكور في الكتاب.[١]

وقال: وذكر أبو عمرو بن عبد البر في كتاب الاستيعاب هذا الخبر، وقال: حدثنا عبد الله بن محمد بن يوسف، قال: حدثنا يحيى بن مالك عايذ، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن مقلة البغدادي بمصر، وحدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا العكلي، عن الحرمازي، عن رجل من همدان قال: قال معاوية لضرار الضبابي: يا ضرار صف لي علياً، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين، قال لتصفنه، قال: أما إذ لا بدّ من وصفه، فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبأنا إذا سكتنا، ونحن والله مع تقريبه إيانا، وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في حلمه، ولا ييأس الضعيف من عدله.[٢]

وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول يا دنيا غري غيري، أبي تعرضت، أم بي تشوقت، هيهات، قد طلقتك ثلاثاً لا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٥/١٨.

[٢] - الاستيعاب ٣٤١/١.

رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وخطرك حقير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا حسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها.[١]

قال: وأكل علي عليه السلام تمر دقل، ثم شرب عليه ماء وأمَّر يده على بطنه، وقال: من أدخله النار فأبعده، ثم تمثل:

فإنك مهما تعط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا[٢]

وكان عليه السلام يفطر في رمضان الذي قتل فيه عند الحسن ليلة، وعند الحسين ليلة، وعند عبد الله بن جعفر ليلة، لا يزيد على اللقمتين أو ثلاث، فيقال له، فيقول: إنما هي ليال قلائل حتى يأتي أمر الله، وأنا أخمص البطن، فضربه ابن ملجم ﴿لعنه الله﴾ تلك الليلة.[٣]

قال: قد مضى حديث ابن دريد عن ابن عرارة قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعشي الناس في شهر رمضان باللحم، ولا يتعشا معهم، فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم، الحديث. وقد تقدم في الباب السابع بتمامه.[٤]

وقال أبو الأسود الدوئلي: لما ظهر علي عليه السلام يوم الجمل دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين والأنصار وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه قال: غري غيري، غري غيري مراراً، ثم نظر إلى المال وصعّد فيه بصره

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٥/١٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٧/٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٧/١٩.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٣/٢٠.

وصوّب فقال: اقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة، فقسم بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحق ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنه كان يعرف مبلغه، ومقداره كان ستة آلاف درهم، والناس اثني عشر ألفاً.[١]

وقال حبّة العرني: قسّم علي عليه السلام بيت المال، مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسماية، وأخذ خمسماية كواحد منهم، فجاء أناس لم يحضروا الوقعة وقال: يا أمير المؤمنين كنت شاهداً معك بقلبي، وإن غاب عنك جسمي، فأعطني من الفيء نصيباً، فدفع إليه الذي أخذه لنفسه، وهو خمسمائة درهم، ولم يصب من الفيء شيئاً.[٢]

وقال: وذكر الشعبي قال: دخلت الرحبة بالكوفة وأنا غلام في غلمان، فإذا أنا بعلي عليه السلام قائماً على صبرتين من ذهب وفضة ومعه مخففة، وهو يطرد الناس بمخففته، ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين الناس حتى لم يبق منه شيء، ثم انصرف، ولم يحمل معه إلى بيته قليلاً ولا كثيراً، فرجعت إلى أبي، فقلت له: رأيت اليوم خير الناس أو احمق الناس! قال: ومن هو يا بني؟ قلت: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، رأيته يصنع كذا، فقصصت عليه، فبكى وقال: يا بني بل رأيت خير الناس.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٩/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٠/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٨/٢.

وقال: وروى محمد بن فضيل، عن هارون بن عنترة، عن زاذان قال انطلقت مع قنبر غلام علي عليه السلام إليه فإذا هو يقول: يا أمير المؤمنين فقد جناءة لك خبياً، قال: وما هو ويحك؟ قال: قم معي، فقام، فأنطلق به إلى بيته، وإذا بغرارة مملوة من جامات ذهباً وفضة، فقال: يا أمير المؤمنين رأيتك لا تترك شيئاً إلاّ قسمته فأدخرت لك هذا من بيت المال، وقال علي عليه السلام: ويحك يا قنبر، لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة، ثم سل سيفه وضربها ضربات كثيرة فأنتشرت من بين اناء مقطوع نصفه، وآخر ثلثة، ويجوز ذلك، ثم دعا بالناس فقال: اقتسموه بالحصص، ثم قام إلى بيت المال فقسم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت براً ومسالاً، فقال: اقتسموا هذا، فقالوا: لا حاجة لنا فيه.[١]

وقد كان عليه السلام يأخذ من كل عامل مما يعمل فضحك وقال ليأخذنّ شره مع خيره.[٢]

وقال: وروى عبد الرحمن بن عجلان قال: كان علي عليه السلام يقسم بين الناس الابزار والحرف، والكمون، وكذا وكذا.[٣]

وقال: وروى مجمع التيمي قال: كان علي يكنس بيت المال كل جمعه، ويصلي فيه ركعتين ويقول: ليشهد لي يوم القيامة.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٩/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٩/٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٩/٢.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٩/٢.

وروى بكر بن عيسى، عن عاصم بن كليب الجرمي، عن أبيه، قال: شهدت علياً عليه السلام وقد جاء مال من الجبل، فقام وقمنا معه، وجاء الناس يزدحمون، فأخذ حبالاً فوصلها بيده وعقد بعضاً إلى بعض، ثم أدارها حول المال، وقال: لا أحل لأحد أن يجاوز هذا الحبل، قال: فقعد الناس كلهم من وراء الحبل ودخل هو، فقال: أين رؤوس الأسباع، وكانت الكوفة يومئذ سباعاً، فجعلوا يحملون هذا الجوالق إلى هذا الجوالق، وهذا إلى هذا حتى استوت القسمة سبعة أجزاء، ووجد مع المتاع رغيفاً فقال: اكسروه سبع كسر، وصفوا على كل جزء كسرة ثم قال:

هــذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

ثم أقرع عليها ودفعها إلى رؤوس الأسباع، فجعل كل رجل منهم يدعو قومه فيحملون الجوالق.[1]

وقال: وروى مجمع، عن أبي رجاء قال: أخرج علي عليه السلام سيفاً إلى السوق، فقال: من يشتري مني هذا، فوالذي نفس علي بيده لو كان عندي ثمن إزار ما بعته، فقلت له: أنا أبيعك الآن، وأنسك ثمنه إلى عطائك، فدفعت إليه إزاراً إلى عطائه، فلما قبض عطائه دفع اليّ ثمن الإزار.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٩/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٩/٢.

قال: وروى هارون بن سعد، قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين لو أمرت لي بمعونة أو نفقة، فوالله ما لي نفقة إلاّ أن أبيع دابتي، فقال: لا والله لا أحمد لك شيئاً ألا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك.[1]

وقال: وروى بكر بن عيسى، قال: كان علي عليه السلام يقول: يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي ورحلي وغلامي فلان، فأنا خاين، فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم، ويأكل هو الثريد بالزيت.[2]

وقال: وروى إسحاق الهمداني إن إمرأتين أتيتا علياً عليه السلام وأحدهما من العرب، والأخرى من الموالي، فدفع إليهما دراهم وطعاماً بالسواء، فقالت أحدهما إني إمرأة من العرب، وهذه من العجم، فقال: إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا فضلاً على بني إسحاق.[3]

وروى معاوية بن عمار، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: ما اعتلج علي عليه السلام أمران في ذات الله إلاّ أخذ بأشدهما، ولقد علمتم أنه كان يأكل يا أهل الكوفة عندكم من مال بالمدينة، وأنه كان ليأخذ السويق فيجعله في جراب

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٢٠٠.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٢٠٠.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/٢٠١.

ويختم عليه، مخافة أن يزاد عليه من غيره، ومن كان أزهد في الدنيا من علي عليه السلام.[١]

وروى النضر بن منصور، عن عقبة بن علقمة، قال: دخلت على علي عليه السلام فإذا بين يديه لبن حامض آذاني حموضته، وكسر يابسة، فقلت: يا أمير المؤمنين أتاكل مثل هذا؟ فقال لي يا عقبة، كان رسول الله يأكل أيبس من هذا، ويلبس أخشن من هذا، وأشار إلى ثيابه، فإن أنا لم آخذ بما أخذ خفت أن لا ألحق به.[٢]

وروى عمران بن مسلمة، عن سويد بن علقمة، قال: دخلت على علي عليه السلام بالكوفة فإذا بين يديه قعب لبن أجد ريحه من شدة الحموضة، وفي يده رغيف يرى قشار الشعير على وجهه، وهو يكسره ويستعين أحياناً بركبته، وإذا جاريته فضة قائمة على رأسه، فقلت: يا فضة ما تتقون الله في هذا الشيخ! ألا نخلتم دقيقه، فقالت: إنا نكره أن يؤجر ونأثم نحن، وقد أخذ عنا أن لا ننخل له دقيقاً ما صحبناه، قال علي عليه السلام: لا تسمع ما تقول، فألتفت، ما يقول؟ قالت: سله، فقال لي: ما قلت لها؟ قال: قلت لها لو نخلتم دقيقه، فبكى، ثم قال: بأبي وأمي من لم يشبع ثلاثاً متوالية خبز بر حتى فارق الدنيا، ولا ينخل دقيقه، قال: يعني رسول الله صلى الله عليه وآله.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠١/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠١/٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠١/٢.

وقال: وروى يوسف بن يعقوب، عن صالح بيّاع الأكسية إن جدته لقيت علياً عليه السلام بالكوفة ومعه تمر يحمله، فسلمت عليه وقالت: أعطني يا أمير المؤمنين هذا التمر أحمله إلى بيتك، فقال: أبو العيال أحق بحمله، قالت: ثم قال لي: ألا تأكلين منه، فقلت: لا أريده، قالت: فأنطلق به إلى منزله، ثم رجع مرتدياً بتلك وفيها قشور التمر، فصلى بالناس فيها الجمعة.[1]

وقال: وروى محمد بن فضيل بن غزوان، قال: قيل لعلي عليه السلام: كم تتصدق؟ كم تخرج مالك إلاّ تمسك؟ قال: إني والله لو أعلم أن الله تعالى قبل مني فرضاً واحداً لأمسكت، ولكني والله لا أدري أقبل مني سبحانه شيئاً أم لا.[2]

وقال: وروى عنبسة العابد، عن عبد الله بن الحسن بن الحسن قال: أعتق علي عليه السلام ألف مملوك مما مجلت يداه، وفي نسخة ملكت يداه، وعرق جبينه، ولقد ولي الخلافة وأتته الأموال، فما كان حلواه إلاّ التمر، ولا ثيابه إلاّ الكرابيس.[3]

وقال: قال علي عليه السلام في كتاب كتبه إلى عثمان بن حنيف: ألا وإن إمامكم يعني نفسه، قد اكتفى بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع وإجتهاد، فوالله ما

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٢/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٢/٢.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٢/٢.

كثرت من دنياكم تبراً، ولا أدخرت من أغنامها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منها إلاّ قوت اتان دبره، ولهي في عيني أهون من عفصة مقرة.[1]

وروى العوام بن حوشب، عن أبي صادق، قال: تزوج علي عليه السلام ليلى بنت مسعود النهشلية فضربت له في دار حجلة، فجاء فهتكها وقال: حسب أهل علي ما هم فيه.[2]

وقال: وروى حاتم ابن إسماعيل المدائني، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: ابتاع علي عليه السلام في خلافته قميصاً سملاً بأربعة دارهم، ثم دعا الخياط فمد كمّ القميص، وأمره بقطع ما جاوز الأصابع.[3]

وقال: وروى علي بن محمد بن سيف المدائني، عن الفضيل بن الجعد قال: آكد الأسباب كان تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال، فإنه لم يكن يفضل شريفاً على مشروف، ولا عربياً على عجمي، ولا صانع الرؤساء وأمراء القبائل كما تصنع الملوك، ولا يستمل أحداً إلى نفسه، وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك الناس علياً والتحقوا بمعاوية، فشكى علي عليه السلام للأشتر تخاذل أصحابه، وفرار بعضهم إلى معاوية، فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين إنا قاتلنا أهل البصرة وأهل الكوفة، ورأي الناس واحد، وقد اختلفوا بعد، وتعادوا

---

[1] - نهج البلاغة ٧٠/٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٢/٢.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٢/٢.

وضعفت النية، وقلّ العدد، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق، وتنصف الضعيف من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجت طائفة ممّن معك من الحق إذ عموا به، وأغتموا من العذاب إذ صاروا فيه، ورأوا صنايع معاوية عند أهل الغنى والشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقلّ من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم يحتوي الحق، ويشتري الباطل، ويؤثر الدنيا، فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تميل إليك أعناق الرجال، وتنصف نصيحتهم لك، وتستخلص ودهم، صنع الله لك يا أمير المؤمنين، وكبت أعداك، وفض جمعهم، وأوهن كيدهم، وشتت أمورهم، إنه بما يعملون خبير، فقال علي عليه السلام: أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل، فإن الله عزّ وجل يقول: ﴿**من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد**﴾،[1] وأنا من أن أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف، وما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، ولا لجأوا إذ فارقوا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلاّ دنيا زائلة عنهم، كان قد فارقوها، وليسألن يوم القيامة أللدنيا أرادوا أم لله عملوا.

وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال، فإنه لا يسعنا أن يؤتى أمرء من الفيء أكثر من حقه، وقد قال الله تعالى وقوله الحق: ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**﴾،[2] وقد بعث الله

---

[1] - فصلت/٤٦.

[2] - البقرة/٢٤٩.

محمداً صلى الله عليه وآله بعده، فكثره بعد القلّة، وأعزّ فيه الذلّة، وإن يرد الله أن يولنا هذا الأمر يذلل لنا صعبة، ويسهل لنا حزنه، وإن قابل من رأيت ما كان لله عزّ وجل رضاً، وأنت من آمن الناس وأنصحهم لي في، وأوثقهم في نفسي إن شاء الله تعالى.[١]

وقال: وروى علي بن محمد بن أبي سيف المدائني أن طائفة من أصحاب علي عليه السلام مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين اعط هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب، وقريش على الموالي والعجم، وأستمل من تخاف خلافه من الناس وفراره، وإنما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال، فقال لهم: إنما أمرتموني أن أطلب النصر بالجور، لا والله لا أفعل ما طلعت شمس، وما لاح في سمائهم نجم، والله لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم، ثم سكت طويلاً واجماً، ثم قال: الأمر أسرع من ذلك، قالها ثلاثاً.[٢]

قال: وإنما ذكرنا هذه الأخبار والروايات، وإن كانت خارجة عن مقصد الفصل، لأن الحال اقتضى ذكرها من حيث أردنا أن نبيّن أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يذهب في خلافتة مذهب الملوك الذين يصانعون

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٧/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٣/٢.

بالأموال ويصرفونها في مصالح ملكهم، وملاذ أنفسهم، وأنه لم يكن من أهل الدنيا، وإنما كان رجلاً متألهاً، صاحب حق، لا يريد بالله ورسوله بدلاً.[١]

وقال: وروى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أكل تمر دقل، ثم شرب عليه ماء ومسح بطنه وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله، ثم أنشد:

فإنك إن أعطيت بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا[٢]

ومن كلام له عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلا بن زياد الحارثي، وهو من أصحابه يعوده، فلما رأى سعة داره، قال: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، وأنت إليها في الآخرة أحوج، وبلى إن شيت بلغت بها الآخرة، تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فاذا أنت قد بلغت بها الآخرة، فقال له العلا: يا أمير المؤمنين أشكو اليك أخي عاصم بن زياد، قال: وما له؟ قال: لبس العبا، وتخلى من الدنيا، قال: عليّ به، فلما جاء، قال: يا عدو نفسه، لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك، أترى الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها، أنت أهون على الله من ذلك، قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك، وخشونة مأكلك، قال:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠٢/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥٧/٣.

ويحك إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة الحق أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس، كيلا يتبيغ بالفقير فقره.[١]

وقال في الشرح: اعلم إن الذي رويته عن الشيوخ، ورأيته بخط عبد الله بن أحمد بن الخشاب، أن الربيع بن زياد الحارثي أصابته نشابة في جبينه فكانت تتنقض عليه في كل عام، فأتاه علي عليه السلام عائداً، فقال: **كيف تجدك أبا عبدالرحمن؟** قال: أجدني يا أمير المؤمنين لو كان يذهب ما بي إلاّ بذهاب بصري لتمنيت ذهابه، **قال: وما قيمة بصرك عندك؟** قال: لو كانت لي الدنيا، لفديته بها، **قال: لا جرم ليعطينك الله على قدر ذلك، إن الله تعالى يعطي على قدر الألم والمصيبة، وعنده تضعيف كثير،** قال الربيع: يا أمير المؤمنين ألا أشكو إليك عاصم بن زياد أخي، **قال: ما له؟** قال: لبس العبا الملا، وغمّ أهله، وترك ولده، **فقال عليه السلام: ادعو لي عاصماً،** فلما أتاه عبس في وجهه، **فقال له: ويحك يا عاصم، أترى الله أحل لك اللذات، وهو يكره ما أخذت منها، لأنت أهون على الله من ذلك، أوما سمعته يقول ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾،[٢] ثم قال: ﴿يخرج منها اللؤلؤ والمرجان﴾،[٣] وقال: ﴿ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها﴾.**[٤]

---

[١] - نهج البلاغة ١٨٧/٢.

[٢] - الرحمن/١٩.

[٣] - الرحمن/٢٠.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٥/١١.

أما والله ابتذال نعم الله بالفعال أحبّ إليه من ابتذالها بالمقال، وقد سمعتم الله تعالى يقول: ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾،[١] وقوله: ﴿**قل من حرم زينة الله التي اخرج لعبادة والطيبات من الرزق**﴾ إنما خاطب أمير المؤمنين بما خاطب المرسلين فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾،[٢] وقال: ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً**﴾.[٣]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض نسائة: ما لي أراك شعثاء، مرهاء، سلتاء، قال عاصم: فلم اقتصرت يا أمير المؤمنين على لبس الخشن، وأكل الجشب؟ قال: إن الله تعالى أفترض على أئمة العدل أن يقدروا لأنفسهم بالعّوام كيلا يتبيغ بالفقير فقره، فما قام علي عليه السلام حتى نزع عاصم العبا، ولبس ملاه.[٤]

وقال: وجاء في الخبر المرفوع أن يوسف كان يجوع في سني الجذب فقيل له: أتجوع وأنت على خزائن مصر؟ فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجياع، وكذا علي عليه السلام وقد قيل له: هذا لباسك، وهذا مأكولك، وأنت أمير المؤمنين؟ فقال: إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا لأنفسهم بضعفة الناس، كي لا يتبيغ بالفقير فقره.[٥]

---

[١] - الضحى/١١.

[٢] - البقرة/١٧٢.

[٣] - المؤمنون/٥١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١/٢٣٦

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١/٢٣٦.

الباب
الحادي والأربعون
في كلام السيد الرضي وابن أبي الحديد
في فضائله عليه السلام يتعلق ببعض الأبواب السالفة

قال ابن أبي الحديد: قال السيد الرضي رحمه الله: ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها، أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر إذا تأمله متأمل، وفكر فيه المتفكر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله، ممن عظم قدره، ونفذ أمره، وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك في أنه من كلام من لاحظ له في غير الزهادة، ولا شغل له بغير العبادة، وقد قبع في كسر بيت أو انقطع إلى سفح جبل، لا يسمع إلاّ حسه، ولا يرى إلاّ نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب، مصلتاً سيفه، فيقطع الرقاب، ويجدل الأبطال، ويعود به ينطف دماً، ويقطر مهجاً، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد، وبدل الأبدال، وهذه من فضائله العجيبة، وخصايصه اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد، وألف بين الأشتات، وكثيراً ما ذاكر الإخوان بها، وأستخرج عجبهم منها، وهي موضع العبرة بها والفكرة فيها.[1]

وقال في الشرح: قبع القنفذ يقبع قبوعاً، أدخل رأسه في جلده، وكذلك الرجل إذا أدخل رأسه في قميصه، وكل من انزوى في جحر أو مكان

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٩/١.

ضيق فقد قبع، وكسر البيت جانب الخباء، وسفح الجبل أسفله حيث يسفح فيه الماء، ويقطع الرقاب يقطعها عرضاً لا طولاً كما قاله الراوندي، وإنما ذاك القد وردته طولاً وقطعته عرضاً، قال ابن فارس صاحب الجمل: قال ابن عايشة: كانت ضربات أمير المؤمنين في الحرب أبكار إن اعتلا قدّ، وإن اعترض قدّ، ويجدل الأبطال يلقيهم على الجدالة، وهي وجه الأرض، وينطف دماً، يقطر، والأبدال صالحون لا تخلو الأرض منهم، إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر، وقد ورد ذلك في كثير من الحديث، كان أمير المؤمنين عليه السلام ذا أخلاق متضادة.[1]

فمنها: ما ذكره الرضي رحمه الله وهو موضع التعجب، لأن الغالب على أهل الشجاعة الإقدام والمغامرة، والجرأة أن يكونوا ذوي قلوب قاسية وفتك وتمرد وجبرية، والغالب على أهل الزهد ورفض الدنيا وهجران ملاذها، والإشتغال بمواعظ الناس، وتخويفهم المعاد، وتذكيرهم الموت، إن يكونوا ذوي رقة ولين، وضعف قلب، وخور طباع، وهاتان حالتان متضادتان، قد اجتمعا له عليه السلام.[2]

ومنها: إن الغالب على ذوي الشجاعة وإراقة الدماء أن يكونوا ذوي أخلاق سبعية، وطباع وحشية، وغرائز وحشية، وكذلك الغالب على الزهاد، وأرباب الوعظ والتذكير، ورفض الدنيا، أن يكونوا ذوي انقباض في الأخلاق،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٠/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٠/١.

وعبوس في الوجوه، ونفار من الناس واستيحاش، وأمير المؤمنين عليه السلام كان أشجع الناس، وأعظمهم إراقة للدم، وأزهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا، وأكثرهم وعظاً وتذكيراً بأيام الله ومثلاته، وأشدهم اجتهاداً في العبادة، وآداباً لنفسه في المعاملة، وكان مع ذلك ألطف العالم أخلاقاً، وأسفرهم وجهاً، وأكثرهم بشراً، وأوفاهم هشاشة، وأبعدهم عن انقباض موحش، أو خلق نافر، أو تجهم مباعد، أو غلظة وفظاظة تنفر معها نفس، أو يتكدر معها قلب حتى عيب بالدعابة، ولما لم يجدوا فيه مغمزاً، ولا مطعناً، تعلقوا بها، واعتمدوا في التنفير عنه عليها:

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وهو من عجائبه وغرايبه اللطيفة.[1]

ومنها: الغالب على شرفاء الناس، ومن هو من أهل بيت السيادة والرياسة، أن يكونوا ذا كبر وتيه، وتعظيم وتغطرس، خصوصاً إذا أضيف إلى شرفه من جهة النسب، شرفه من جهات أخرى، وكان أمير المؤمنين عليه السلام في خصائص الشرف ومعدنه، ومع أنه لا يشك عدو ولا صديق أنه أشرف خلق الله نسباً بعد ابن عمه ﴿صلوات الله عليهما﴾، وقد حصل له من الشرف غير شرف النسب جهات كثيرة متعددة، قد ذكرنا بعضها، ومع ذلك فقد كان أشد الناس تواضعاً، صغيراً وكبيراً وألينهم عريكة، وأسمحهم خلقاً، وأبعدهم عن الكبر، وأعرفهم بحق، وكانت حاله هذه كلا زمانيه، زمان خلافته، والزمان

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٠/١.

الذي قبله، لم تغيّره الإمرة، ولا أحالت خلقه الرياسة، وكيف تحيل الرياسة خلقه، وما زال رئيساً، وكيف تغير الإمرة سجيته، وما برح أميراً لم يستفد بالخلافة شرفاً، ولا اكتسب بها زينة، بل هو كما قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل، وذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تأريخه المعروف بالمنتظم قال: تذاكروا عند أحمد خلافة أبي بكر وعلي وقالوا فأكثروا، فرفع رأسه إليهم وقال: أكثرتم إن علياً لم تزنه الخلافة، ولكنه زانها، وهذا الكلام دال فحواه ومفهومه على أن غيره ازدان بالخلافة، وتممت نقيصته، وإن علياً عليه السلام لم يكن فيه نقص إلى أن يتمم بالخلافة، وكانت الخلافة ذات نقص في نفسها، فتمّ نقصها بولايته إياها.[1]

ومنها: إن الغالب على ذوي الشجاعة، وقتل الأنفس، وإراقة الدماء أن يكونوا قليلي الصفح، بعيدي العفو، لأن أكبادهم واغرة، وقلوبهم ملتهبة، والقوة الغضبية عندهم شديدة، وقد علمت حال أمير المؤمنين عليه السلام في كثرة إراقة الدماء، وما عنده من الحلم والصفح، ومغالبة هوى النفس، وقد رأيت فعله يوم الجمل، ولقد أحسن مهيار في قوله:

حتى إذا دارت رحـــى بغيهم	عليهم وسبق السيف الـــعـدل
عاذوا بـعـفـو مـاجـد مـعـود	للعفو حمال لهم عـلـى العلل
فنجت البقيا عليهم مـــن نجا	وأكل الحديد منهم مـن أكل

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥١/١.

أطت بهم أرحامهم فلم يطع ثايرة الغيظ ولم يشف الغلل[1]

ومنها: إنا ما رأينا شجاعاً جواداً قط، كان عبد الله بن الزبير شجاعاً، وكان أبخل الناس، وكان أبوه شجاعاً، وكان شحيحاً، قال له: لو وليتها لظلت تلاطم الناس في البطحاء على الصاع والمد، وأراد علي عليه السلام أن يحجر على عبد الله بن جعفر لتبذيره المال، فأحتال لنفسه، فشارك الزبير في أمواله وتجارته، فقال علي عليه السلام: أما إنه لاذ بملاذ، ولم يحجر عليه، وكان طلحة شجاعاً، وكان شحيحاً، أمسك عن الإنفاق حتى خلف من الأموال ما لا يأتي عليه الحصر، وكان عبد الملك يضرب به المثل في الشح، وسمي رشح الحجر لبخله، وقد علمت حال أمير المؤمنين في الشجاعة والسخاء كيف هي، وهذا من أعاجيبه أيضاً عليه السلام.[2]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٢/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٢/١.

الباب
الثاني والأربعون
في حسن تدبيره وسياسته وموافقته للشرع
بخلاف المتخلفين قبله وثبوت إمامته وخلافته عليه السلام بالنص
وتأويلات المعتزلة للنص باطلة

قال ابن أبي الحديد: قال أعداؤه: لا رأي له، لأنه كان متقيداً بالشريعة، لا يرى خلافها، ولا يعمل إلاّ بما يقتضي الدين تحريمه، وقد قال عليه السلام: لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب. وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستونقه، سواء كان مطابقاً للشرع أو لم يكن.[1]

ولا ريب أن الذي يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه، يكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب، ومن كان خلاف ذلك، يكون أحواله الدنيوية إلى الإنتشار أقرب.[2]

أما السياسة فإنه كان شديد السياسة، خشناً في ذات الله، لم يراقب ابن عمه[3] في عمل كان ولاه إياه، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جبهه به، وأحرق

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨/١.

[3] - يعني ابن عباس حين ولاه البصرة. (منه).

وأحرق قوماً بالنار، ونقص دار مصقلة بن هبيرة، ودار جرير بن عبد الله البجلي، وقطع جماعة، وصلب آخرين.

ومن جملة سياسته في حروبه في أيام خلافته بالجمل، وصفين، والنهروان، وفي أقل القليل منها مقنع، فإن كان سائس في الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر، مما فعل عليه السلام في هذه الحروب بيده وأعوانه، فهذه هي خصايص البشر ومزاياهم، قد أوضحنا أنه فيها الإمام المتبع فعله، والرئيس المقتفى أثره، وما أقول في رجل تحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة، وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة، وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها، وبيوت عبادتها، حاملاً سيفه مشمراً لحربه، وتصور ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها، كان على سيف عضد الدولة ابن بويه، وسيف أبيه ركن الدولة صورته، وكان على سيف البارسلان ملكشاه صورته، كأنهم يتفائلون به، النصر والظفر، وما أقول في رجل أحب كل واحد أن يتكثر، وودّ كل أحد أن يتجمل، ويتحسن بالإنتساب إليه، حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها أن لا تستحسن من نفسك، ما تستقبحه من غيرك، فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنفوا في ذلك كتباً، وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه، وقصروه عليه، وسموه سيد الفتيان، وعضدوا مذهبهم بالبيت المشهور، أن سمع من السماء يوم أُحد، لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ علي، وما أقول في رجل أبوه أبو طالب، سيد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة، قالوا قلّ أن يسود فقير، وساد أبو طالب، وهو فقير لا مال له، وكانت قريش تسميه

الشيخ، وفي حديث عفيف الكندي لما رأى النبي صلى الله عليه وآله يصلي في مبدأ الدعوة، ومعه غلام وإمرأة، قال: فقلت للعباس: أي شيء هذا؟ قال: هذا ابن أخي يزعم أنه رسول الله إلى الناس، ولم يتبعه على قوله إلاّ هذا الغلام، وهو ابن أخي أيضاً، وهذه المرأة هي زوجته، قال: قلت: فما الذي تقولونه أنتم؟ قال: ننتظر ما يفعل الشيخ أبا طالب.[١]

وأبو طالب هو الذي كفل رسول الله صلى الله عليه وآله صغيراً، وحماه وحاطه كبيراً، ومنعه من مشركي قريش، ولقي لأجله عنتاً عظيماً، وقاسى بلاء شديداً، وصبر على نصره والقيام به، وجاء في الخبر أنه لما توفي أبو طالب أوحي إليه عليه السلام وقيل له: اخرج منها، فقد مات ناصرك، وله من شرف هذه الأبوة ابن عمه محمد سيد الأولين والآخرين، وأخاه جعفر ذو الجناحين الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أشبهت خلقي وخلقي، وفر يخجل فرحاً، وزوجته سيدة نساء العالمين، وأبناه سيدا شباب أهل الجنة، فآباؤه آباء رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمهاته أمهات رسول الله، وهو مسوط لحمه ودمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب، وأمهما واحدة، فكان منهما سيد الناس، هذا الأول، وهذا التالي، وهذا المنذر، وهذا الهادي.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩/١.

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى، وآمن بالله وعبده، وكل من في الأرض يعبد الحجر، ويجحد الخالق، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلاّ السابق إلى كل خير محمد صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه.[1]

ذهب أهل الحديث إلى أنه عَلَيْهِالسَّلَامُ أول الناس اتباعاً لرسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه وإيماناً به، ولم يخالف في ذلك إلاّ الأقلون.[2]

وقال عَلَيْهِالسَّلَامُ: أنا الصديق الأكبر، وأنا الفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام الناس، وصليت قبل صلاتهم.[3]

ومن وقف على كتب أصحاب الحديث، تحقق ذلك، وعلمه واضحاً، وإليه ذهب الواقدي، وابن جرير الطبري، وهو القول الذي نصره ورجحه صاحب كتاب الاستيعاب، ولأنا إنما نذكر في مقدمة هذا الكتاب جملة من فضائله عنت بالعرض لا بالقصد، ما وجب أن نختصر ونقتصر، فلو أردنا شرح مناقبه وخصائصه لأحتجنا إلى كتاب مفرد مماثل حجم هذا الكتاب، بل يزيد عليه، وبالله التوفيق.[4]

قال: وأعلم أن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة إلاّ إذا كان يعمل برأيه، وبما يرى فيه صلاح ملكه، وتمهيد أمره، وطوية قاعدته، سواء وافق الشريعة أو لم يوافقها، ومتى لم يعمل في السياسة بموجب ما قلناه وإلاّ فبعيد

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠/١.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠/١.

[4] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠/١.

أن ينتظم أمره، وتتسق حاله، وأمير المؤمنين عليه السلام كان متقيداً بقيود الشريعة، مدفوعاً إلى إتباعها، ورفض ما يصلح اعتماده من وراء الحرب والمكيدة والتدبير، وإذا لم يكن للشرع موافقاً فلم تكن في خلافته قاعدة غيره، ممن لم يلتزم بذلك، ولسنا بهذا القول زارين على عمر بن الخطاب، ولا ناسبين إليه ما هو منزه عنه، ولكنه كان مجتهداً يعمل بالقياس والإستحسان، والمصالح المرسلة، فيرى تخصيص عمومات النصوص بالآراء وبالاستنباط من أصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص، ويكيد خصمه، ويأمر أمرائه بالكيد والحيلة، ويؤدب بالدرة والسوط من يتغلب في ظنه أنه مستوجب لذلك، ويصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقون له التأديب، كل ذلك بقوة اجتهاده، وما يؤدي إليه نظره، ولم يكن علي عليه السلام يرى ذلك، وكان يقف مع النصوص والظواهر، ولا يتعداها إلى الإجتهاد والأقيسة، ويطبق أمور الدنيا على أمور الدين، ويسوق الكل مساقاً واحداً، ولا يضع ولا يرفع إلاَّ بالكتاب والنص، فأختلفت طريقتهما في الخلافة والسياسة، وكان عمر مع ذلك شديد الغلظة، وكان علي عليه السلام كثير الحلم، والصفح والتجاوز، فأزدادت خلافة ذاك قوة، وخلافة هذا ليناً، ولم يمن عمر بما مني به علي عليه السلام من فتنة عثمان التي أحوجته إلى مداراة أصحابه وجنده، ومقاربتهم للإضراب الواقع بطريق تلك الفتنة، ثم تلى ذلك فتنة الجمل، وفتنة صفين، وفتنة النهروان، وكل هذه الأمور مؤثرة في اضطراب أمر الوالي، وانحلال معاقد ملكه، ولم يتفق لعمر شرع من

ذلك، فشتان بين الخلافتين فيما يعودان إلى انتظام المملكة، وصحة تدبير الخلافة.[1]

فإن قلت: فما قولك في سياسة الرسول صلى الله عليه وآله وتدبيره، أليس كان منتظماً سديداً، مع أنه كان لا يعمل إلاّ بالنصوص، والتوقيف من الوحي، فهلا كان تدبير علي وسياسته كذلك، إذا قلتم أنه كان لا يعمل إلاّ بالنص.[2]

قلت: أما سياسة الرسول وتدبيره، فخارج عما نحن فيه، لأنه معصوم، ولا يتطرق الغلط إلى أفعاله، ولا واحد من هذين الرجلين بواجب العصمة عندنا، وأيضاً فإن كثيراً من الناس ذهب إلى أن الله تعالى أذن للرسول صلى الله عليه وآله أن يحكم في الشرعيات وغيرها برأيه، وقال له أاحكم بما تراه، فإنك لا تحكم إلاّ بالحق، وهذا مذهب يونس بن عمران، وعلى هذا فقد سقط السؤال، لأنه صلى الله عليه وآله يعمل بما يراه من المصلحة، ولا ينتظر الوحي، وأيضاً فبعد فساد هذا المذهب، أليس قد ذهب خلق كثير من علماء أصول الفقه إلى أن الرسول عليه السلام كان يجوز له أن يجتهد في الأحكام والتدبير، كما يجتهد الواحد من العلماء، وإليه ذهب القاضي أبو يوسف، وأحتج بقوله تعالى: ﴿**لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٢/١٠.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٣/١٠.

[3] - النساء/١٠٥.

والسؤال أيضاً ساقط على هذا المذهب، لأن اجتهاد علي عليه السلام لا يساوي اجتهاد النبي صلى الله عليه وآله، وبين الاجتهادين كما بين المنزلتين، وكان أبو جعفر بن أبي زيد الحسني نقيب البصرة إذا حدثناه في هذا يقول: إنه لا فرق عند من قرأ السيرتين، سيرة النبي، وسياسة أصحابه أيام حياته، وبين سيرة علي عليه السلام وسياسته وأصحابه أيام حياته، فكما أن علياً عليه السلام لم يزل أمره مضطرباً معهم بالمخالفة، والعصيان والهرب إلى أعدائه، وكثرة الفتن والحروب، فكذلك كان النبي صلى الله عليه وآله لم يزل ممنواً بنفاق المنافقين وأذاهم، وخلاف أصحابه عليه، وهرب بعضهم إلى أعدائه، وكثرة الحروب والفتن، وكان يقول ألست ترى القرآن العزيز مملواً بذكر المنافقين، والشكوى منهم، والتألم من أذاهم له، كما أن كلام علي عليه السلام مملولاً بالشكوى من منافقي أصحابه، والتألم من أذاهم، والتوائهم عليه، وذلك نحو قوله تعالى: **﴿ألم ترَ إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾**،[1] وقوله: **﴿إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا﴾**،[2] الآية، وقوله: **﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد أنّ المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنّة فصدوا عن سبيل الله**

---

[1] - المجادلة/٨

[2] - المجادلة/١٠.

انهم ساء ما كانوا يعملون﴾،[١] السورة بأجمعها، وقوله: ﴿ومنهم من يستمع اليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفاً الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوائهم﴾،[٢] وقوله: ﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾،[٣] وقوله: ﴿أحسب الذين في قلوبهم مرض ان يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالهم﴾،[٤] وقوله: ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظنّ السوء وكنتم قوماً بوراً﴾،[٥] وقوله: ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل

---

[١] - المنافقون/١.

[٢] - محمد/١٦.

[٣] - محمد/٢٠.

[٤] - محمد/٢٩ — ٣٠.

[٥] - الفتح/١١ — ١٢.

فيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلاّ قليلاً﴾،[1] وقوله: **﴿ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم﴾**.[2]

قال: وأصحابه الذين نازعوه في الأنفال، وطلبوها لأنفسهم حتى أنزل قوله تعالى: **﴿قل الأنفال لله والرسول فاتقوا واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين﴾**.[3]

وهم التووا في الحرب يوم بدر، وكرهوا لقاء العدو حتى خيف خذلانهم له، وذلك قبل أن تتراءى الفئتان، وأنزل فيهم: **﴿يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾**.[4]

وهم الذين كانوا يتمنون لقاء العير دون لقاء العدو، حتى أنهم ظفروا برجلين في الطريق فسألوهما عن العير، فقالا: لا نعلم، وإنما رأينا جيش قريش من وراء ذلك الكثيب، فضربوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فلما ذاقا الضرب قالا: بل العير أمامكم فأطلبوها، فلما رفع الضرب، قالا: والله ما رأينا العير، ولا رأينا إلاّ الخيل والسلاح والجيش، فأعادوا الضرب عليهما مرة ثانية، فقالا وهم يضربان: العير أمامكم، فخلوا عنّا، فأنصرف رسول الله من الصلاة

---

[1] - الفتح/١٥.

[2] - الحجرات/٤ — ٥.

[3] - الانفال/١.

[4] - الانفال/٦.

وقال: إذا صدقاكم وريتموهم، وإذا كذباكم خليتم عنهما، دعوهما فما رأيا إلاّ جيش مكة، وأنزل الله: **﴿وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾**.[1]

قال المفسرون الطائفتان العير ذات اللطيمة الواصلة إلى مكة من الشام بصحبة أبي سفيان بن حرب، وإليها كان خروج المسلمين، والأخرى ذو الجيش ذو الشوكة، وكان ﷺ قد وعدهم بإحدى الطائفتين، فكرهوا الحرب، وأحبوا الغنيمة.

قال: وهم الذين فروا عن النبي ﷺ يوم حنين **﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾**،[2] وهم الذين فرّوا عنه ﷺ يوم أحد، وأسلموه وأصعدوا في الجبل، فتركوه حتى شجّ الأعداء وجهه، وكسروا ثنيته، وضربوه على البيضة حتى دخل حلق المغفر في جبهته، وألقوه من فرسه إلى الأرض بين القتلى، وهو يستصرخ بهم ويدعوهم، فلا يجيبه أحد منهم إلاّ من كان جارياً مجرى نفسه، وشديد الإختصاص به، ذلك قوله: **﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في اخراكم﴾**،[3] أي ينادي فيسمع نداء

---

[1] - الانفال/٧.

[2] - التوبة/٢٥.

[3] - آل عمران/٣٥١.

الهاربين لأولاهم، لأن أولهم أوغلوا في الفرار، وبعدوا عن أن يسمعوا صوته، وكان قصارى الأمر أن يبلغ صوته وأستصراخه من كان على ساقة الهاربين منه.[١]

قال: ومنهم الذين عصوا أمره في ذلك اليوم حيث أقامهم على الشعب في الجبل، وهو الموضع الذي يخاف أن يغير عليه خيل العدو من ورائه، وهم أصحاب عبد الله بن جُبير، فإنهم خالفوا أمره، وعصوا فيما تقدم به إليهم، ورغبوا في الغنيمة، ففارقوا أمره حتى دخل الوهن على الإسلام بطريقهم، لأن خالد بن الوليد جاء في عصابة من الخيل، فدخل من الشعب الذي كانوا يحرسونه، فما أحسّ المسلمون بهم إلاّ وقد غشوهم بالسيف من خلفهم، فكانت الهزيمة، ذلك قوله تعالى: ﴿**حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة**﴾.[٢]

قال: ومنهم الذين عصوا أمره في غزاة تبوك بعد أن أكد عليهم الأوامر، وخذلوه وتركوه، ولم يشخصوا معه، فأنزل فيهم: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، فما متاع الحياة الدنيا من الآخرة إلاّ قليل ألا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كلّ**

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٤/١٠.

[٢] - آل عمران/٢٥١.

شيء قدير﴾،[1] وهذه الآية خطاب مع المؤمنين لا مع المنافقين، وفيها أوضح دليل على أن أصحابه وأولياءه المصدقين لدعوته كانوا يعصونه ويخالفون أمره، ثم أكدّ عتابهم وتقريعهم وتوبيخهم بقوله تعالى: **﴿لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون﴾**.[2]

ثم عاتب رسول الله ﷺ على كونه أذن لهم في التخلف، وإنما أذن لهم لعلمه أنهم لا يجيبونه إلى الخروج، فرأى أن يجعل المنّة عليهم في الإذن لهم وإلاّ قعدوا عنه، ولم تحصل له المنّة، فقال له: **﴿عفى الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾**،[3] أي هلا أمسكت عن الإذن لهم حتى يتبين لك قعود من يقعد، وخروج من يخرج، وتعلم صادقهم من كاذبهم، لأنهم كانوا قد وعدوه بالخروج معه كلهم، وكان بعضهم ينوي الغدر، وبعضهم يعزم على أن يخيس بذلك الوعد، فلو لم يأذن لهم لعلم من يتخلف، ومن لا يتخلف، فعلم الصادق منهم والكاذب، ثم بيّن سبحانه وتعالى أن الذين يستأذنونه في التخلف خارجين من الإيمان، فقال له: **﴿إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم**

---

[1] - لتوبة/٣٨ – ٣٩.

[2] - التوبة/٤٢.

[3] - التوبة/٤٣.

في ريبهم يترددون﴾،[1] ولاحاجة إلى التطويل بذكر الآيات المفصلة فيما يناسب هذا المعنى.[2]

فمن تأمل الكتاب العزيز علم حاله ﴿صلوات الله تعالى عليه﴾ مع أصحابه كيف كانت، ولم ينقله الله تعالى إلى جواره إلاّ وهو مع المنافقين له، والمظهرين خلاف ما يضمرون من تصديقه في جهاد شديد حتى لقد كاشفوه مراراً، فقال لهم يوم الحديبية: احلقوا وأنحروا، فلم يحلقوا ولم ينحروا، ولم يتحرك أحد منهم عند قوله، وقال بعضهم وهو يقسم الغنائم اعدل يا محمد، فإنك لم تعدل، وقالت الأنصار له مواجهة يوم حنين، أتأخذ ما أفاء الله علينا بسيوفنا، فتدفعه إلى أقاربك من أهل مكة حتى قضى الأمر، إلى أن قال لهم في مرض موته: اتوني بدواة وكتف، أكتب لكم ما لا تضلون بعده، ولم يأتوه بذلك، وليتهم اقتصروا على عصيانه، ولم يقولوا شيئاً، وهو يسمع، وكان أبو جعفر يقول من ذلك ما يطول شرحه، والقليل منه ينبيء عن الكثير، وكان يقول: إن الإسلام ما حلا عندهم وثبت في قلوبهم إلاّ بعد موته حيث فتحت عليهم الفتوح، وجاءتهم الغنائم والأموال، وكثرة عليهم المكاسب، وذاقوا طعم الحياة، وعرفوا لذة الدنيا، ولبسوا الناعم، وأكلوا الطيب، وتمتعوا بنساء الروم، وملكوا خزائن كسرى، وتبدلوا القشف و الشظف، والعيش الخشن، وأكل الضباع والقنافذ واليرابيع، ولبسوا الصوف والكرابيس، وأكلوا

---

[1] - التوبة/٤٥.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٨/١٠.

اللوزينجات والفالوذجات، ولبسوا الحرير والديباج، فأستدلوا بما فتح الله علهيم وأباحه لهم على صحة الدعوة، وصدق الرسالة، وقد كان ﷺ وعدهم بأنه سيفتح عليهم كنوز كسرى وقيصر، فلما وجدوا الأمر وقع بموجب ما قاله عظموه وبجلوه، وأنقلبت تلك الشكوك وذلك النفاق، وذلك الاستهزاء إيماناً ويقيناً، وإخلاصاً، وطاب لهم العيش، وتمسكوا بالدين، لأنهم رأوه طريقاً إلى نيل الدنيا، فعظموا ناموسه، وبالغوا في إجلاله، وإجلال الرسول الذي جاء به، ثم انقرض الأسلاف، وجاء الأخلاف على عقيدة ممهدة، وأمر أخذوه تقليداً من أسلافهم الذين ربوا في حجورهم، حتى انقرض ذلك القرن وجاء من بعدهم كذلك، وهلم جراً.[1]

قال: ولولا الفتوح والنصر والظفر الذي منحهم الله تعالى إياه، والدولة التي ساقها إليهم لأنقرض دين الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان يذكر في التواريخ كما يذكر، لأن نبوة خالد بن سنان العبسي، حيث ظهر ودعا إلى الدين، وكان الناس يعجبون من ذلك ويتذاكرونه، كما يعجبون ويتذاكرون أخبار من نبغ من الرؤساء والملوك، والدعاة الذين انقرض أمرهم، وبقيت أخبارهم، وكان يقول من تأمل حال الرجلين، وجدهما متشابهين في جميع أمورهما أو في أكثر ذلك، لأن حرب رسول الله ﷺ مع المشركين كانت سجالاً، انتصر يوم بدر، وانتصر المشركون عليه، وكان يوم الخندق كفافاً هو وهم سواء، لا عليه ولا له، لأنهم قتلوا رئيس الأوس سعد بن معاذ، وقتل منهم

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٩/١٠.

فارس قريش وهو عمرو بن عبد ود، وأنصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك الساعة التي كانت، ثم حارب بعدها قريشاً يوم الفتح، فكان يوم الفتح الظفر له، وهكذا كان حروب علي عليه السلام انتصر يوم الجمل، وخرج الأمر بينه وبين معاوية سواء، قتل من أصحابه رؤوساء، ومن أصحاب معاوية رؤساء، وأنصرف كل واحد من الفريقين عن صاحبه بعد الحرب على تكاف، ثم حارب بعد صفين أهل النهروان، وكان الظفر له.[1]

ومن العجب أن أول حروب رسول الله صلى الله عليه وآله بدراً، وكان هو المنصور فيها، وأول حروب علي عليه السلام الجمل، فكان هو المنصور فيها، ثم كان من الصلح والحكومة يوم صفين، نظير ما كان من صحيفة الصلح والهدنة يوم الحديبية، ثم دعا معاوية في آخر أيام علي عليه السلام إلى نفسه، وسمي بالخلافة، كما أن مسيلمة، والأسود العبسي دعوا إلى أنفسهما في آخر أيام رسول الله صلى الله عليه وآله، وتسميا بالنبوة، وأشتد على علي ذلك، كما اشتدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الاسود ومسيملة، وأجل الله تعالى أمر الأسود ومسيلمة بعد وفاته صلى الله عليه وآله، كذلك أبطل أمر معاوية بن أمية بعد وفاة علي عليه السلام، ولم يحارب رسول الله صلى الله عليه وآله أحد من العرب إلاّ قريش ما عدا يوم حنين، ولم يحارب علياً عليه السلام أحداً من العرب عدا يوم النهروان، ومات علي عليه السلام شهيداً بالسيف، ومات رسول الله صلى الله عليه وآله بالسم، وهذا لم يتزوج على خديجة أم أولاده حتى ماتت، وهذا لم يتزوج على فاطمة أم أشرف أولاده حتى ماتت، ومات رسول الله

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٠/١٠.

ﷺ عن ثلاث وستين سنة، ومات علي عليه السلام عن مثلها، وكان يقول انظروا أخلاقهما وخصائصهما، هذا شجاع، وهذا شجاع، وهذا فصيح، وهذا فصيح، وهذا سخي جواد، وهذا سخي جواد، وهذا عالم بالشرايع والأمور الإلهية، وهذا عالم بالفقه والشريعة والأمور الإلهية، الدقيقة الغامضة، وهذا زاهد في الدنيا غير نهم عليها، ولا مستكثر منها، وهذا زاهد في الدنيا تارك لها غير متمتع بلذاتها، وهذا مذيب نفسه في الصلاة والعبادة، وهذا مثله، وهذا غير محبب إليه شيء من أمور العاجلة إلاّ النساء، وهذا مثله، وهذا ابن عبد المطلب بن هاشم، وهذا في قعدده، وأبواهما أخوان لأب وأم دون غيرهما من بني هاشم بن عبد المطلب، وربى محمد ﷺ في حجر والده، وهذا وهو أبو طالب فكان جارياً عنده مجرى أحد أولاده، ثم لما شب محمد ﷺ وكبر استخلص من بني طالب علياً وهو غلام، فرباه في حجره، مكافاة لصنيع أبي طالب به، وأمتزج الخلقان، وتماثلت السجيتان، وإذا كان القرين مقتدياً بالقرين، فما ظنك بالتربية، والسقيف الدهر الأطول، فواجب أن تكون أخلاق محمد ﷺ كأخلاق أبي طالب، وأن تكون أخلاق علي عليه السلام كأخلاق أبي طالب، ومحمد مربيه، وأن تكون لكل شيمة واحدة، وسوساً واحد، وطينة مشتركة، ونفساً غير منعتمة، ولا متجزية، وأن لا يكون من بعض هؤلاء، وبعض فرق، ولا فضل، لولا أن الله اختص محمداً ﷺ برسالته، وأصطفاه لوحيه، لما يعلمه من مصالح البرية في ذلك، ومن أن اللطف به أكمل، والنفع بمكانه أتم وأعم، وأمتاز ﷺ بذلك عمن سواه، وبقي ماعدا الرسالة على

أصل الإيجاد، إلى هذا المعنى أشار رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: أخصمك يا علي بالنبوة، فلا نبوة بعدي، تخصم الناس بسبع، وقال له أيضاً: أنت مني بمنزلة هارون من موسى ألا أنه لا نبي بعدي، وأبان نفسه عنه بالنبوة، وأثبت له ما عداه من جميع الفضائل والخصائص مشتركاً بينهما.[١]

وكان النقيب أبو جعفر رحمه الله غزير العلم، صحيح العقل، منصفاً في الجدال، غير متعصب للمذهب، وإن كان علوياً، وكان يعترف بفضل الصحابة، ويثني على الشيخين ﴿رضي الله عنهما﴾ بل يقول إنهما مهدا دين الإسلام، وأرسيا قواعده، ولقد كان شديد الاضطراب في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنما مهداه بما تيسر للعرب من الفتوح والغنائم في دولتهما، وأن يقول في عثمان أن الدولة في أيامه كانت على إقبالها وعلو جدها، بل كانت الفتوح في أيامه أكثر، والغنائم أعظم، لولا أنه لم يراع ناموس الشيخين، ولم يستطع أن يسلك مسلكهما، وأنه مضعفاً في أصل القاعدة، ومغلوباً عليه، وكثير الحب لأهله، وأتيح له مروان وزير سوء، أفسد القلوب عليه، وحمل الناس على خلعه وقتله.

وكان أبو جعفر رحمه الله لا يجحد الفاضل فضله، والحديث شجون.[٢]

قلت له مرة: ما سبب حب الناس لعلي ابن أبي طالب عليه السلام وعشقهم له، وتهالكهم في هواه، ودعني في الجواب من حديث الشجاعة، والعلم

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢١/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٢/١٠.

والفصاحة، وغير ذلك من الخصائص التي رزقه الله تعالى، الكثير الطيب منها، فضحك، وقال لي: كم تجمع جراميزك عليّ.

قال: هاهنا مقدمة ينبغي أن نعلمها، وهي أن أكثر الناس موتورون من الدنيا، أما المستحقون فلا ريب في أن أكثرهم محرومون، نحو عالم يرى أنه لا حظ له من الدنيا، ويرى جاهلاً غيره مرزوقاً، وموسعاً عليه، وشجاعاً قد ابلى في الحرب وأنتفع بموضعه، ليس له عطاء يكفيه، ويقوم بضرورياته، ويرى غيره وهو جبان، فشل يفرق من ظله مالكاً لقطر عظيم من الدنيا، وقطعة وافرة من المال والرزق، وعاقل شديد التدبير، صحيح العقل، وقد قدر عليه زرقه، وهو يرى غيره أحمق مايقاً تدر عليه الخيرات، وتتحلب عليه أخلاف الرزق، وذي دين قويم، وعبادة حسنة، وإخلاص وتوحيد، وهو محروم، ضيق الرزق، ويرى غيره يهودياً أو نصرانياً أو زنديقاً كثير المال، حسن الحال حتى أن هذه الطبقات المستحقة يحتاجون في أكثر الوقت إلى الطبقات التي لا استحقاق لها، وتدعوهم الضرورة إلى الذل والخضوع بين أيديهم، إما لدفع ضرر أو استجلاب نفع دون هذه الطبقات من ذوي الاستحقاق، ما نشاهده عياناً من نجار حاذق، أو بناء عالم، أو نقاش بارع، أو مصور لطيف، وهم على غاية ما يكون من ضيق رزقهم، وقعود الوقت بهم، وقلة الحيلة لهم، وترى غيرهم ممن ليس يجري مجراهم، ولا يلحق طبقتهم مرزوقاً مرغوباً فيه، كثير الكسب، طيب العيش، واسع الرزق، فهذا حال ذوي الاستحقاق والاستعداد.[١]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٣/١٠.

وأما الذين ليسوا من أهل الفضائل كحشو العامة، فإنهم أيضاً لا يخلون من الحقد على الدنيا، وذمهم لها، والحنق والغيظ منها، لما يلحقهم من حسد أمثالهم، وجيرانهم، ولا ترى أحداً منهم قانعاً بعيشه، ولا راضياً بحاله، بل يستزيد ويطلب حالاً فوق حاله.[١]

قال: فإذا عرفت هذه المقدمة، فمعلوم أن علياً عليه السلام كان مستحقاً محروماً، بل هو أمير المستحقين المحرومين، وسيدهم وكبيرهم، ومعلوم أن الذين ينالهم الضيم، وتلحقهم المذلّة والهضيمة يتعصب بعضهم لبعض، ويكون إلباً ويداً واحدة على المرزوقين الذين ظفروا من الدنيا، ونالوا مأربهم منها، لإشتراكهم في الأمر الذي آلمهم وسائهم، وعضهم ومضهم، واشتراكهم في الأنفة والحمية والغضب والمنافسة لمن علا عليهم وقهرهم، وبلغ من الدنيا ما لم يبلغوه، فإذا كان هؤلاء أعني المحرومين متساوين في المنزلة والمرتبة، وتعصب بعضهم لبعض، فما ظنك بما إذا كان منهم رجل عظيم القدر، جليل الخطر، كامل الشرف، جامع للفضائل، محتو على الخصائص والمناقب، وهو مع ذلك محروم محدود، وقد جرعته الدنيا علاقمها، وعللته عللاً بعد نهل من صابها وصبرها، ولقي منها برحاً بارحاً، وجهداً جهيداً، وعلا عليه من هو دونه، وحكم فيه وفي بنيه وفي أهله ورهطه من لم يكن ما ناله من الإمرة والسلطان في حسابه، و لا دائراً في خلده، ولا خاطراً بباله، ولا كان أحد من الناس يرتقب ذلك له، ولا يراه في له، ثم كان في آخر الأمر أن قتل هذا الرجل

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٤/١٠.

الجليل في محرابه، وقتل بنوه بعده، وسبي حريمه ونساءه، وتتبع أهله وبنو عمه بالقتل والطرد والتشريد والسجون مع فضلهم وزهدهم، وعبادتهم، وسخائهم، وانتفاع الخلق بهم، فهل يمكن أن لا يتعصب البشر كلهم مع هذا الشخص، وهل تستطيع القلوب أن لا تحبه وتهواه، وتذوب فيه، وتفنى في عشقه، انتصاراً له، وحمية من أجله، وأنفة مما ناله، وامتعاضاً مما جرى عليه، وهذا أمر مركوز في الطبايع، ومخلوق في الغرايز، كما يشاهد الناس على الجرف انساناً وقع في الماء العميق، وهو لا يحسن السباحة، فإنهم بالطبع البشري يرقون عليه رقة شديدة، وقد يلقى قوم منهم أنفسهم في الماء نحوه يطلبون تخليصه، لا يتوقعون على ذلك مجازاة منه بمال أو شكر، و لا ثوابٌ في الآخرة، فقد يكون فيهم من لا يعتقد أمر الآخرة، ولكنها رقة بشرية، وكأن الواحد منهم يتخيل في نفسه أنه ذلك الغريق، فكما يطلب خلاص نفسه لو كان هو الغريق، كذلك يطلب تخليص من هو في تلك الحال الصعبة للمشاركة الجنسية، وكذلك لو أن ملكاً ظلم أهل بلدة من بلاده ظلماً عنيفاً، لكان أهل ذلك البلد يتعصب بعضهم لبعض في الانتصار من ذلك الملك والاستعداء عليه، فلو كان من جملتهم رجل عظيم القدر، جليل الشأن، قد ظلمه الملك أكثر من ظلمه إياهم، وأخذ أمواله وضياعه، وقتل أولاده كان لياذهم به، وانضوائهم إليه، واجتماعهم والتفافهم به أعظم وأعظم، لأن طبيعة البشر تدعو إلى ذلك على سبيل الايجاب الاضطراري، ولا يستطيع الإنسان منه امتناعاً، هذا محصول قول

النقيب أبو جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد حكيته، والألفاظ لي، والمعنى له، لأني لا أحفظ الآن ألفاظه بعينها إلاّ أن هذا هو كان معنى قوله وفحواه.[١]

وكان لا يعتقد في الصحابة ما يعتقده أكثر الإمامية فيهم، ويسفه رأي من يذهب فيهم إلى النفاق والتكفير، وكان يقول حكمهم حكم مسلم مؤمن عصى في بعض الأفعال، وخالف الآخر، فحكمه إلى الله، إن شاء أخذه، وإن شاء غفر له.[٢]

فقلت له مرة: أتقول أنهما من أهل الجنة؟ فقال: أي وأعتقد ذلك، لأنهما إما أن يعفو الله تعالى عنهما ابتداءاً أو بشفاعة علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أو يؤاخذهما بعقاب أو عتاب، ثم ينقلهما إلى الجنة، لا أستريب في ذلك، ولا أشك في إيمانهما برسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وصحة عقيدتهما.[٣]

فقلت له: فعثمان؟ قال: وكذلك عثمان، ثم قال: رحم الله عثمان، وهل كان إلاّ واحداً منا، وغصناً من شجرة بني عبد مناف، ولكن أهله كدروه علينا، وأوقعوا العداوة والبغضاء بينه وبيننا.[٤]

قلت: فيلزمك على ما تراه في أمر هؤلاء أن يجوز دخول معاوية الجنة، لأنه لم يكن منه إلاّ المخالفة، وترك الإمتثال بالأمر النبوي! فقال: كلا، إن معاوية من أهل النار لا بمخالفته علياً، ولا محاربته إياه، ولكن عقيدته لم تكن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٤/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٥/١٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٦/١٠.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٦/١٠.

صحيحة، ولا إيمانه حقاً، وكان من رؤوس المنافقين هو وأبوه، ولم يسلم قلبه، وإنما أسلم لسانه، وكان يذكر من حديث معاوية وفلتات قوله، وما حفظ عنه من كلام يقتضي فساد العقيدة شيئاً كثيراً، ليس هذا موضعه فأذكره.[١]

وقال لي مرة: حاش لله يثبت معاوية في جريدة الشيخين الفاضلين أبي بكر وعمر، والله ما هما إلاّ كالذهب الإبريز، وما معاوية إلاّ كالدرهم المزيف، أو قال: كالدرهم القسي، ثم قال لي: فما يقول أصحابكم فيهما؟

قلت: أما الذي استقرّ عليه رأي المعتزلة بعد اختلاف كثير بين قدمائهم في التفضيل وغيره، أن علياً أفضل الجماعة، وأنهم تركوا الأفضلية لمصلحة رأوها، وأنه لم يكن هناك نص يقطع العذر، وإنما كانت إشارة وإيماء لا يتصمن شيء منها صريح النص، وأن علياً عليه السلام نازع ثم بايع، وجمح ثم استجاب، ولو أقام على الإمتناع لم نقل بصحة البيعة، ولا بلزومها، ولو جرد السيف كما جرده في زمان آخر الأمر، لقلنا بفسق كل من خالف على الإطلاق كائناً من كان، ولكنه رضي بالبيعة أخيراً، ودخل في طاعة القوم.[٢]

وبالجملة فأصحابنا يقولون إن الأمر كان له، وكان هو المستحق والمتعين، فإن شاء أخذه لنفسه، وإن شاء ولاه غيره، فلما رأيناه قد وافق على ولاية غيره اتبعناه، ورضينا بما رضي.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٦/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٦/١٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٠.

فقال: قد بقي بيننا وبينكم قليل، إنا نذهب إلى النص، وأنتم لا تذهبون إليه.[١]

فقلت له: لم يثبت النص عندنا بطريق العلم، وما تذكرونه أنتم صريحاً، فأنتم تنفردون بنقله، وما عدا ذلك من الأخبار التي نشارككم فيها، فلها تأويلات معلومة.[٢]

فقال لي وهو ضجر: يا فلان إن فتحنا باب التأويلات لأمكن أن يتأول قولنا لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله! دعني من التأويلات الباردة التي تعلم القلوب والنفوس أنها غير مراده، وأن المتكلمين تكلفوها وتعسفوها، فإنما أنا وأنت في الدار ولا ثالث لنا يستحي أحدنا من صاحبه ويخافه، فلما بلغنا إلى هذا الموضع دخل قوم ممن كان يغشانا، فتركنا ذلك الأسلوب من الحديث وخضنا في غيره.[٣]

فأما القول في سياسة معاوية وأن شنأة علي عليه السلام ومبغضيه زعموا أنها خير من سياسة أمير المؤمنين عليه السلام، فيكفينا في الكلام على ذلك ما قاله شيخنا أبو عثمان، ونحن نحكيه بألفاظه: قال أبو عثمان: وربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل، والفهم والتمييز، وهو من العامة، ويظن أنه من الخاصة، يزعم أن معاوية كان أبعد غوراً، وأصح وقاراً، وأجود روية، وأبعد

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٠.

غاية، وأدق مسلكاً، وليس الأمر كذلك، وسأرمي إليك بجملة تعرف بها موضع الغلطة، والمكان الذي دخل عليه الخطاب قبله، كان علي عليه السلام لا يستعمل في حربه إلاّ ما وافق الكتاب والسنة، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنة، كما يستعمل الكتاب والسنة، ويستعمل جميع المكايد، حلالها وحرامها، ويسير بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، وخاقان إذا لاقى رتبيل، وعلي عليه السلام يقول: لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم، ولا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً، هذه سيرته في ذي الكلاع، وفي أبي الأعور السلمي، وفي عمرو بن العاص، وفي حبيب بن مسلمة، وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والحشود، والأتباع والسفلة، وأصحاب الحروب إن قدروا على البيات بيتوا، وإن قدروا على رضخ الجميع بالجنادل وهم نيام فعلوا، وإن أمكن ذلك في طرفة عين لم يأخروه إلى ساعة، وإن كان الحرق أعجل من الغرق لم يقتصروا على الغرق، ولم يؤخروا الحرق إلى وقت الغرق، وإن أمكن الهدم لم يتكفلوا الحصار، ولم يدعو أن نصبوا المجانيق والعرادات والنقب والتسريب، والدبابات والكمين، ولم يدعو دس السموم، ولا التضريب بين الناس بالكذب، وطرح الكتب في عساكرهم بالسعايات، وتوهيم الأمور، وايحاش بعض من بعض، وقتلهم بكل آلة وحيلة، كيف وقع القتل، وكيف دارت بهم الحال، فمن اقتصر ﴿حفظك الله﴾ من التدبير على ما في الكتاب والسنة، كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير، وما لا يتناهى من المكايد والكذب، ﴿حفظك الله﴾ أكثر من الصدق، والحرام أكثر عدداً من

الحلال، ولو سمى إنسان انساناً بإسمه لكان قد صدق، وليس له اسم غيره، ولو قال هو شيطان أو كلب أو حمار أو شاة أو بعير، وكل ما خطر على البال، لكان كاذباً في كل ذلك، وكذلك الايمان والكفر، وكذلك الطاعة والمعصية، وكذلك الحق والباطل، وكذلك السقم والصحة، وكذلك الصواب والخطأ، فعلي عليه السلام ملجماً بالورع عن جميع القول إلاّ ما هو لله عزّ وجل رضا، وممنوع اليدين عن كل بطش إلاّ هو لله رضاً، ولا يرى الرضا إلاّ فيما يرضاه الله ويحبه، ولا يرى الرضا إلاّ فيما دلّ عليه الكتاب والسنة دون ما يعول عليه أصحاب الدهاء والنكراء، والمكايد والآراء، فلما أبصرت العوام كثرة بوادر معاوية في المكايد، وكثرة غرايبه في الخدع، وما اتفق له، وتهيأ على يده، ولم يرو ذلك من علي عليه السلام، ظنّوا بقصر عقولهم، وقلّة علومهم، أن ذلك من رجحان عند معاوية، ونقصان عند علي عليه السلام، فأنظر بعد هذا كله، هل يعد له من الخدع إلاّ رفع المصاحف، ثم انظر هل خدع بها إلاّ من عصى رأي علي عليه السلام، وخالف أمره.[1]

فإن زعمت أنه قد قال ما أراد من الاختلاف فقد صدقت، وليس في هذا اختلفنا، ولا عن غرارة أصحاب علي وعجلتهم وتسرعهم، وتنازعهم دفعنا، وإنما كان قولنا في التمييز بينهما في الدهاء والنكراء، وصحة العقل والرأي والبزلاء، على أنا لا نصف الصالحين بالدهاء والنكر، لأنا نقول ما كان أنكر أبا بكر بن أبي قحافة، وما كان أنكر عمر بن الخطاب، ولا نقول أحد

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٩/١٠.

عنده شيء من الخير كان رسول الله صلى الله عليه وآله أدهى العرب والعجم، وأنكر قريش، وأنكر كنانة، لأن هذه الكلمة إنما وضعت في مدح أصحاب الارب، ومن يتعمق في الرأي في توليد أمر الدنيا وزبرجها، وتشديد أركانها، فأما أصحاب الآخرة الذين يرون الناس لا يصلحون على تدبير البشر، وإنما يصلحون على تدبير خالق البشر، فإن هؤلاء يمدحون بالدهاء والنكر ولم يمنعوا هذا إلاّ ليعطوا أفضل منه، لا يزال المغيرة بن شعبة، وكان أحد الدهاة حين رد على عمرو بن العاص قوله في عمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص أحد الدهاة أيضاً، أأنت كنت تفعل أو توهم عمر شيئاً فيلقنه عنك، ما رأيت عمر مستخلياً بأحد إلاّ رحمته، كائناً من كان ذلك الرجل، كان عمر والله أعقل من أن يخدع، وأفضل من أن يخدع، ولم نذكره بالدهاء والنكر، هذا مع عجبه بإضافة الناس ذلك إليه، ولكنه قد علم أنه إذا أطلق على الأئمة الألفاظ التي لا تصلح في أهل الطهارة، كان ذلك غير مقبول منه، فهذا هذا.

وكذلك كان حكم قول معاوية للجميع أخرجوا إلينا قتلة عثمان، ونحن لكم سلم، فأجهد كل جهدك، واستعن بمن شايعك إلى أن تتخلص إلى صواب رأي في ذلك الوقت أضله علي حتى تعلم أن معاوية خادع، وأن علياً عليه السلام كان المخدوع.[١]

فإن قلت: فقد بلغ ما أراد، ونال ما أحب، فهل رأيت كتابنا وضع إلاّ على أن علياً كان قد امتحن في أصحابه وفي دهره، بما لم يمتحن إمام قبله من

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٩/١٠.

الاختلاف والمنازعة، والتشاح على الرياسة، والتسرع والعجلة، وهل أتي عليه السلام إلاّ من هذا المكان، أولسنا قد فرغنا من هذا الأمر، وقد علمنا أن ثلاثة نفر تواطؤوا على قتل ثلاثة نفر، فأنفرد ابن ملجم بالتماس ذلك من علي عليه السلام، وأنفرد البكري الصريمي بالتماس ذلك من عمرو بن العاص، وأنفرد الآخر بالتماس ذلك من معاوية، فكان من الإتفاق أو من الإمتحان أن كان علي من بينهم هو المقتول، وبقياس مذهبكم أن تزعمون أن سلامة عمرو ومعاوية إنما كانت بحزم منهما، وأن قتل علي عليه السلام إنما هو تضييع منه، فإذاً قد تبيّن أنه من الابتلاء والامتحان في نفسه، خلاف الذي قد شاهتموه في عدوه، وكل شيء سواء ذلك، فإنما هو تبع للنفس، هذا آخر كلام أبي عثمان في هذا الموضع.

ومن تأمله بعين الإنصاف، ولم يتبع الهوى على صحة جميع ما ذكره، وأن علياً أمير المؤمنين دفع من اختلاف أصحابه، وسوء طاعتهم له، ولزومه سنن الشريعة، ومنهج العدل، وخروج معاوية وعمرو بن العاص عن قاعدة الشرع في استمالة الناس إليهم، بالرغبة والرهبة إلى ما لا يدفع إليه غيره، فلولا أنه عليه السلام كان عارفاً بوجوه السياسة، وتدبير السلطان والخلافة، حذقاً في ذلك، لم يجتمع عليه إلاّ القليل من الناس، وهم أهل الآخرة خاصة، الذين لا ميل لهم إلى الدنيا، فلما وجدناه دبر الأمر حين وليه، وأجتمع عليه العساكر والأتباع ما يتجاوز العد والحصر، وقاتل بهم اعداءهم الذين حالهم حاله، فظفر في أكثر حروبه، ووقف الأمر بينه وبين معاوية على سواء، بل كان هو الأظهر

والأقرب إلى الانتصار، وعلمنا أنه من معرفة تدبير الدول والسلطان بمكان مكين.

وقد تعلق من طعن في سياسته بأمور:

منها: قولهم لو كان حين بويع له بالخلافة أقر معاوية على الشام إلى أن يستقر الأمر، ويتوطد ويتابعه معاوية وأهل الشام، ثم يعزله بعد ذلك، لكان قد كفى ما جرى بينهما من الحرب.[1]

والجواب: إن قرائن الأحوال حينئذ قد كان علم أمير المؤمنين عليه السلام أن معاوية لا يبايع وإن أقره على ولاية الشام، بل كان إقراره له على إمرة الشام أقوى لحال معاوية، وآكد في الإمتناع من البيعة، لأنه لا يخلو صاحب السؤال إما أن يقول كان ينبغي أن يطالبه بالبيعة، ويقرن إلى ذلك تقليده الشام، فيكون الأمران معاً أو يتقدم منه عليه السلام المطالبة بالبيعة، أو يتقدم إقراره فيه على الشام، وتتأخر المطالبة إلى وقت ثان، فإن كان الأول، فمن الممكن أن يقرّ لمعاوية على الشام تقليده بالأمر، فيؤكد به حاله عندهم، ويقرر في أنفسهم لولا أنه أهل لذلك لما أعتمده علي عليه السلام معه، ثم يماطله بالبيعة، ويحاجزه عنها، وإن كان الثاني، فهو الذي فعل به أمير المؤمنين عليه السلام، وإن كان الثالث فهو كالقسم الأول، بل هو آكد فيما يريده معاوية من الخلاف والعصيان، وكيف يتوهم من يعرف السير أن معاوية كان يبايع له لو أقره على الشام، وبينه وبينه ما لا تبرك الإبل عليه من الترات القديمة والأحقاد، وهو الذي قتل حنظلة أخاه،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٠/١٠.

والوليد خاله، وعتبة جده في مقام واحد، ثم ما جرى بينهما في أيام عثمان حتى أغلظ كل واحد منهما لصاحبه، وحتى تهدده معاوية وقال له: إني شاخص إلى الشام، وتارك عنك هذا الشيخ يعني عثمان، والله لئن أنحصت منه شعرة واحدة لأضربنك بمائة ألف سيف، وقد ذكرنا شيئاً مما جرى بينهما فيما تقدم.[١]

وأما قول ابن عباس له عليه السلام ابقه شهراً وأعزله دهراً، ما أشار به المغيرة بن شعبة، فإنهما قالا ما توهماه، وما غلب على ظنونهما، وخطر بقلوبهما، وعلي عليه السلام كان أعرف بحاله مع معاوية، وأنها لا تقبل العلاج والتدبير، وكيف يخطر ببال عارف بحال معاوية ونكره ودهائه، وما كان في نفسه من علي عليه السلام حين قُتل عثمان أنه يقبل إقرار علي عليه السلام على الشام، وينخدع بذلك، ويتابع ويعطي صفقة يمينه، إن معاوية أدهى من أن يكايد بذلك، وإن علياً لأعرف بمعاوية ممن طن أنه لو استماله بإقراره على الشام لبايع له، ولم يكن عند علي عليه السلام دواء لهذا المرض إلاّ السيف، لأن الحال إليه كانت تؤول لا محالة، فجعل الآخر أولاً.[٢]

وأنا أذكر في هذا الموضع خبر رواه الزبير بن بكار في كتاب الموفقيات ليعلم من وقف عليه أن معاوية لم يكن إلى طاعة علي عليه السلام أبداً،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٢/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٣/١٠.

ولا يعطيه البيعة، وأن مضادته له، ومباينته إياه، كمضادة السواد للبياض، لا يجتمعان أبداً، وكمباينة السلب للإيجاب، فإنها مباينة لا يمكن زوالها.[١]

قال الزبير: حدثني محمد بن محمد بن زكريا بن بسطام قال: حدثني محمد بن يعقوب بن أبي الليث، قال: حدثني أحمد بن محمد بن الفضل بن يحيى، عن أبيه، عن جده الفضل بن يحيى، عن الحسن بن عبد الصمد، عن قيس بن عرفجة قال: لما حوصر عثمان أبرد مروان بن الحكم بخبره بريدين، أحدهما إلى الشام، والآخر إلى اليمن، وبها يومئذ يعلى بن منية، ومع كل واحد منهما كتاب فيه أن بني أمية في الناس كالشامة الحمراء، وإن الناس قد قعدوا برأس كل محجة، وعلى كل طريق، فجعلوهم مرمى العر والعضيهة، ومقدف القشب والافيكة، وقد علمتم أنها لم تأت عثمان إلاّ كرهاً تجبذ من ورائها، وإني خائف إن قتل أن تكون من بني أمية بمناط الثريا، إن لم نصر كرصيف الأساس المحكم، ولئن وهى عمود البيت لتتداعين جدرانه، والذي عيب عليه أطعامكهما الشام واليمن، ولا شك إنكما تابعاه إن لم تحذرا، فأما أنا فمساعف كل مستشير، ومعين كل مستصرخ، ومجيب كل داع، أتوقع الفرصة،فأثب وثبة الفهد، أبصر غفلة مقتنصة، ولولا مخافة عطب البريد، وضياع الكتب، لشرحت لكما من الأمر ما لا تفزعان معه إلى أن يحدث الأمر، فجدا في طلب ما أنتما وليّاه، وعلى ذلك فليكن العمل إن شاء الله.

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٣/١٠.

وكتب في آخره:

وما بلغت عثمان حتى تخطمت
رجال ودانت للصغار رجال

لقد رجعت عوداً على بدء كونها
وإن لم تجدا فالمصير زوال

سيبدي مكنون الضمائر قولهم
وتظهر منهم بعد ذاك فعال

فإن تقعدا لا تطلبا ما ورثتما
فليس لنا طول الحياة مقال

نعيش بدار الذل في كل بلدة
وتظهر منا كأبة وهزال[1]

فلما ورد الكتاب إلى معاوية أذن في الناس الصلاة جامعة، ثم خطبهم خطبة المستنصر المستصرخ، وفي أثناء ذلك ورد عليه قبل أن يكتب الجواب كتاب معاوية بقتل عثمان، وكان نسخته وهب الله أبا عبد الرحمن قوة العزم، وصلاح النية، وإن عليك بمعرفة الحق وأتباعه، فإني كتبت إليك هذا الكتاب بعد قتل عثمان أمير المؤمنين، وأي قتلة قتلها، نحر كما ينحر البعير الكبير عند اليأس من أن ينوء بالحمل، بعد أن نقبت صفحته بطي المراحل، وسير الهجير، وإني معلمك من خبره غير مقصر ولا مطيل، إن القوم استطالوا مدته، وأستقلوا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٣/١٠.

ناصره، وأستضعفوه في بدنه، وأملوا بقتله بسط أيديهم فيما كان قبضه عنهم، وأعصوصبوا عليه، فظل محاصراً قد منع من صلاة الجماعة، وردّ المظالم، والنظر في أمور الرعية حتى كأنه فاعل لما فعلوه، فلما دام ذلك أشرف عليهم وخوفهم الله، وناشدهم، وذكرهم مواعيد رسول الله، وقوله فيه، فلم يجحدوا فضله، ولم ينكروه، ثم رموه بأباطيل اختلقوها، ليجعلوا ذلك ذريعة إلى قتله، فأظهر لهم التوبة مما كرهوا، ووعدهم الرجعة إلى ما أحبوا، فلم يقبلوا ذلك منه، ودخلوا داره وأنتهكوا حرمته، ووثبوا عليه، فسفكوا دمهعلى مصحفه، ثم انقشعوا عنه انقشاع سحابة قد افرغت ماءها، منكفئين قبل ابن أبي طالب انكفاء الجراد إذ أبصر المرعى، فأخلف ببني أمية أن يكونوا من هذا الأمر بمجرى العيوق إن لم يثأره تأثر، فإن شئت أبا عبد الرحمن أن تكون فكنه، والسلام.[1]

فلما ورد الكتاب على معاوية أمر بجمع الناس، فخطبهم خطبة أبكى منها العيون، وقلقل القلوب حتى علت الرنة، وأرتفع الضجيج، وهمّ النساء أن يتسلحن، ثم كتب إلى طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر بن كريز، والوليد بن عقبة، ويعلى بن منية، وهو اسم أمه، وإنما اسم أبيه أمية.

فكان كتاب طلحة: أما بعد فإنك أقل قريش في قريش وتراً مع صباحة وجهك، وسماحة وجهك، وفصاحة لسانك، فأنت بإزاء من تقدمك في

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٤/١٠.

السابقة، وخامس المبشرين بالجنة، ولك يوم أحد وشرفه وفضله، فسارع رحمك الله تعالى ما تقلدك الرعية من أمرها، مما لا يسعك التخلف عنه، ولا يرضى الله منك إلاّ بالقيام، فقد أمسكت ذلك الأمر قبلي، والزبير فغير متقدم عليك بفضل، وأيكما قدم صاحبه فالمقدم الإمام، والأمر من بعده للمقدم له، سلك الله بك قصد المهتدين، ووهب لك رشد الموفقين، والسلام.[١]

وكتب إلى الزبير: أما بعد فإنك الزبير بن العوام، ابن أخي خديجة، وابن عمة رسول الله، وحواريه، وسلفه، وصهر أبي بكر، وفارس المسلمين، وأنت الباذل في الله مهجته بمكة عند صيحة الشيطان، بعثك المنبعث، فخرجت كالثعبان المنسلخ، بالسيف المنسلط، تخبط خبط الجمل الرديع، كل ذلك قوة إيمان، وصدق يقين، وسبقت لك من رسول الله ﷺ البشارة بالجنة، وجعلك عمر أحد المستخلفين على الأمة، وأعلم أبا عبد الله إن الرعية أصبحت كالغنم المتفرقة لغيبة الراعي، فسارع رحمك ألله إلى لمّ الشعب، وجمع الكلمة، وصلاح ذات البين قبل تفاقم الأمر، وانتشار الأمة، فقد أصبح الناس على شفى جرف هار عما قليل ينهار، ان لم يرأب، فشمر لتأليف الأمة، وأبتغ إلى ربك سبيلاً، فقد أحكمت الأمر من قبلي لك ولصاحبك على أن الأمر للمقدم، ثم لصاحبه من بعده، جعلك الله من أئمة الهدى، وبغاة الخير والتقوى، والسلام.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٥/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٦/١٠.

وكتب إلى مروان بن الحكم: أما بعد فقد وصل اليّ كتابك تشرح حال أمير المؤمنين، وما ركبوه به، ونالوه منه، جهلاً بالله، وجرأة عليه، واستخفافاً بحقه، ولأماني لوّح الشيطان بها في شرك الباطل، ليدهدههم في أهويات الفتن، ووهدات الضلال.

ولعمري لقد صدق عليهم ظنّه، ولقد اقتنصهم بأنشوطة فخه، فعلى رسلك أبا عبد الله يمشي الهوينى، ويكون أولاً، فإذا قرأت كتابي هذا فكن كالفهد لا يصطاد إلاّ حيلة، ولا يتشازر إلاّ عن حيلة، وكالثعلب لا يفلت إلاّ روغاناً، وأخف نفسك منهم أخفاء القنفذ رأسه عند لمس الأكف، وامتهن نفسك امتهان من ييأس القوم من نصره وانتصاره، وأبحث عن أمورهم بحث الدجاجة عن حب الدخن عند فقاسها، وانغل الحجاز، فإني منغل الشام، والسلام.[1]

وكتب إلى سعيد بن العاص: أما بعد: فإن كتاب مروان ورد عليّ من ساعة وقعت النازلة، تقبل به البرد بسير المطى الوجيف، تتوجس توجس الحية الذكر، خوف ضربة الفأس، وقبضة الحاوي، ومروان الرايد لا يكذب أهله، فعلام الانكال يا ابن العاص، ولا حين مناص، ذلك أنكم يا بني أمية عما قليل تسألون أدنى العيش من أبعد المسافة، فينكركم من كان منكم عارفاً، ويصد عنكم من كان لكم واصلاً، متفرقين في الشعاب، تتمنون لمظة المعاش، إن أمير المؤمنين عتب عليه فيكم، وقتل في سبيلكم، ففيم القعود عن نصرته،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٦/١٠.

والطلب بدمه، وأنتم بنو أبيه، وذوو رحمه، وأقربوه، وطلاب ثاره، أصبحتم متمسكين بشظف معاش زهيد، عما قليل ينزع منكم عند التخاذل، وضعف القوى، فإذا قرأت كتابي هذا، فدب دبيب النمل في الجسد النحيف، وسر سير النجوم تحت الغمام، وأحشد حشد الذرة في الصيف لإنجحارها في الصرد، فقد أيدتكم بأسد وتيم، وكتب في الكتاب:

تالله لا يذهب شيخي باطلاً حتـى أبير مالكاً وكاهلا
القاتلين الـملـك الحلاحلا خيـر معد حـسبـاً ونائلا[1]

وكتب إلى عبد الله بن عامر: أما بعد: فإن المنبر مركب ذلول، سهل الرياضة، لا ينازعك اللجام، وهيهات ذلك إلاّ بعد ركوب اثباج المهالك، واقتحام أمواج المعاطب، وكأني بكم يا بني أمية شعارير كالأوارك تقودها الحداة، أو كرخم الخندمة تذرق خوف العقاب، فثب الآن يرحمك الله قبل أن يستشري الفساد، وندب السوط جديد، والجرح لما يندمل، ومن قبل استضراء الاسد، والتقاء لحييه على فريسته، وساور الأمر مساورة الذئب الأطلس كسيرة القطيع، ونازل الرأي، وأنصب الشرك، وأرم عن تمكن، وضع الهناء مواضع النقب، وأجعل أكبر عدتك الحذر، وأحدّ سلاحك التحريض، وأغض عن العوراء، وسامح اللجوج، وأستعطف الشارد، ولاين الأشوس، وقوّ عزم المريد، وبادر العقبة، وأزحف زحف الحية، واسبق قبل أن تسبق، وقم قبل أن يقام لك، وأعلم أنك غير متروك ولا مهمل، فإني لكم ناصح أمين، والسلام.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٧/١٠.

وكتب في أسفل الكتاب:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من أهدى السلام لأهله إذا شط داراً عن مزارك سلما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما[١]

وكتب إلى الوليد بن عقبة، يا ابن عقبة، كن الجيش، وطيب العيش أطيب من سفع سموم الجوزاء، عند اعتدال الشمس في أفقها، إن أخاك عثمان أصبح بعيداً عنك، فأطلب لنفسك ظلاً تستكن به، إني أراك عن التراب رقوداً، وكيف بالرقاد بك، لا رقاد لك، فلو قد استتب هذا الأمر لمريده، ألفيت كشريد النعام، يفزع من ظل الطائر، وعن قليل تشرب الرنق، وتستشعر الخوف، أراك فسيح الصدر، مسترخي اللبب، رخو الحزام، قليل الاكتراث، وعن قليل يجتث أصلك، والسلام.[٢]

وذكر باقي الكتب وجوابها بما لا فائدة في ذكره، إلى أن قال: فكل هؤلاء كتبوا إلى معاوية يحرضونه، ويغرونه ويحركونه، أما سعيد بن العاص فإنه كتب بخلاف ما كتب به هؤلاء، كان كتابه:

أما بعد: فإن الحزم في التثبت، والخطأ في العجلة، والشؤم في البدار، والسهم سهمك ما لم ينبض به الوتر، ولن يرد الحالب في الضرع اللبن، ذكرت حق أمير المؤمنين علينا، وقرابتنا منه، وأنه قتل فينا، فخصلتان ذكرهما

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٨/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٩/١٠.

نقص، والثالثة تكذب، وأمرتنا بطلب دم أمير المؤمنين، فأي جهة نسلك فيها أبا عبد الرحمن، ردمت الفجاج، وأحكم الأمير عليك، وولي زمامه غيرك، فدع مناواة من لو أفترش فراشه صدر الأمر لم يعدل به غيره، وقلت كأنا عن قليل لا نتعارف، فهل نحن إلاّ حي من قريش، إن لم تنلنا الولاية لم يضق عنا الحق، إنها خلافة منافية، وبالله أقسم قسماً مبروراً إن صحت عزيمتك على ما ورد به كتابك لألفينك بين الحالين طليحاً، وهبني أخالك بعد خوض الدماء تنال الظفر، هل في ذلك عوض من ركوب المأثم، ونقص الدين، أما أنا فلا على بني أمية ولا لهم، أجعل الحزم داري، والبيت سجني، وأتوسد الإسلام، واستشعر العافية، فاعدل أبا عبد الرحمن زمام راحلتك إلى محجة الحق، وأستوهب العافية لأهلك، واستعطف الناس على قومك، وهيهات من قبولك ما أقول حتى يفجر مروان ينابيع الفتن تأجج في البلاد، وكأني بكما عند ملاقاة الأبطال تعتذران بالقدر، ولبئس العاقبة الندامة، وعما قليل يضح لك الأمر، والسلام.[١]

هذا آخر ما تكاتب القوم به، ومن وقف عليه علم أن الحال لم تكن حالاً تقبل العلاج والتدبير، وأنه لم يكن بدّ من السيف، وأن علياً عليه السلام كان أعرف بما عمل.

وقد أجاب ابن سنان في كتابه الذي سماه العادل عن هذا السؤال فقال:

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٤/١٠.

قد علم الناس أنه عليه السلام في قصة الشورى عرض عليه عبد الرحمن بن عوف أن يعقد له الخلافة على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة أبي بكر وعمر، فلم يستجب إلى ذلك، وقال: بل على أن أعمل بكتاب الله، وسنّة رسوله، وأجتهد رأيي.[١]

وقد اختلف الناس في ذلك، فقالت الشيعة: إنما لم يدخل تحت الشرط، لأنه لم يستصوب سيرتهما، وقال غيرهم: إنما امتنع لأنه مجتهد، والمجتهد لا يقلد المجتهد، فأيهما أقرب على القولين إثماً، وأيسر وزراً أن يقر معاوية على ولاية الشام مدة إلى أن تتوطد خلافته، مع ما ظهر من جور معاوية وعدوله، ومد يده إلى الأموال والدماء أيام سلطانه، وأن يتعاهد عبدالرحمن على العمل بسيرة أبي بكر وعمر، ثم يخالف بعض أحكامهما إذا استقر الأمر له، ووقع العقد، ولا ريب أن أحداً لا يخفى عليه فضل ما بين الموضعين، وفضل ما بين الاثمين، فمن لا يجيب إلى الخلافة والاستيلاء على جميع بلاد الإسلام إذا تسمح بلفظة يتلفظ بها، يجوز أن يتأولها أو يوري فيها، كيف يستجيب إلى إقرار الجائر، وتقوية يده مع تمكينه في سلطانه، لتحصل له طاعة أهل الشام، واستضافة طرف من الأطراف، وكان معنى قول القائل هلا أقر معاوية على الشام، هو هلا كان علي عليه السلام متهاوناً بأمر الدين، راغباً في شديد أمر الدنيا، والجواب عن هذا ظاهر، وجهل السائل عنه واضح.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٤٥/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٤٥/١٠.

وأعلم أن حقيقة الجواب هو أن علياً عليه السلام كان لا يرى مخالفة الشرع لأجل السياسة، سواء كانت تلك السياسة دينية أو دنيوية، أما الدنيوية فنحو أن يتوهم الإمام في إنسان أنه يروم إفساد خلافته من غير أن يثبت ذلك عليه يقيناً، فإن علياً لم يكن يستحل قتله ولا حبسه، ولا يعمل بالتوهم، وبالقول غير المحقق.[١]

وأما الدينية فنحو ضرب المتهم بسرقة، فإنه أيضاً لم يكن يعمل به، بل يقول إن ثبت عليه بإقرار أو بيّنة أقمت عليه الحد، وإلاّ لم أعترضه، وغير علي عليه السلام قد كان منهم من يرى خلاف هذا الرأي، ومذهب مالك بن انس العمل على المصالح المرسلة، وأنه يجوز للإمام أن يقتل ثلث الأمة لإصلاح الثلثين، ومذهب أكثر الناس أنه يجوز العمل بالرأي، وبغالب الظن، وإذا كان مذهبه عليه السلام ما قلناه، وكان عنده معاوية فاسقاً، وقد سبق عنده مقدمة أخرى يقينية أن استعمال الفاسق لا يجوز، ولم يكن ممن يرى تمهيد قاعدة الخلافة بمخالفة الشريعة، فقد تعين مجاهدته بالعزل، وإن أفضى ذلك إلى الحرب، فهذا هو الجواب الحقيقي.[٢]

ولو لم يكن هذا هو الجواب الحقيقي لكان لقائل أن يقول لإبن سنان: القول في عدوله عن الدخول تحت شرط عبد الرحمن كالقول في عدوله عن

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٦/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٦/١٠.

إقرار معاوية على الشام، فإن من ذهب إلى تغليطه في أحد الموضعين، له أن يذهب إلى تغليطه في الموضع الآخر.[1]

قال ابن سنان: وجواب آخر، وهو أنا قد علمنا أن أحد الأحداث التي نقمت على عثمان، وأفضت بالمسلمين إلى حصاره وقتله، توليته معاوية الشام مع ما ظهر من جوره وعداوته، ومخالفة أحكام الدين، وقد خوطب عثمان على ذلك، فأعتذر بأن عمر ولاه قبله، فلم يقبل المسلمون عذره، ولا قنعوا منه إلاّ بعزله حتى أفضى الأمر إلى ما أفضى، وكان علي عليه السلام من أكثر المسلمين لذلك كراهية، وأعرفهم بما فيه من الفساد في الدين، فلو أنه عليه السلام عقد الخلافة بتولية معاوية وإقراره فيه، أليس كان يبتديء في أول أمره بما انتهى إليه عثمان في آخره، فأفضى إلى خلعه وقتله، ولو كان ذلك في حكم الشريعة سائغاً، والوزر فيه مأموناً، لكان غلطاً قبيحاً في السياسة، وسبباً قوياً للعصيان والمخالفة، ولم يكن يمكنه عليه السلام أن يقول للمسلمين إن حقيقة رأيي عزل معاوية عند إستقرار الأمر، وطاعة الجمهور لي، وأن قصدي بإقراره على الولاية مخادعته، وتعجيل طاعته، ومبايعة الأجناد الذين قبله، ثم أستأنف بعد ذلك فيه ما يستحقه من العزل، وأعمل فيه بموجب العدل، لأن اظهاره عليه السلام لهذا العزم يتصل خبره بمعاوية، فيفسد التدبير الذي شرع فيه، وينقض الرأي الذي عوّل عليه.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٦/١٠.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٧/١٠.

ومنها: قولهم إنه ترك طلحة والزبير حتى خرجا إلى مكة، وأذن لهما في العمرة، وذهب عنه الرأي في ارتباطهما قبله، ومنعهما من البعد عنه.[١]

والجواب عنه: إنه قد اختلف الرواة في خروج طلحة والزبير من المدينة، هل بإذن علي عليه السلام أم لا، فمن قال أنهما خرجا من غير إذنه ولا علمه فسؤاله ساقط، ومن قال أنهما أتسأذنا إلى العمرة، فأذن لهما، فقد روي أنه قال: والله ما تريدان العمرة، وإنما تريدان الغدرة، وخوفهما الله من التسرع إلى الفتنة، وما كان يجوز له في الشرع أن يحبسهما، ولا في السياسة.

أما في الشرع، فلأنه محضور أن يعاقب الإنسان بما لم يفعل، وعلى ما ينطق منه، ويجوز أن لا يقع.

وأما في السياسة، فلأنه لو أظهر التهمة لهما، وهما من أفاضل السابقين، وجلة المجاهدين، لكان في ذلك من التنفر عنه ما لا يخفى، ومن الطعن عليه ما هو معلوم بأن يقال أنه ليس من إمامته على ثقة، فلذلك يتهم الرؤساء، ولا يأمن الفضلاء، لا سيما طلحة كان أول من بايعه، والزبير لم يزل مشتهراً بنصرته، فلو حبسهما وأظهر الشك فيهما، لم يسكن أحد إلى جهته، ولنفر الناس كلهم عن طاعته.[٢]

فإن قالوا: فهلاّ استصلحهما وولاهما، وارتبطهما بالإجابة إلى أغراضهما.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٧/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٨/١٠.

قيل لهم: فحوى هذا أنكم تطلبون من أمير المؤمنين عليه السلام أن يكون في الإمامة مغلوباً على رأيه، مفتاتاً عليه في تدبيره، فيقر معاوية على ولاية الشام غصباً، ويولي طلحة والزبير مصر والعراق كرهاً، وهذا شيء ما دخل تحته أحد ممن قبله، ولا رضوا أن يكون لهم من الإمامة إلاّ الإسم، ومن الخلافة إلاّ اللفظ، ولقد حورب عثمان وحصر على أن يعزل بعض ولاته، فلم يجب إلى ذلك، فكيف يسومون علياً أن يفتح أمره عليه السلام بهذه الدنية، ويرضى الدخول تحت هذه الخطة، وهذا ظاهر.[1]

ومنها: تعلقهم بتولية أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن أبي بكر مصر، وعزل قيس بن سعد عنها حتى قتل بها، وأستولى معاوية عليها.

والجواب: إنه ليس يمكن أن يقال أن محمداً رحمه الله لم يكن أهل لولاية مصر، لأنه كان شجاعاً، زاهداً، فاضلاً، صحيح العقل والرأي، وكان مع ذلك من المخلصين في محبة علي عليه السلام، والمجتهدين في طاعته، وممن لا يتهم عليه، ولا يرتاب بنصيحته، وهو ربيبه وخريجه وتلميذه، ويجري مجرى أحد أولاده عليه السلام لتربيته، واشفاقه عليه، ثم كان المصريون على غاية المحبة له والإيثار لولايته، وما حاصروا عثمان وطالبوه بعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عنهم، اقترحوا تأمير محمد بن أبي بكر عليهم، فكتب له عثمان بالعهد على مصر، وصار مع المصريين حتى تعقبه كتاب عثمان إلى عبد الله بن سعد في أمره، وأمر المصريين بما هو معروف، فعادوا جميعاً، وكان من أمر قتل

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٨/١٠.

عثمان ما كان، فلم يكن ظاهر الرأي، ووجه التدبير إلاّ تولية محمد بن أبي بكر على مصر، لما ظهر من ميل المصريين إليه وإيثارهم له، واستحقاقه لذلك بتكامل خصال الفضل فيه، فكان الظن قوياً باتفاق الرعية على طاعته، وانقيادهم ونصرته، واجتماعهم على محبته، فكان من فساد الأمر، واضطرابه عليه حتى كان ما كان، وليس ذلك بعيب على أمير المؤمنين عليه السلام، فإن الأمور إنما يعتمدها الإمام على حسب ما يظن فيها من المصلحة، ولا يعلم الغيب إلاّ الله تعالى، وقد ولى رسول الله صلى الله عليه وآله في مؤتة جعفراً فقتل، وولى زيداً فقتل، وولى عبدالله بن رواحة فقتل، وهزم الجيش وعاد من نجا منهم إلى المدينة بأسوء حال، فهل لأحد أن يعيب رسول الله صلى الله عليه وآله، ويطعن في تدبيره.[1]

ومنها: قولهم إن جماعة من أصحابه عليه السلام فارقوه، وصاروا إلى معاوية كعقيل بن أبي طالب أخيه، والنجاشي شاعره، ورقية بن مصقلة أحد الوجوه من أصحابه، ولولا أنه كان يوحشهم، ولا يستميلهم لم يفارقوه، ويصيروا إلى عدوه، وهذا خلاف حكم السياسة، وما يجب من تأليف قلوب الأصحاب والرعية.[2]

الجواب: إنا أولاً لا ننكر أن يكون كل من رغب في حطام الدنيا وزخرفها، ويحب العاجل من ملاذها وزينتها، يميل إلى معاوية الذي يبذل منها كل مطلوب، ويسمح بكل مأمول، ويطعم خراج مصر عمرو بن العاص،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٨/١٠.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٩/١٠.

ويضمن لذي الكلاع وحبيب بن مسلمة ما يوفي على الرجاء والاقتراح، وعلي عليه السلام لا يعدل فيما هو أمين عليه من مال المسلمين عن قضية الشريعة، وحكم الملة حتى يقول خالد بن المعمر الدوسي لعلباء بن الهيثم، وهو يحمله على مفارقة علي عليه السلام واللحاق بمعاوية: اتق الله يا علباء في عشيرتك، وأنظر لنفسك ورحمك، ماذا تؤمل عند رجل أردته على أن يزيد في عطاء الحسن والحسين دريهمات يسيرة، ريثما يرأبان عيشهما، فأبى وغضب، ولم يفعل.[١]

فأما عقيل فالصحيح الذي أجمع ثقاة الرواة عليه أنه لم يجتمع مع معاوية إلاّ بعد وفاة علي عليه السلام، ولكنه لازم المدينة، ولم يحضر حرب الجمل، وكان ذلك بإذن علي عليه السلام، وقد كتب عقيل إليه بعد الحكيمن يستأذنه في القدوم عليه الكوفة بولده وبقية أهله، فأمره عليه السلام بالمقام.[٢]

وقد روي في خبر مشهور أن معاوية وبخ سعيد بن العاص على تأخره عنه في صفين، فقال سعيد: لو دعوتني لوجدتني قريباً، ولكني جلست مجلس عقيل وغيره من بني هاشم، ولو أوعبنا لأوعبوا.[٣]

وأما النجاشي فإنه شرب الخمر في شهر رمضان، فأقام عليه السلام الحد عليه وزاده عشرين جلدة، فقال النجاشي: ما هذه العداوة! قال: جرأتك على الله في شهر رمضان، فهرب النجاشي إلى معاوية.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٠/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٠/١٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٠/١٠.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٠/١٠.

وأما رقية بن مصقلة فإنه ابتاع سبي بني ناجية وأعتقهم، وألط بالمال وهرب إلى معاوية، وقال علي عليه السلام: فعل فعل الأحرار، وأبق اباق العبيد.

وليس تعطيل الحدود، وإباحة حكم الدين، وإضاعة مال المسلمين من التأليف والسياسة لمن يريد وجه الله تعالى، والتزم بالدين بسبيل، ولا يظن بعلي عليه السلام التساهل والتسامح في صغير من ذلك ولا كبيره.[1]

ومنها: شبهة الخوارج وهي التحكيم، وقد يحتج به على أنه اعتمد ما لا يجوز في الشرع، وقد يحتج على أنه اعتمد ما ليس بصواب في تدبير الأمر.

أما الأول فقولهم إنه حكم الرجال في دين الله سبحانه، يقول إن الحكم إلاّ لله.

وأما الثاني فقولهم إنه قد كان لاح له النصر، وظهرت إمارات الظفر بمعاوية، ولم يبق إلاّ أن يؤخذ برقبته، فترك التصميم على ذلك، وأخلد إلى التحكيم، وربما قالوا إن تحكيمه يدل على شك منه في أمره، وربما قالوا: كيف رضي بحكومة أبي موسى الأشعري، وهو فاسق عنده بتثبيطه أهل الكوفة عنه في حرب البصرة؟ وكيف رضي بتحكيم عمرو بن العاص، وهو أفسق الفاسقين؟[2]

والجواب: أما تحكيم الرجال في الدين، فليس بمحضور، فقد أمر الله بالتحكيم بين المرأة وزوجها: **﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من**

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥١/١٠.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥١/١٠.

أهله وحكماً من أهلها﴾،[1] وقال في جزاء الصيد: ﴿ويحكم ذوا عدل منكم﴾.[2]

وأما قولهم كيف ترك التصميم بعد ظهور ما رآه من النصر، فقد تواتر الخبر أن أصحابه لما رفع أهل الشام المصاحف، وقالوا لا يحل لنا التصميم على حربهم، ولا يجوز لنا إلاّ وضع السلاح، ورفع الحرب، والرجوع إلى المصاحف وحكمها، فقال لهم: إنها خديعة، وإنها كلمة حق يراد بها باطل، وأمرهم بالصبر ولو ساعة واحدة، فأبوا ذلك، وقالوا: أرسل إلى الأشتر فليعد، فأرسل إليه، فقال: كيف أعود وقد لاحت إمارة النصر والظفر، فقالوا: ابعث إليه مرة أخرى، فبعث إليه فأعاد الجواب بنحو قوله الأول، وسأل أن يمهل ساعة من النهار، فقالوا: إن بينك وبينه وصية أن لا يقبل، فإن لم يبعث إليه من يعيده وإلاّ قتلناك بسيوفنا، كما قتلنا عثمان أو قبضنا عليك وأسلمناك إلى معاوية، فعاد الرسول إلى الاشتر، أتحب أن تظفر أنت هاهنا، وتكسر جنود الشام، ويقتل أمير المؤمنين في مضربه، قال: أوقد فعلوها لا بارك الله فيهم، أبعد أن أخذت بمخنق معاوية، ورأى الموت أرجع، ثم عاد فشتم أهل العراق، وقال لهم وقالوا له ما هو منقول مشهور، وقد ذكرنا الكثير منه فيما تقدم.

وإذا كانت الحال وقعت هكذا فأي تقصير وقع من أمير المؤمنين عليه السلام، وهل ينسب المغلوب على أمره المقهور على رأيه إلى تقصير أو فساد تدبير،

---

[1] - النساء/٣٥.

[2] - المائدة/٩٥.

وبهذا نجيب على قولهم أن التحكيم يدل على الشك في أمره، لأنه إنما يدل على ذلك لو ابتدأ هو به، فأما إذا دعاه إلى ذلك غيره، وأستجاب إليه أصحابه فمنعهم، وأمرهم أن يمروا على وتيرتهم وشأنهم، فلم يفعلوا، وبيّن لهم أنها مكيدة، فلم ينصتوا، وخاف أن يقتل، ويسلم إلى عدوه، فإنه لا يدل تحكيمه على شكه، بل يدل على أنه قد دفع بذلك ضرراً عظيماً من نفسه، ورجا أن يحكم الحكمان بالكتاب، فتزول الشبهة عمن طلب التحكيم من أصحابه.[١]

أما تحكيمه عمرو مع ظهور فسقه، فإنه لم يرض به، وإنما رضي به مخالفة وكرهه هو فلم يقبل منه، وقد قيل إنه أجاب ابن عباس عن هذا فقال للخوارج: أليس قد قال الله تعالى: ﴿**فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها**﴾، أرأيتم لو كانت المرأة يهودية، فبعثت حكماً من أهلها، أكنا نسخط ذلك.[٢]

وأما أبو موسى فقد كرهه أمير المؤمنين عليه السلام وأراد أن يجعل بدله عبدالله بن عباس، فقال أصحابه: لا يكون الحكمان من مصر، قال: فالأشتر، قالوا: فهل أضرم النار إلاّ الأشتر، وهل جر ما ترى إلاّ حكومة الأشتر، ولكن أبا موسى، فأباه فلم يقبلوا منه، وأثنوا عليه، وقالوا: لا نرضى إلاّ به، فحكمه على مضض.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥١/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٢/١٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٣/١٠.

ومنها: قولهم ترك الرأي لما دعاه العباس، وقت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وقال له: أمدد يك أبايعك، فيقول الناس عم رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عمه، فلا يختلف عليك اثنان، فلم يفعل، وقال: وهل يطمع فيها طامع غيري، فما راعه الضوضاء واللغط في باب الدار، يقولون قد بويع ابن أبي قحافة.[١]

الجواب: أن صواب الرأي وفساده فيما يرجع إلى مثل هذه الواقعة يستند إلى ما قد كان قد غلب عليه الظن، ولا ريب أنه عليه السلام لم يغلب على ظنه أن أحداً يستأثر عليه بالخلافة، لأحوال قد كان مهدها له رسول الله صلى الله عليه وآله، وما توهم إلاّ أنه ينتظر ويرتقب خروجه من البيت وحضوره، ولعله قد كان يخطر له أنه إما أن يكون هو الخليفة أو يشاور في الخلافة إلى من يفوض، وما كان يتوهم أن يجري الأمر على ما جرى من الفلتة عند ثوران تلك الفتنة، ولا يشاور هو ولا العباس، ولا أحد من بني هاشم، وإنما كان يكون تدبيره فاسداً لو كان يحاذر خروج الأمر عنه، ويتوهم ذلك، ويغلب على ظنه أنه إن لم يبادر تحصيله البيعة المعجلة في الدار من وراء الأبواب والأغلاق وإلاّ فاته، ثم يمهل ذلك، ولا يفعله، وقد صرح هو بما عنده، فقال: وهل يطمع فيها طامع غيري، ثم قال: إني أكره البيعة هاهنا، وأحب أن أصحر بها، فبيّن أنه يستهجن أن يبايع سراً خلف الحجب والجدران، ويحب أن يبايع جهرة بمحضر الناس كما قال حيث طلبوا منه بعد قتل عثمان أن يبايعهم في داره، فقال: لا، بل في

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٣/١٠.

المسجد، ولم يعلم ولا خطر له ما في ضمير الأيام، وما يحدث الوقت من وقوع ما لا يتوهم العقلاء، وأرباب الأفكار وقوعه.[١]

ومنها: قولهم أنه قصر في طلب الخلافة عند بيعة أبي بكر، وقد كان أجتمع له من بني هاشم، وبني أمية وغيرهم من أفناء الناس من يتمكن بهم من المنازعة، وطلب الأمر، فقصر عن ذلك، لا جبناً، لأنه كان أشجع البشر، ولكنه قصور تدبير، وضعف رأي، ولهذا كفرته الكاملية، وأكفرت الصحابة به، فقالوا كفرت الصحابة بتركهم بيعته، وكفر هو بترك المنازعة لهم.[٢]

والجواب: أما على مذهبنا، فإنه لم يكن عليه السلام منصوصاً عليه، وإنما كان يدعيها بالأفضلية والقرابة، والسابقة والجهاد، ونحو ذلك من الخصائص، فلما وقعت بيعة أبي بكر رأى هو عليه السلام أن الأصلح للإسلام ترك النزاع، وأنه يخاف من النزاع حدوث فتنة تحل معاقد الملة، وتزعزع أركانها، فحضر وبايع طوعاً، ووجب علينا بعد مبايعته ورضاه أن نرضى بمن رضي هو عليه السلام به، ونطيع من أطاعه، لأنه القدوة، وأفضل من ترك نبينا صلى الله عليه وآله.[٣]

وأما الإمامية فلهم عن ذلك جواب آخر معروف من قواعدهم.

ومنها: قولهم أنه قصر في الرأي حيث دخل في الشورى، لأنه جعل نفسه بدخوله فيها نظيراً لعثمان وغيره من الخمسة، وقد كان الله تعالى رفعه

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٣/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٤/١٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٥/١٠.

عليهم، وعلى كل من كان قبلهم، فوهن بذل قدره، وطأطأ من جلالته، ألا ترى أنه يستهجن ويقبح من أبي حنيفة والشافعي ﴿رحمهما الله﴾ أن يجعلا أنفسهما نظراء لبعض من بدا طرفاً من الفقه، ويستهجن ويقبح من سيبويه والأخفش أن يوازنا أنفسهما بمن يعلم أبواباً يسيرة من النحو.[١]

والجواب: إنه عليه السلام وإن كان أفضل من أصحاب الشورى، فإنه كان يظن أنه إن ولي الأمر واحد بعد عمر ﴿رضي الله عنه﴾ لا يسير سيرة صالحة، وأن تضطرب بعض أمور الإسلام، وقد كان يثني على سيرة عمر ويحمدها، فوجب عليه بمقتضى ظنه أن يدخل معهم بما أدخله عمر توقعاً لأن يفضي الأمر إليه، فيعمل بالكتاب والسنة، ويحيي معالم رسول الله صلى الله عليه وآله، وليس اعتماد ما يقتضيه الشرع مما يوجب نقصاً في الرأي، فلا تدبير أصح ولا أشد من تدبير الشرع.[٢]

ومنها: قولهم أنه ما أصاب حيث أقام بالمدينة، وعثمان محصور، وقد كان يجب في الرأي أن يخرج عنها بحيث لا تنوط بنو أمية به دم عثمان، فإنه لو كان بعيداً عن المدينة، لكان من قذفهم إياه بذلك أبعد، وعنه أنزه.[٣]

والجواب: إنه لم يكن يخطر بباله مع برائته من دم عثمان أن أهل الفساد من بني أمية يرمونه بأمره، والغيب لا يعلمه إلاّ الله، وكان يرى أن مقامه

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٥/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٥/١٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٦/١٠.

بالمدينة ادعى إلى انتصار عثمان على المحاصرين له، فقد حضر هو بنفسه مراراً، وطرد الناس عنه، وأنفذ إليه ولديه وابن أخيه عبد الله، ولولا حضور علي عليه السلام بالمدينة لقتل عثمان قبل أن يقتل بمدة، وما تراخى أمره، وتأخر قتله إلاّ لمراقبة الناس له حيث شاهدوه ينتصر له، ويحامي عنه.[١]

ومنها: قولهم كان يجب في مقتضى الرأي حيث قتل عثمان أن يغلق بابه، ويمنع الناس من الدخول إليه، فإن العرب كانت تضطرب اضطرابة، ثم تؤول إليه، لأنه يعين للأمر بحكم الحال الحاضرة، فلم يفعل، وفتح بابه، وترشح للأمر، وبسط له يده، فلذلك انتقضت عليه العرب من أقطارها.[٢]

والجواب: إنه عليه السلام كان يرى أن القيام بالأمر يومئذ فرض عليه، لا يجوز له الإخلال به، لعدم من يصلح في ظنه للخلافة، فما كان يجوز له أن يغلق بابه، ويمتنع، وما الذي كان يؤمنه أن يبايع الناس طلحة والزبير وغيرهما، ممن لا يراه أهلاً للأمر، فقد كان عبد الله بن الزبير يومئذ يزعم أن عثمان عمد إليه في الخلافة وهو محصور، وكان مروان يطمع أن ينحاز إلى طرف من الأطراف، فيخطب لنفسه بالخلافة، وله من بني أمية شيعة وأصحاب، بشبهة أنه ابن عم عثمان، وأنه كان يدبر أمر الخلافة في عهده، وقد كان معاوية يرجو أن ينال الخلافة لأن من بني أمية وابن عم عثمان، وأمير الشام عشرين سنة، وقد كان قوم من بني أمية يتعصبون لأولاد عثمان المقتول، ويرون اعادة

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٦/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٦/١٠.

الخلافة فيهم، وما كان يسوغ لعلي عليه السلام في الدين أن طالبه المسلمون للخلافة أن يمتنع عنها، ويعلم أنها ستصير إذا امتنع إلى بعض هؤلاء، فلذلك فتح بابه، وأمتنع امتناع من يحاول أن يعلم ما في قلوب الناس، هل لرغبتهم إليه حقيقة أم لا؟ فلما رأى منهم التصميم، وافق لوجوب الموافقة، وقد قال في خطبته: لولا حضور الحاضر، ووجوب الحجة بوجود الناصر، لألقيت حبلها على غاربها، وسقيت آخرها بكأس أولها. وهذا تصريح بما قلناه.[1]

ومنها: قولهم هلا إذا ملك شريعة الفرات على معاوية بعد أن كان معاوية ملكها عليه، ومنعه وأهل العراق منها، منع معاوية وأهل الشام منها، فكان يأخذهم قبضاً بالأيدي، فإنه لم يصبر على منعهم من الماء، بل فسح لهم في الورود، وهذا يخالف ما يقتضيه تدبير الحرب.[2]

الجواب: إنه عليه السلام لا يستحل ما استحله معاوية من تعذيب البشر بالعطش، فإن الله تعالى ما أمر في أحد من العصاة الذين أباح دماهم بذلك، ولا فسح فيه نحو القصاص، أو حد الزاني المحصن، أو قتل قاطع الطريق، أو قتال البغاة، والخوارج، وما كان أمير المؤمنين عليه السلام ممن يترك حكم الله وشريعته، ويعتمد ما هو محرم فيها لأجل الغلبة والقهر، والظفر بالعدو، ولذلك لم يكن يستحل البيات ولا الهدم، ولا النكث، وأيضاً فما المانع من أن يكون عليه السلام غلب على ظنه أن أهل الشام إن منعوا من الماء كان ذلك أدعى لهم إلى

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٦/١٠.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٧/١٠.

الحملات الشديدة النكرة على عسكره، وأن يضعوا فيهم السيوف، فيأتوا عليهم ويكسروهم بشدة حنقهم، وقوة داعيهم إلى ورود الماء، فإن ذلك من أشد الدواعي إلى أن يستميت القوم، ويستقتلوا، ومن الذي يقف بين يدي جيش عرمرم عظيم، قد اشتد بهم العطش، وهم يرون الماء كبطون الحيات لا يحول بينهم وبينه إلاّ قوم منهم، بل أقل منهم عدة، وأضعف عدة، ولذلك لما حال معاوية بين أهل العراق وبين الماء، وقال: لأمنعنهم وروده فأقتلهم بشفار الظمأ، قال عمرو بن العاص: خل بين القوم وبين الماء، فليسوا من يرى الماء ويصبر عنه، فقال: لا والله ولا أ خلي لهم عنه، فسبقه رأيه، وقال: أتظن أن ابن أبي طالب وأهل العراق يموتون بإزائك عطشاً، والماء منهم بمقعد الأزر، وسيوفهم في أيديهم، فلج معاوية، وقال: لا أسقيهم قطرة كما قتلوا عثمان عطشاً، فلما مس أهل العراق العطش، أشار علي عليه السلام إلى الأشعث أن احمل، وإلى الأشتر أن احمل، فحملا بمن معهما، فضربا أهل الشام ضرباً أشاب الوليد، وفر معاوية ومن رأى رأيه، وتابعه على قوله عن الماء، كما تفر الغنم خالطها السباع، وكان قصارى أمره، ومنتهى همته أن يحفظ رأسه، وينجو بنفسه، وملك أهل العراق عليهم الماء، ودفعوهم عنه، فصاروا في البر القفر، وصار علي عليه السلام وأصحابه على شريعة الفرات مالكين لها، فما الذي كان يؤمن علياً عليه السلام لو أعطش القوم أن يذوق هو وأصحابه منهم مثل ما أذاقهم،

وهل بعد الموت بالعطش أمر يخافه الإنسان، وهل يبقى له ملجأ إلاّ السيف يحمل به، ويضرب خصمه إلى أن يقتل أحدهما.[١]

ومنها: قولهم أخطأ حيث محي اسمه بالخلافة من صحيفة الحكومة، فإن ذلك مما وهنه عند أهل العراق، وقوى الشبهة في نفوس أهل الشام.[٢]

والجواب: إنه عليه السلام احتذى في ذلك لما دعى إليه وأقترحه الخصم عليه، فعل رسول الله صلى الله عليه وآله في صحيفة الحديبية حيث محى اسمه من النبوة، لما قال له سهيل بن عمرو لو علمنا أنك رسول الله ما حاربناك، ولا منعناك عن البيت، وقد قال صلى الله عليه وآله وهو يومئذ كاتب تلك الصحيفة ستدعى إلى مثلها فتجيب، وهذا من أعلام نبوته ﴿صلوات الله عليه﴾ ومن دلائل صدقه، ومثلها جرى له حذو القذة بالقذة.[٣]

ومنها: قولهم إنه كان غير مصيب في ترك الاحتراس، فقد كان يعلم كثرة أعدائه، فلم يكن يحترس منهم، وكان يخرج ليلاً في قميص ورداء وحده، حتى كمن له ابن ملجم فقتله، ولو كان احترس وحفظ نفسه، ولم يخرج إلاّ في جماعة، وإذا خرج ليلاً كانت معه أضواء وشرطة لم يتوصل إليه.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٧/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٨/١٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٨/١٠.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٩/١٠.

والجواب: هذا إن كان قادحاً في السياسة والتدبير، فليكن قادحاً في تدبير عمر وسياسته، وهو عند الناس في الطبقة العليا في السياسة والتدبير، وليكن قادحاً في تدبير معاوية، فقد ضربه الخارجي بالسيف ليلة ضرب علي عليه السلام بالسيف، فجرحه ولم يأت على نفسه، ومعاوية عند هؤلاء شديد التدبير، وليكن قادحاً في تدبير رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كان يخرج وحده ليلاً في المدينة مع كثرة اعداءه، وقد كان يأكل ما يدعى إليه، ولا يحترس حتى أكل من يهودية شاة مشوية، قد سمته فيها، فمرض وخيف عليه التلف، فلما برأ لم يزل ينتقض عليه حتى مات، وقال عند موته: إني ميت من تلك الأكلة، ولم تكن العرب في ذلك الزمان تحترس، ولا تعرف الغيلة والفتك، وكان ذلك عندهم قبيحاً يعير به فاعله، فإن الشجاعة غير ذلك، والغيلة من فعل العجزة من الرجال، ولأن علياً عليه السلام كانت هيبته قد تمكنت في صدور الناس، فلم يكن يظن أن أحداً يقدم عليه غيلة، أو مبارز في حرب، فقد كان بلغ من الذكر بالشجاعة مبلغاً عظيماً لم يبلغه أحد من الناس، لا من تقدم ولا من تأخر حتى كانت أبطال العرب تفزع بإسمه.

ألا ترى إلى عمرو بن معدي كرب، وهو شجاع العرب التي تضرب به الأمثال كتب إليه عمر بن الخطاب في أمر أنكر عليه، وعذر تخوفه منه، أما والله لئن أقمت على ما أنت عليه لأبعثن إليك رجلاً تستصغر معه نفسك، ويضع

سيفه على هامتك فيخرجه من بين فخذيك، فقال عمرو لما وقف على الكتاب: هددني بعلي، والله.[١]

ولهذا قال شبيب ابن بجرة لإبن ملجم لما رآه يشد الحرير على بطنه وصدره، ويلك ما تريد أن تصنع؟ فقال: اقتل علياً، فقال: هبلتك الهبول! لقد جئت شيئاً إداً، فكيف تقدر على ذلك، فأستبعد أن يتم لإبن ملجم ما عزم عليه، ورآه مراماً وعراً، والأمر في هذا وأمثاله مستنداً إلى غلبات الظنون، فمن غلب على ظنه السلامة مع الاسترسال لم يجب عليه الاحتراس، وإنما يجب الاحتراس على من يغلب على ظنه العطب إن لم يحترس، فقد بان بما أوضحناه فساد قول من قال إن تدبيره وسياسته لم تكن صالحة، وبان أنه أوضح الناس تدبيراً، وأحسنهم سياسة، وإنما الهوى والعصبية لا حيلة فيهما.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٩/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٩/١٠.

الباب
الثالث والأربعون
في أنه عليه السلام أقسمهم بالسوية وأعدلهم في الرعية

ابن أبي الحديد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخصمك يا علي بالنبوة، فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع، لا يجاحد فيها أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزية.[1] رواه أبو نعيم في حلية الأولياء.[2]

وقال: وروى محمد بن فضيل، عن هارون بن عنترة، عن زاذان، قال: انطلقت مع قنبر غلام علي عليه السلام إليه فاذا هو يقول: قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك جنياً، فقال: وما هو ويحك؟ قال: قم معي، فقام به إلى بيته، وإذا بغرارة مملوة من جامات ذهباً وفضة، فقال: يا أمير المؤمنين رأيتك لا تترك شيئاً إلاّ قسمته فأدخرت هذا من بيت المال، فقال علي عليه السلام: ويحك يا قنبر لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة، ثم سل سيفه وضربها ضربات كثيرة فأنتثرت من بين إناء مقطوع نصفه، وآخر ثلثه، ونحو ذلك، ثم دعا بالناس، فقال: اقتسموا بالحصص، ثم قام إلى بيت المال قسم ما وجد فيه، ثم وجد في

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٣/٩.

[2] - حلية الأولياء ٦٦/١.

البيت إبراً ومسال، فقال: ولتقتسموا هذا، فقالوا: لا حاجة لنا فيه، وقد كان عليه السلام يأخذ من كل عامل ما يعمل فضحك، وقال: ليأخذن شره مع خيره.[1]

وروى عبد الرحمن بن عجلان قال: كان عليه السلام يقسم بين الناس الأبزار، والحرف، والكمون، وكذا وكذا.[2]

قال: وروى علي بن محمد بن أبي سيف المدائني أن طائفة من أصحاب علي عليه السلام مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين اعط هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب على الموالي والعجم، واشمل من تخاف خلافه من الناس وفراره، وإنما قالوا ذلك لما كان معاوية يصنع في المال، فقال لهم: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور، لا والله لا أفعل ما طلعت شمس، وما لاح في السماء نجم، والله لو كان المال لي لواسيت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم، ثم سكت طويلاً واجماً ثم قال: الأمر أسرع من ذلك، الأمر أسرع من ذلك، قالها ثلاثاً.[3]

قال: وروى علي بن محمد بن أبي سيف المدائني، عن فضيل بن الجعد قال: آكد الأسباب كان في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال فإنه لم يفضل شريفاً على مشرف، ولا عربياً على عجمي، ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل كما تصنع الملوك، ولا يستميل أحد إلى نفسه، وكان معاوية

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٩/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٩/٢.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٣/٢.

بخلاف ذلك، فترك الناس علياً والتحقوا بمعاوية، فشكى علي عليه السلام إلى الأشتر تخاذل أصحابه وفرار بعضهم إلى معاوية، فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين إنا قاتلنا أهل البصرة، وأهل الكوفة، ورأي الناس واحد، وقد اختلفوا بعد فعادوا وضعفت النية، وقلّ العدد، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق، وتنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عموا به، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه، ورأوا صنايع معاوية عند أهل الغنى والشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقلّ من ليس للدنيا صاحب، وأكثرهم يحتوي الحق، ويشتري الباطل، ويؤثر الدنيا، فإن تبدل المال يا أمير المؤمنين تميل إليك أعناق الرجال، وتصف نصيحتهم لك، وتستخلص ودهم، صنع الله لك يا أمير المؤمنين، وكبت عداك، وفض جمعهم، وأوهن كيدهم، وشتت أمورهم، إنه بما يعملون خبير.

فقال عليه السلام: أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل، فإن الله عزّ وجل يقول: **﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾**،[1] وأنا من أن أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف، وأما ما ذكرت من الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، ولا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلى دنيا زائلة عنهم كان قد فارقوها، وليسئلن يوم القيامة الدنيا أرادوا أم الله عملوا، وأما ما ذكرت من بذل الأموال

---

[1] - فصلت/٤٦.

واصطناع الرجال، فإنه لا يسعنا أن نؤتي امرءاً من الفيء أكثر من حقه، قد قال الله تعالى وقوله الحق: ﴿كم من فئة قليلة فئة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾[١] وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وحده، فكثره بعد القلة، وأعز فيئه بعد الذلة، وإن يريد الله أن يولينا هذا الأمر، يذلل لنا صعبه، ويسهل لنا حزنه، وإن قابل من رأيك ما كان الله عزّ وجل رضاً، وأنت من آمن الناس وأنصحهم لي، وأوثقهم في نفسي، إن شاء الله تعالى.[٢]

قال: وروى مجمع التيمي، قال: كان علي عليه السلام يكنس بيت المال كل جمعة، ويصلي فيه ركعتين ويقول: تشهد لي يوم القيامة.[٣]

قال: وروى بكر بن عيسى، عن عاصم بن كليب الجرمي، عن أبيه، قال: شهدت علياً عليه السلام وقد جاءه مال من الجبل فقام وقمنا معه وجاء الناس يزدحمون، فأخذ حبالاً فوصلها بيده، وعقد بعضها إلى بعض، ثم دارها حول المال وقال: لا أحل لأحد أن يجاوز هذا الحبل، قال: فقعد الناس كلهم من وراء الحبل ودخل هو، فقال: أين روؤس الأسباع وكانت الكوفة يومئذ أسباعاً، فجعلوا يحملون هذا الجواليق إلى هذا الجواليق، وهذا إلى هذا حتى استوت القسمة سبعة أجزاء، ووجد مع المتاع رغيف، فقال: اكسروه سبع كسر ووضعوا كل جزء بمكسره قال:

---

[١] - البقرة/٢٤٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/١٩٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢/١٩٩.

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

ثم أقرع ودفع إلى رؤوس الأسباع، فجعل كل رجل منهم يدعو فيحملوا الجواليق.[١]

قال: قال شيخنا أبو جعفر في كتابه الذي نقض به كتاب العثمانية لشيخنا أبي عثمان، فإن الذي ذكره لم نذكره فيما تقدم.

قال أبو جعفر: لما أجتمعت الصحابة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتل عثمان للنظر في أمر الإمامة أشاروا أبو الهيثم بن التيهان، ورفاعة بن رافع، ومالك بن العجلان، وأبو أيوب الأنصاري، وعمار بن ياسر بعلي عليه السلام، وذكروا فضله وسابقته وجهاده وقرابته، فأجابهم الناس إليه، وقام كل واحد منهم خطيباً يذكر فضل علي عليه السلام، فمنهم من فضله على أهل عصره خاصة، ومنهم من فضله على المسلمين كافة، ثم بويع وصعد المنبر في اليوم الثاني من يوم البيعة، وهو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقين من ذي الحجة، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر محمداً فصلى عليه، ثم ذكر نعمة الله على أهل الإسلام، ثم ذكر الدنيا وزهدهم فيها، وذكر الآخرة فرغبهم إليها.

ثم قال: أما بعد: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف الناس أبا بكر، ثم استخلف أبا بكر عمر، ثم عمل بطريقة، ثم جعلها شورى بين المسلمين بين ستة فأفضى الأمر منهم إلى عثمان، فعمل ما أنكرتم وعرفتم، ثم حصر وقتل، ثم جئتموني فطلبتهم اليّ، وإنما أنا رجل منكم، لي ما لكم، وعليّ ما عليكم،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٩/٢.

وقد فتح الباب بيني وبينكم، وبين أهل القبلة، وأقبلت الفتن كالليل المظلم، ولا يحمل هذا الأمر إلاّ أهل النصر والبصر، والعلم بمواقع الأمر، وإني حاملكم على منهج نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ومنفذ فيكم ما أمرت به إن استقمتم لي، وبالله المستعان، ألا إن موضعي من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعد وفاته كموضعي في أيام حياته، فامضوا إلى ما تؤمرون، وقفوا عند ما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتى نبينه لكم، فإن لنا عن كل أمر تنكرونه عذراً، ألا وإن الله عالم من فوق سمائه وأرضه أني كنت كارهاً للولاية على أمة محمد حتى اجتمع رأيكم على ذلك، لأني سمعت رسول لله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول أيما وال ولي الأمر من بعدي أقيم على حد الصراط، ونشرت الملائكة صحيفته، فإن كان عادلاً انجاه الله بعدله، وإن كان جايراً انتفض منه الصراط حتى تتزايل مفاصله، ثم يهوي إلى النار، فيكون أول ما يتقيها به أنفه وحر وجهه، ولكني لما اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم، ثم التفت عَلَيْهِ السَّلَامُ يميناً وشمالاً فقال: لا تقولن رجال منكم غداً غرتهم الدنيا فأتخذوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، وأتخذوا الوصايف، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأمرتهم إلى حقوقهم التي يعملون، فينقمون ويستنكرون ويقولون حرمنا أبن أبي طالب حقوقنا، ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته، فإن له الفضل النير غداً عند الله، وثوابه وأجره على الله، أيما رجل استجاب لله والرسول فصدق ملبياً، ودخل في ديننا، وأستقبل قبلتنا، فقد

استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، لا فضل لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء، وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين جزاء ولا ثواباً، وما عند الله خير للأبرار، وإذا كان غداً إن شاء الله فاغدوا علينا، فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم، ولا يتخلفن أحد منكم عربي ولا أعجمي كان من أهل العطاء، أو لم يكن إلاّ حضر، إذا كان مسلماً حراً، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ثم نزل.[١]

قال شيخنا أبو جعفر رَحِمَهُ اللهُ: فكان هذا أول ما أنكروه من كلامه، وأورثهم الضغن عليه، وكرهوا اعطائه وقسمه بالسوية، فلما كان غداً وغدا الناس لتقبض المال، فقال لعبد الله بن أبي رافع كاتبه أبدأ بالمهاجرين فنادهم وأعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير، ثم ثن بالأنصار مثل ذلك، ثم من يحضر من الناس كلهم الأحمر والأسود، فأصنع به مثل ذلك.

فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين هذا غلامي بالأمس وقد اعتقته اليوم، فقال: نعطيه كما نعطيك، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير، ولم يفضل أحداً على أحد، وتخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة والزبير، وعبد الله بن عمر، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، ورجال من قريش وغيرهم.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٦/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧/٧.

قال: وسمع عبد الله بن رافع عبد الله بن الزبير يقول لأبيه وطلحة ومروان وسعيد ما خفي علينا أمس من كلام علي ما يريد، فقال سعيد بن العاص والتفت إلى زيد بن ثابت: إياك أعني واسمعي يا جاره، فقال عبد الله بن أبي رافع لسعيد وعبد الله بن الزبير: إن الله يقول في كتابه: ﴿**ولكن أكثرهم للحق كارهون**﴾.[١]

ثم إن عبيد الله أخبر علياً بذلك، فقال: والله إن بقيت وسلمت لهم لأقيمنهم على المحجة البيضاء، والطريق الواضح، قاتل الله ابن العاص، لقد عرف من كلامي ونظري إليه أمس أني أريده وأصحابه ممن هلك فيمن هلك.[٢]

قال: فبينا الناس في المسجد بعد الصبح، إذ طلع الزبير وطلحة وجلسا ناحية عن علي عليه السلام، ثم طلع مروان وسعيد وعبد الله بن الزبير فجلسوا إليهما، ثم جاء قوم من قريش فأنضموا إليهم، فتحدثوا نجياً ساعة، ثم قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط فجاء إلى علي عليه السلام فقال: يا أبا الحسن إنك قد أوترتنا جميعاً، أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً، وقتلت أخي يوم الدار بالأمس، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب، وكان نور قريش، وأما مروان فسحقت أباه عند عثمان إذ ضمه إليه، ونحن اخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف،

---

[١] - الزخرف/٤٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٨/٧.

ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال في أيام عثمان، وأن تقتل قتلته، وإنا إن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام.

فقال: أما ذكرتم من وتري إياكم، فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم، وليس لي أن أضع حق الله عنكم، وأما قتلي قتلة عثمان، فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس، ولكن لكم عليّ إن خفتموني اؤمنكم، وإن خفتم أن أستركم، فقام الوليد إلى أصحابه فحدثهم وأعترفوا على اظهار العداوة، وإشاعة الخلاف، فلما ظهر ذلك من أمرهم قال عمار لأصحابه قوموا إلى هؤلاء النفر من اخوتكم، فإنه قد بلغنا عنهم ورأينا منهم ما نكرهه من الخلاف، والطعن على إمامهم، وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والأعسر العاق، يعني طلحة، فقام أبو الهيثم، وعمار، وأبو أيوب، وسهل بن حنيف، وجماعة منهم، فدخلوا على علي عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين انظر مزارك وعاتب قومك، هذا الحي من قريش، قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدك، وقد دعونا في السر إلى رفضك، هداك الله وأرشدك، وذاك لأنهم كرهوا الأسوة، وقعدوا الإثرة، ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا وأستشاروا وأعظموا، وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة، وتكافئاً لأهل الضلالة، فرأيك.

فخرج علي عليه السلام فدخل المسجد وصعد المنبر مرتدياً بطاق، مؤتزراً ببرد قطري، متقلداً سيفاً، متوكئاً على قوس، فقال: أما بعد فإنا نحمد الله ربنا وإلهنا، وولينا وولي النعم علينا، الذي أصبحت نعمه علينا ظاهرة وباطنة، امتناناً منه بغير

حول ولا قوة، ليبلونا أنشكر أم نكفر، فمن شكر زاده، ومن كفر عذبه، فأفضل الناس عند الله منزلة، وأقربهم من الله وسيلة أطوعهم لأمره، وأعلمهم بطاعته، وأتبعهم لسنة رسوله، وأحباهم لكتابه، ليس لأحد عندنا فضل إلاّ بطاعة الله، وطاعة الرسول، هذا كتاب الله بين أظهرنا، وعهد رسول الله وسيرته فينا، لا يجهل ذلك إلاّ جاهل معاند، عن الحق منكر، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾،[1] ثم صاح بأعلى صوته ﴿**أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين**﴾،[2] ثم قال: يا معاشر المهاجرين والأنصار أتمنون على الله ورسوله بإسلامكم، بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين، ثم قال: يا أبا الحسن، وكان يقولها إذا غضب، ثم قال: ألا إن هذه الدنيا التي أصبحتم تمنونها وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم، ولا منزلكم الذي خلفتم له، فلا تغرنكم، فقد حذرتموها، وأستتموا نعم الله عليكم بالصبر لأنفسكم على طاعة الله، والذل لحكمه جلّ ثناؤه، فأما هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه إثرة، وقد فرغ الله من قسمته، فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله، به قررنا، وله أسلمنا بنبينا بين أظهرنا، فمن لم يرض، فليتول كيف شاء، فإن العامل بطاعة الله، والحاكم بحكم الله، لا وحشة عليه، ثم نزل من على المنبر فصلى ركعتين.

---

[1] - الحجرات/١٣.

[2] - آل عمران/٣٢.

ثم بعث عمار بن ياسر، وعبد الرحمن بن حنبل القرشي إلى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد فأتياهما فدعوهما فاقاما حتى جلسا إليه عليه السلام فقال لهما: نشدتكما الله جئتماني طائعين للبيعة، و دعوتماني إليها وأنا كاره لها؟ قالا: نعم، فقال: غير مجبرين ولا مقهورين، فأسلمتما إلى بيعتكما وأعطيتماني عهدكما؟ قالا: نعم، قال: فما دعاكما إلى ما أرى؟ قالا: أعطيناك بيعتنا على أن تقضي الأمور لا تعطيها دوننا، وأن تستشيرنا في كل أمر، ولا تستبدل بذلك علينا، ولنا من غيرنا ما قد علمت، فأنت تقسم القسم، وتقطع الأمر، وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا، فقال: لقد نقمتما يسيراً، وأرجأتما كثيراً، فأستغفروا الله يغفر لكما، ألا تخبرانني أدفعتكما عن حق وجب لكما فظلمتكما إياه، قالا: معاذ الله.

قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسي بشيء؟ قالا: معاذ الله، قال: أفوقع حكم أو حق لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟ قالا: معاذ الله، قال: فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟ قالا: خلافك عمر ابن الخطاب في القسم، إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله علينا بسيوفنا ورماحنا، وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا، وظهرت عليه دعوتنا، وأخذناه قسراً قهراً ممن لا يرى الإسلام إلاّ كرهاً.

فقال: أما ما ذكرتموه من الاستشارة بكما، فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة، ولكنكم دعوتموني إليها، وحملتموني عليها، فخفت أن أردكم

فتختلف الأمة، فلما أفضت إليّ نظرت في كتاب الله وسنّة رسوله، فأمضيت ما دلاني عليه وأتبعته، ولم أحتج إلى رأيكما فيه، ولا رأي غيركما، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه، ولا في السنة برهانه احتيج إلى المشاورة لشاركتما فيه، وأما القسم والأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم فيه باديء بدو، ووجدت أنا وأنتما رسول الله ﷺ يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وأما قولكما جعلت فينا وما أفاء الله به علينا بسيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا، فقدماً سبق إلى الإسلام قوم، ونصر بسيوفهم ورماحهم، فلم يفضلهم رسول الله ﷺ في القسم، ولا آثرهم في السبوق، والله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم، وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلاّ هذا، أخذ الله بقلوبكما إلى الحق، وألهمنا وإياكما الصبر، ثم قال: رحم الله امرء رأى حقاً فأعان عليه، ورأى الجور فرده، وكان قوياً للحق على من خالفه.[1]

قال شيخنا أبو جعفر: وقد روي أنهما قالا له وقت البيعة ونبايعك على أنا شركاؤك في هذا الأمر، فقال لهما: لا ولكنكما شريكاي في الفيء، لا أستأثر عليكما ولا على عبد حبشي مجدع بدرهم، فما دونه، لا أنا ولا ولداي هذان،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٨/٧.

فإن أبيتم إلاّ لفظ الشركة، فأنتما عونان لي عند العجز والفاقة، لا عند القوة والاستقامة.[١]

قال أبو جعفر: فأشترطا ما لا يجوز في عقد الإمامة، وشرط لهما ما يجب في الدين والشريعة.[٢]

قال رَحِمَهُ الله: وقد روي أيضاً أن الزبير قال في ملأ من الناس: هذا جزاؤنا من علي، قمنا له في أمر عثمان حتى قتل، فلما بلغ ما أراد جعل فوقنا من كنا فوقه.

وقال طلحة: ما اللوم إلاّ علينا، كنا معه من أهل الشورى ثلاثة، فكرهه أحدنا يعني سعداً، وبايعناه، فأعطيناه ما في أيدينا ومنعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا اليوم ما رجوناه أمس، ولا نرجو غداً، ما أخطأنا اليوم.[٣]

فإن قلت: إن أبا بكر قسم بالسواء كما قسم أمير المؤمنين عليه السلام، ولم ينكروا ذلك كما أنكروه أيام أمير المؤمنين عليه السلام، فما الفرق بين الحالتين؟

قلت: إن أبا بكر قسم محتذياً القسم رسول الله، فلما ولي عمر الخلافة، وفضل قوماً على قوم، ألفوا ذلك، ونسوا تلك القسمة الأولى، وطالت أيام عمر أشربت قلوبهم حب المال وكثرة العطاء، وأما الذين اهتضموا فقنعوا ومرنوا على القناعة، ولم يخطر لأحد من الفريقين أن هذه الحال تنقض أو يتغير بوجه ما، فلما ولي عثمان أجرى الأمر على ما كان عمر يجريه به، فأزداد وثوق

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٢/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٢/٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٢/٧.

القوم بذلك، ومن ألف أمراً شق عليه فراقه، وتغيير العادة فيه، فلما ولي علي عليه السلام أراد أن يرد الأمر إلى ما كان في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر، وقد نسي ذلك ورفض، وتخلل بين الزمانين اثنتان وعشرون سنة، فشق ذلك عليهم وأنكروه وأكبروه حتى حدث ما حدث عن أمر البيعة ومفارقة الطاعة، ولله أمر هو بالغه.[١]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٢/٧.

الباب
الرابع والأربعون
في تربية رسول الله ﷺ له عليه السلام
وتعليمه ﷺ إياه العلم

ابن أبي الحديد قال: روى الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام قال: سمعت زيداً أبي يقول: كان رسول الله يمضغ اللحمة والتمرة حتى تلين ويجعلها في فم علي عليه السلام وهو صغير في حجره، وكذلك كان أبي علي بن الحسين يفعل بي، ولقد كان يأخذ الشيء من الودك، وهو شديد الحرارة فيبرده في الهواء وينفخوا عليه يبرد، ثم يلقمنيه فيشفق عليّ من حرارة اللقمة، ولا يشفق عليّ من النار، لو كان إماماً بالوصية كما يزعم هؤلاء لكان أبي أقضى بذلك إليّ، ووقاني من حرّ جهنم.[1]

قال: وروى جبير بن مطعم قال: قال أبي مطعم بن عدي لنا، ونحن صبيان بمكة: ألا ترون حب هذا الغلام يعني علياً لمحمد واتباعه له دون أبيه واللات والعزى، لوددت أنه ابني بفتيان بن نوفل جميعاً.[2]

قال: قال عليه السلام: أنا وضعت بكلاكل العرب، وكسرت نواجم ربيعة ومضر، قد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة، والمنزلة

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٠/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠١/١٣.

الخصيصة، وضعني في حجرة وأنا وليد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، فسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم علماً من أخلاقه، ويأمرني بالإقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت الرنة، فقال: هذا الشيطان آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعلى خير.[١]

قال: قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي: كان علي عليه السلام صاحب رسول الله، ومشتكى حزنه، وأنيسه في خلواته، وجليسه وألفه في أيامه كلها، وكل هذا يوجب التحريض عليه، فمن معاداة العرب له أنتم معاشر العثمانية تثبتون لأبي بكر فضيلة بصحبة الرسول صلى الله عليه وآله من مكة إلى يثرب، ودخوله معه في الغار، فقلتم مرتبة شريفة، وحال جليلة إذا كان شريكه في الهجرة، وأنيسه في الوحشة، فأين هذه من صحبة علي في خلواته، وحيث لا يجد أنيساً غيره ليله

---

[١] - نهج البلاغة ١٥٦/٢، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٧/١٣.

ونهاره أيام مقامه بمكة، يعبد الله معه سراً، ويتكلف الحاجة جهراً، ويخدمه كالعبد يخدمه مولاه، ويشفق عليه، ويحوطه كالولد بين والده يعطف عليه.

ولما سئلت عائشة من كان أحب الناس إلى رسول الله؟ قالت: أما من الرجال فعلي، وأما من النساء ففاطمة.[١]

قال في الشرح: هذه خطبة خطب بها بعد انقضاء أمر النهروان، والعرف الريح الطيبة، ومضغ الشيء يمضغه -بفتح الضاد- والخطلة في الفعل الخافية، وايقاعه على غير وجهه، وحراء جبل معروف، والرنة الصوت، والقرابة القريبة بينه وبين رسول الله ﷺ المنزلة الخصيصة أنه ابن عمه دنيا، وان أبويهما أخوان لأب وأم دون غيرهما من بني عبد المطلب إلاّ الزبير، ثم أن أباه كفل رسول الله ﷺ دون غيره من الأعمام، ورباه في حجره، ثم حامى عنه، ونصره عند إظهار الدعوة دون غيره من بني هاشم، ثم ما كان بينهما من المصاهرة التي أفضت إلى النسل الأطهر دون غيره من الأصهار، ونحن نذكر ما ذكره أرباب السيرة من معاني هذا الفصل.[٢]

قال الطبري في تأريخه: قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: من نعمة الله عز وجل على علي بن أبي طالب عليه السلام وما صنع الله له وأراده به من الخير، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٢/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٨/١٣.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للعباس عمه وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فأنطلق بنا، فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه واحداً، وتأخذوا فنكفيهم عنه، فقال العباس: نعم، فأنطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلاً فأصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بعثه الله نبياً، فأتبعه علي عليه السلام فأقر به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم وأستغنى عنه.[1]

قال: قال الطبري: وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب، مستخفياً من عمه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وساير قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم أن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهم يصليان، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا ابن أخي ما هذا الذي أراك تدين به؟ قال: يا عم هذا دين الله، ودين ملائكته، ودين رسله، ودين نبينا إبراهيم، وكما قال: بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه، وأعانني عليه، أو كما قال: فقال أبو طالب: يا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣/١٩٨.

ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي، وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك شيء تكرهه ما بقيت.[١]

قال الطبري: وقد روى هؤلاء المذكورون أن أبا طالب قال لعلي عليه السلام: يا بني ما هذا الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت آمنت بالله وبرسوله، وصدقته بما جاء به، وصليت لله تعالى معه.

قال: فزعموا أنه قال له: أما أنه لا يدعو إلاّ إلى خير فألزمه.[٢]

قال: وروى الطبري في تاريخه أيضاً قال: حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي، قال: حدثنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا العلا، عن المنهال ابن عمرو، عن عبد الله بن عبد الله، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأأكبر، لا يقولها بعدي إلاّ كاذب مفتر، صليت قبل الناس بسبع سنين.[٣]

وفي غير رواية الطبري: أنا الصديق الأكبر، وأنا الفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، وصليت قبل صلاته بسبع سنين، كأنه لم يرتض أن يذكر عمر، ولا رآه أهلاً للمقايسة بينه وبينه، وذلك لأن إسلام عمر كان متأخراً.[٤]

قال: وروى الفضل ابن العباس رحمه الله قال: سألت أبي عن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله الذكور، أيهم كان رسول الله صلى الله عليه وآله أشد حباً له؟ فقال: علي بن أبي

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١٩٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١٩٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٢٠٠.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/٢٠٠.

طالب، فقلت له: سألتك عن بنيه؟ فقال: إنه كان أحب عليه من بنيه جميعاً، وأرأف ما رأيناه، ما زايله يوماً من الدهر منذ كان طفلاً إلاّ أن يكون في سفر لخديجة، وما رأينا أبر بإبن منه لعلي، ولا إبناً أطوع لأب من علي.[١]

قال: وروى أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله في مسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة الليلة التي به أسري به فيها، وهو بالحجر يصلي، فلما قضى صلاته، وقضيت صلاتي، سمعت رنة شديدة، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ قال: ألا تعلم هذه رنة الشيطان، علم أني أسري بي الليلة إلى السماء، فآيس من األن يعبد في هذه الأرض.[٢]

قال: وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: كان علي عليه السلام يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الرسالة الضوء، ويسمع الصوت، وقال صلى الله عليه وآله: لولا أني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة، فإن لا تكن نبياً، فإنك وصيّ نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء.[٣]

قال: ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٠/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٩/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٠/١٣.

خطيباً فقال: من كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار، وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس، رجل منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كاذب، لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا صاحب رسول الله رآه وسمع منه، ولقف عنه فيأخذه بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك وصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار والزور والبهتان فولوهم الأعمال، وجعلوهم على رقاب الناس، أكلوهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلاّ من عصم الله، فهذا أحد الأربعة، ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه، فوهم منه، ولم يتعمد كذباً، فهو في يديه يؤديه ويعمل به، ويقول أنا سمعته من رسول الله ﷺ، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه، ولو علم أنه كذلك لرفضه، ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئاً يأمر به ثم نهى عنه، وهو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء، ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ، ولم يحفظ الناسخ، فلو يعلم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه، وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً من الله، وتعظيماً لرسول الله ﷺ، ولم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على

ما سمعه، لم يزد فيه ولم ينقص منه، وحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فخبر عنه، وعرف الخاص والعام، فوضع كل شيء موضعه، وعرف المتشابه ومحكمه، وقد كان يكون من رسول الله ﷺ له وجهان، فكلام خاص وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به، ولا ما عنى به رسول الله ﷺ، فيحمله السامع، ويوجهه على غير معرفة بمعناه، وما قصد به وما خرج من أجله، وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ كان يسأله ويستفهمه حتى كانوا يحبون أن يجيء الإعرابي الطاريء فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا، وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلاّ سألت عنه وحفظته، فهذا وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعلمهم في رواياتهم.[1]

قال: وذكر أحمد بن يحيى البلاذري، وعلي بن الحسين الأصفهاني أن قريشاً أصابها أزمة وقحط، فقال رسول الله ﷺ لعميه: حمزة والعباس ألا نحمل ثقل أبي طالب في هذا المحل، فجاؤوا إليه وسألوه أن يدفع إليهم ولده ليكفوه أمرهم، فقال: دعوا إليّ عقيلاً، وخذوا من شئتم، وكان شديد الحب لعقيل، فأخذ العباس طالباً، وأخذ حمزة جعفراً، وأخذ محمد ﷺ علياً، وقال: قد اخترت من اختاره الله ولي عليكم علياً.[2]

---

[1] - نهج البلاغة ١٨٨/٢، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٨/١١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥/١.

قالوا: فكان علي عليه السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله منذ كان عمره ست سنين، وكان ما يسدي إليه ﴿صلوات الله عليه﴾ من إحسان وشفقة، وبره وحسن تربيته، كالمكافاة والمعاوضة لصنيع أبي طالب به حيث مات عبدالمطلب وجعله في حجره، وهذا يطابق قوله عليه السلام لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين، وقوله كنت أسمع الصوت، وأبصر الضوء سنين سبعاً، ورسول الله صلى الله عليه وآله حينئذ صامت ما أأذن له في الإنذار والتبليغ، وذلك لأنه إذا كان عمره يوم إظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة، وتسليمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبيه، وهو ابن ست، فقد صح أنه كان يعبد الله قبل الناس بأجمعهم بسبع سنين، وابن ست تصح منه العبادة إذا كان يميز، وعلى أن عبادة مثله هي التعظيم والإجلال، وخشوع القلب، واستحذاء الجوارح إذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه، وآياته الباهرة، ومثل هذا موجود في الصبيان».

وقتل عليه السلام ليلة الجمعة لثلاث عشرة بقين من شهر رمضان سنة أربعين في رواية أبي عبد الرحمن السلمي، وهي الرواية المشهورة، وفي رواية أبي مخنف أنها كانت لإحدى عشر ليلة بقين من شهر رمضان، وعليه الشيعة في زماننا، والقول الأول أثبت عند المحدثين، والليلة السابعة عشر من رمضان هي ليلة بدر، وقد كانت الروايات وردت أنه يقتل في ليلة بدر عليه السلام.

وقبره بالغري وما يدعيه أصحاب الحديث من الاختلاف في قبره، وأنه حمل إلى المدينة، وأنه دفن في رحبة الجامع أو عند باب قصر الإمارة، أو ند البعير الذي حمل عليه، فأخذته الأعراب باطل كله، لا حقيقة له، و أولاده

أعرف بقبره، وأولاد كل الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب، وهذا القبر الذي زاره بنوه لما قدموا العراق، منهم جعفر بن محمد عليه السلام وغيرهم من أكابرهم وأعيانهم.[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥/١.

الباب
الخامس والأربعون
في أدعية له عليه السلام موجزة

[قال] ابن أبي الحديد: وكان من دعائه عليه السلام: اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدت فعد عليّ بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما وأيت من نفسي، ولم تجد له وفاء عندي، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه قلبي، اللهم اغفر لي خفيات الألحاظ، وسقطات الألفاظ، وسهوات الجنان، وهفوات اللسان.[1]

قال: ومن دعاءه عليه السلام: يا من يرحم من لا ترحمه العباد، ويا من يقبل من لا تقبله البلاد، ويا من لا يحتقر أهل الحاجة إليه، ويا من لا يجبه بالرد أهل الإلحاح عليه، ثم ذكر الدعاء المذكور في الصحيفة بتغيير في بعض الألفاظ.[2]

قال: ومن أدعيته عليه السلام قال: وهو من أدعية الصحيفة: اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون، ويا من إلى إحسانه يفزع المضطرون، ويا من لخيفته ينتحب الخاطئون، وساق الدعاء إلى آخره.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٦/٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٨/٦.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٠/٦.

قال: ومن أدعيته عليه السلام وهو من أدعية الصحيفة: اللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود والسلطان، الممتنع بغير جنود، الباقي على الدهور، وساق الدعاء إلى آخره.[١]

قال: ومن دعائه عليه السلام وهو من أدعية الصحيفة: اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبة الحسد، وضعف الصبر، وقلة القناعة، وشكاسة الخلق، والحاح الشهوة، وملكة الحمية، ومتابعة الهوى، ومخالفة الهدى، وسنة الغفلة، وتعاطي الكلفة، ثم ساق الدعاء إلى آخره.[٢]

قال: وروي أن علياً عليه السلام اعتمر، فرأى رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة، وهو يقول: يا من لا يشغله سمع عن سمع، يا من لا تغلطه المسائل، ولا يبرمه الحاح الملحين، أذقني برد عفوك، وحلاوة مغفرتك، وعذوبة عاقبتك، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

فقال علي عليه السلام: والذي نفسي بيده إن من قالها، وعليه مثل السموات والأرض من الذنوب قولاً مخلصاً ليغفرنّ له.[٣]

قال: ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام: اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في النفس والأهل والمال والولد، اللهم أنت الصاحب في السفر، وأنت الخليفة في الأهل، ولا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨٢/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨٥/٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨٨/٦.

يجمعها غيرك، لأن المستخلف لا يكون مستصحباً، والمستصحب لا يكون مستخلفاً.[1]

قال: قال نصر: لما وضع علي عليه السلام رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى صفين قال: بسم الله، فلما جلس على ظهرها قال: سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، إلى آخر الفصل، وأراد به الدعاء السابق، وزاد نصر فيه: ومن الحيرة بعد اليقين.[2]

قال: قال: وحدثنا عمرو بن خالد، عن الحسين بن زيد بن علي عليه السلام، عن آبائه أن علياً عليه السلام خرج وهو يريد صفين حتى إذا قطع النهر أمر مناديه فنادى بالصلاة، فقدم فصلى ركعتين حتى إذا قضى الصلاة أقبل عليٌ بوجهه فقال: أيها الناس ألا من كان مشيعاً أو مقيماً فليتم الصلاة، فإنا قوم سفر، ألا ومن صحبنا فلا يصومن المفروض، والصلاة المفروضة ركعتان.

قال نصر: ثم خرج حتى نزل دير أبي موسى، وهو من الكوفة على فرسخين، وصلى به العصر، فلما انصرف من الصلاة قال: سبحان الله ذي الطول والنعم، ذي القدرة والإفضال، أسأل الله الرضا بقضائه، والعمل بطاعته، والإنابة إلى أمره، إنه سميع الدعاء.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٥/٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٦/٣، وقعة صفين/١٣٢.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٧/٣، وقعة صفين/١٣٤.

قال نصر: ثم خرج عليه السلام حتى نزل شاطيء برس موضع بين حمام أبي برده وحمام عمر، فصلى بالناس المغرب، فلما انصرف قال: الحمد لله الذي يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، والحمد لله كلما وقب ليل وغسق، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق، ثم أقام حتى صلى الغداة حتى بلغ قبة قبين، وفيها نخل طوال إلى جانب البيعة من وراء النهر، فلما رآها قال: ﴿**والنخل باسقات لها طلع نضيد**﴾، ثم أقحم دابته النهر فعبر إلى تلك البيعة ومكث بها قدر الغذاء.[١]

قال: قال نصر: كان علي عليه السلام يركب بغلة له يستلذها قبل أن تلتقي الفئتان بصفين، فلما حضرت الحرب وبات تلك الليلة يعبيءالكتائب قال: آتوني بفرس، فأتي بفرس له ذنب أدهم يقاد بشطنين يبحث الأرض بيديه جميعاً، له حمحمة وصهيل، فركبه وقال: سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.[٢]

قال: وقال نصر: وحدثنا عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا صار إلى قتال ذكر اسم الله حين يركب، وكان يقول: الحمد لله على نعمه علينا وفضله، سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه إلى السماء ويقول: اللهم إليك نقلت الاقدام، وأتعبت الأبدان، وأقضيت القلوب، ورفعت

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٧/٣، وقعة صفين/١٣٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٥/٥، وقعة صفين/٢٣٠.

الأيدي، وشخصت الأبصار، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الفاتحين، ثم يقول سيروا على بركة الله، الله أكبر، لا إله إلاّ الله، والله أكبر، يا أحد يا صمد، يا رب محمد أكفف عنا بأس الظالمين، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، إياك نعبد وإياك نستعين، بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، قال: وكانت هذه الكلمات شعاره بصفين.[١]

قال: وروى سعيد بن طريف، عن الاصبغ بن نباتة، ما قام علي عليه السلام في قتال إلاّ نادى: بكهيعص.[٢]

قال: قال نصر: وحدثنا قيس بن الربيع، عن عبد الرحمن بن حسان العجلي، عمن حدثه أنه سمع علياً عليه السلام يقول يوم لقائه أهل الشام بصفين: اللهم إليك رفعت الأبصار، وبسطت الأيدي، ونقلت الأقدام، وعدت الألسن، وأفضت القلوب نحوكم في الأعمال، فأحكم بيننا وبينهم بالحق، وأنت خير الحاكمين، اللهم إنا نشكوا إليك غيبة نبينا، وقلت عددنا، وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا، وشدة الزمان، وظهور الفتن، فأعنا على ذلك بفتح تعجله، ونصر تعز به سلطان الحق وتظهره.[٣]

قال: قال نصر: فحدثني عمر بن سعد، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب قال: لما خرج علي عليه السلام إليهم غداة ذلك اليوم فأستقبلوه رفع يديه إلى

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٦/٥، وقعة صفين/٢٣٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٦/٥، وقعة صفين/٢٣١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٦/٥، وقعة صفين/٢٣١.

السماء فقال: اللهم رب هذا السقف المحفوظ المكفوف، الذي جعلته محيطاً بالليل والنهار، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر، ومنازل الكواكب والنجوم، وجعلت سكانه من الملائكة لا يسأمون عن العبادة، ورب هذه الأرض الذي جعلتها قراراً للأنام والهوام والأنعام، وما يحصي مما يرى من خلقك العظيم، ورب الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض، ورب البحر المسجور المحيط بالعالمين، والجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق متاعاً، إن أظهرتنا على عدونا، فجنبنا البغي، وسددنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فأرزقنا الشهادة، واعصم بقية أصحابي من الفتنة.

قال: فلما رأوه قد أقبل تقدموا إليه بزحوفهم، وكان على ميمنته يومئذ عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعلى ميسرته عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب، وقراء العراق مع ثلاثة نفر عمار بن ياسر، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن بديل، والناس على راياتهم ومراكزهم، وعلي عليه السلام في القلب في أهل المدينة جمهورهم الأنصار، ومعه من خزاعة وكنانة عدد حسن.[1]

قال: ومن دعاء كان يدعوا به عليه السلام كثيراً: الحمد لله الذي لا يصبح بي ميتاً ولا سقيماً ولا مضروباً على عروقي بسوء، ولا مأخوذاً بأسوأ عملي، ولا مقطوعاً دابري، ولا مرتداً عن ديني، ولا منكراً لربي، ولا مستوحشاً من

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٧/٥، وقعة صفين/٢٣٢.

إيماني، ولا ملتبساً عقلي، ولا معذباً بعذاب الإمام من قبلي، أصبحت عبداً مملوكاً، ظالماً لنفسي، لك الحجة ولا حجة لي، ولا أستطيع أن آخذ إلاّ ما أعطيت لي، ولا أتقي إلاّ ما وقيتني، اللهم إني أعوذ بك أن افتقر في غناك، أو أضل في هداك أو أظام في سلطانك، أو أضطهد والأمر لك، اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنزعها من كرائمي، وأول وديعة ترجعها من ودائع نعمك عندي، اللهم إني أعوذ بك أن أذهب عن قولك، أو افتتن عن دينك، أو نتابع بنا أهوائنا دون الهدى الذي جاءنا من عندك.[1]

قال: ومن دعاء له عليه السلام: اللهم صن وجهي باليسار، ولا تبدل جاهي بالاقتدار، فأسترزق طالبي رزقك، واستعطف شرار خلقك، وابتلي بحمد من أعطاني، وأفتتن بذم من منعني، وأنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء والمنع، إنك على كل شيء قدير.[2]

قال: ومن دعاء له عليه السلام: اللهم إنك آنس الآنسين لأوليائك، وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك، يشاهدهم في سرايرهم، وتطلع عليهم في ضمائرهم، وتعلم بصايرهم، فاسرارهم لك مكشوفة، وقلوبهم إليك ملهوفة، إن أوحشهم الغربة آنسهم ذكرك، وإن صبت عليهم المصائب لحو إلى الإستجارة بك، علماً بأن أزمة الأمور بيدك، ومصادرها عن قضائك، اللهم فإن فهمت عن مسألتي التي عملت عن طلبتي، فدلني على مصالحي، وخذ بقلبي

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٤/١١

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٧/٦.

إلى مراشدي، فليس ذلك بنكر من هداياتك، ولا ببدع من لقائك، اللهم احملني على عفوك، ولا تحملني على عدلك.[١]

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦٧/١١.

الباب
السادس والأربعون
في سبب ترك جهاد من تقدم عليه

ابن أبي الحديد قال: وروي عن علي عليه السلام أن فاطمة عليها السلام حرضته على النهوض والوثوب، فسمع صوت المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله، فقال لها: أيسرك زوال هذا النداء من الأرض؟ قالت: لا، قال: فإنه ما أقول لك.[1]

قال ابن أبي الحديد عقيب ذلك: وهذا المذهب هو أقصد المذاهب وأصحها، وإليه ذهب أصحابنا المتأخرون من البغداديين، وبه نقول، وأعلم ادخال علي عليه السلام في هذا المعنى أشهر من أن يحتاج في الدلالة عليها إلى الإسهاب والإطناب، فقد رأيت انتقاض العرب عليه من أقطارها حين بويع بالخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس وعشرين سنة، وفي دون هذه المدة تنسى الأحقاد، ويموت الترات، وتبرد الأكباد الحامية، وتسلوا القلوب الواجدة، ويعدم قرن من الناس ويوجد قرن، ولا يبقى من أرباب تلك الشحناء والبغضاء إلاّ الأقل، فكانت حاله بعد هذه المدة الطويلة مع قريش، كأنها حالة لو أفضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمه صلى الله عليه وآله من إظهار ما في النفوس وهيجان ما في القلوب حتى أن الاخلاف من قريش، والأحداث والفيتان الذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته في أسلافهم وآبائهم، فعلوا به ما لو كانت

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٣/١١.

الأسلاف أحياء، لقصرت عن فعله، وتقاعست عن بلوغ شأوه، فكيف كانت تكون حاله لو جلس على منبر الخلافة، وسيفه بعد يقطر دماً من مهج العرب لا سيما قريش الذين بهم كان ينبغي لو دهمه خطب أن يعتضد، وعليهم كان يجب أن يعتمد، إذاً كانت تدرس أعلام الملة، وتعفى رسوم الشريعة، وتعوذ الجاهلية الجهلاء إلى خلفاء، ويفسد ما أصلحه رسول الله صلى الله عليه وآله في ثلاث وعشرين سنة في شهر واحد، فكان من عناية الله تعالى بهذا الدين أن ألهم الصحابة ما فعلوه، والله متم نوره، ولو كره المشركون.[١]

قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: في مكاتبة له عليه السلام إلى معاوية: وقد كان أبوك أتاني حين ولى الناس أبا بكر فقال: أنت أحق بمقام محمد، وأولى الناس بهذا الأمر، وانا زعيم لك بذلك على من خالف، أبسط يدك أبايعك، فلم أفعل، وأنت تعلم أن أباك قد كان قال ذلك وأراده حتى كنت أنا الذي أبيت لقرب عهد الناس بالكفر، ومخافة الفرقة بين الناس، فأبوك كان أعرف بحقي منك، فان تعرف من حقي ما كان أبوك يعرف تصب رشدك، وان لم تفعل فسيغني عنك، والسلام.[٢]

قلت: الناس يستحسنون رأي العباس رحمه الله لعلي عليه السلام في أن لا يدخل في أصحاب الشورى، وأما أنا فإني أستحسنه إن قصد به معنى، ولا أستحسنه إن قصد به معنى آخر، وذلك لأنه إن أجرى بهذا الرأي إلى ترفعه عليهم

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٤/١١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٨/١٥.

وعلو قدر من غيره أن يكون مماثلاً لهم، وأجرى به إلى زهده في الإمارة ورغبته عن الولاية، فكل هذا رأي حسن وصواب، وإن كان منزعه في ذلك أن تركت الدخول معهم، وأنفردت بنفسك في دارك أو خرجت عن المدينة إلى بعض أموالك، فإنهم يطلبونك، ويضربون إليك آباط الإبل حتى يولوك الخلافة، وهذا هو الظاهر من كلامه، فليس هذا الرأي عندي بمستحسن، لأنه لو فعل ذلك لولوا عثمان أو واحداً منهم غيره، ولم يكن عندهم من الرغبة فيه عليه السلام ما يبعثهم على طلبه، بل كان تأخره عنهم قرة أعينهم، وواقعاً بإيثارهم، فإن قريشاً كلها كانت تبغضه أشد البغض، ولو عمّر عمر نوح، وتوصل إلى الخلافة بجميع أنواع التواصل كالزهد فيها تارة، والمناشدة بفضائله تارة، وبما فعله في ابتداء الأمر من إخراج زوجته وأطفاله ليلاً إلى بيوت الأنصار، وبما اعتمده إذ ذاك من تخلفه في بيته، وإظهاره أنه قد انعكف على جمع القرآن، وسائر أنواع الحيل فيها لم تحصل له إلاّ بتجريد السيف، كما فعله في آخر الأمر، ولست ألوم العرب لا سيما قريشاً في بغضها له، وانحرافها عنه، فإنه وترها، وسفك دماها، وكشف القناع في منابذتها، ونفوس العرب وأكبادها كما تعلم، وليس الإسلام يمانع من بقاء الأحقاد في النفوس، كم نشاهده اليوم عياناً، والناس كالناس الأول، والطبايع واحدة، فأحسب أنك كنت من سنتين أو ثلاث جاهلياً أو من بعض الروم، وقد قتل واحد من المسلمين إبنك وأخاك ثم أسلمت،أ كان إسلامك يذهب عنك ما تجده من بعض ذلك القاتل وشنآنه؟ كلا إن ذلك غير ذاهب، هذا إذا كان الإسلام صحيحاً، والعقيدة

مخفقة لا كإسلام كثير من العرب، فبعضهم تقليداً وبعضهم للطمع والكسب، وبعضهم خوفاً من السيف، وبعضهم على طريق الحمية والإنتصار للنسب والعداوة، وقوم آخرين من أضداد الإسلام وأعدائه.

وأعلم أن كل دم أراقه رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بسيف علي وبسيف غيره، فإن العرب بعد وفاته عَلَيْهِالسَّلَامُ تعصب تلك الدماء لعلي بن أبي طالب وحده، لأنه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعهم وسنتهم وعادتهم أن يعصب به تلك الدماء إلاّ علي وحده.[1]

قال: قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي رَحِمَهُاللهُ: إنه كان أهل البصرة كلهم يبغضونه، وكثير من أهل الكوفة، وكثير من أهل المدينة، فأما أهل مكة فكلهم كانوا يبغضونه قاطبة، وكانت قريش كلها على خلافه، وكان جمهور الخلق مع بني أمية.[2]

قال: وروى عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن ابن أبي بكرة قال: سمعت علياً عَلَيْهِالسَّلَامُ وهو يقول: ما لقي أحد من الناس ما لقيت، ثم بكى عَلَيْهِالسَّلَامُ.[3]

قال: وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أحمد بن زيد رَحِمَهُاللهُ، فقلت له: إني لأعجب من علي عَلَيْهِالسَّلَامُ كيف بقي تلك المدة الطويلة بعد رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وكيف ما اغتيل وفتك به في جوف منزله، وفتك به مع تلظي الأكباد عليه.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٩/١٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٣/٤.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٣/٤.

فقال: لولا أنه أرغم أنفه بالتراب، ووضع خده في حضيض الأرض لقتل، ولكنه ما حمل نفسه، وأشتغل بالعبادة والصلاة والنظر في القرآن، وخرج عن ذلك الزي الأول، وذلك الشعار، ونسي السيف، وصار كالفاتك يتوب ويصير سايحاً في الأرض أو راهباً في الجبال، ولما أطاع القوم الذين ولوا الأمر، وصار أذل لهم من الأمة، تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدم عليه إلاّ بمواطاة من متولي الأمر، وباطن السر منه، فلما لم يكن لولاة الأمر باعث وداع إلى قتله الإمساك عنه، لولا ذلك لقتل.[1]

قال: قال عليه السلام: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كضة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز.[2]

قال في الشرح: فلق الحبة من قوله تعالى: **﴿فالق الحبّ والنوى﴾**، والنسمة كل ذي روح من البشر خاصة، قوله لولا حضور الحاضر يمكن أن يريد به لولا حضور البيعة، فإنها بعد عقدها تتعين المحاماة عنها، ويمكن أن يريد بالحاضر من حضر من الجيش الذين يستعين بهم على الحرب، والكظة -بكسر الكاف- ما يعتري الانسان من الثقل والكرب عند الامتلاء من الطعام،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠١/١٣.

[2] - نهج البلاغة ٣٧/١.

والسغب الجوع، وقولهم قد ألقى فلان حبل فلان على غاربه، أي تركه هملاً يسرح حيث يشاء من غير وازع ولا مانع، والفقهاء يذكرون هذه اللفظة في كتاب الطلاق، وعفطة العنز ما تنثر من أنفها، عفطت – بالكسر- وأكثر ما يستعمل ذلك في النعجة، فأما العنزة فالمستعمل الأشهر تستعمل فيها النفطة – بالنون- ويقولون ما له عافط ولا نافط، أي لا نعجة ولا عنز، إلى أن قال: يقول عليه السلام لولا وجودي من ينصرني لا كما كانت الحال عليه أولاً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فإني لم أكن حينئذ واجداً للناصر مع كوني مكلفاً لا أمكن الظالم من ظلمه لتركت الخلافة، ولو قصتها الآن كنا قصتها، ولوجدتم هذه الدنيا عندي أهون على عفطة عنز، وهذ إشارة إلى ما يقوله أصحابنا من وجوب النهي عن المنكر عند التمكن.[1]

قال: وروى إبراهيم، عن رجاله، عن عبد الحميد بن جندب، عن أبيه، قال: خطب عليه السلام بعد فتح مصر، وقتل محمد بن أبي بكر، فقال: أما بعد: فإن الله بعث محمداً نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وشهيداً على هذه الأمة، وأنتم معاشر العرب يومئذ على شر دين، وفي شر دار، منيخون على حجارة خشن، وحيات صم، وشوك مبثوث في البلاد، وتشربون الماء الخبيث، وتسفكون دماءكم، وتقتلون أولادكم، وتقطعون أرحامكم، تأكلون أموالكم بينكم بالباطل، سبلكم خائفة، والأصنام فيكم منصوبة، ولا يؤمن أكثركم بالله إلاّ وهم مشركون، فمنّ الله عز وجل عليكم بمحمد، فبعثه إليكم رسولاً من

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠٢/١.

أنفسكم بلسانكم، فعلمكم الكتاب والحكمة، والفرايض والسنة، وأمركم بصلة الأرحام، وحقن دمائكم، وصلاح ذات البين، وأن تودوا الأمانات إلى أهلها، وأن توفوا بعهد الله، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وأن تعاطفوا وتباروا وتراحموا، ونهاكم عن المباهت والتظالم، والتحاسد والتباغي والتقاذف، وعن شرب الخمر، وبخس المكيال، ونقص الميزان، وتقدم إليكم فيما يتلى عليكم ألاّ تزنوا، ولا تربوا، ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلماً، وأن تودوا الأمانات إلى أهلها، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين، فكل خير يدني إلى الجنة، ويباعد عن النار أمركم به، وكل شر يدني من النار ويباعد عن الجنة نهاكم عنه، فلما أستكمل توفاة الله إليه سعيداً حميداً، فيا لها مصيبة خصت الأقربين، وعمت المسلمين، ما أصيبوا قبلها بمثلها، ولن يعاينوا بعدها أخدها، فلما أفضى لسبيله ﷺ تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر على بالي، أن العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد عن أهل بيته، ولا هم منحوه عني من بعده، فما راعني إلاّ انثيال الناس على أبي بكر وإجفالهم إليه ليبايعوه، فأمكنت بيدي، ورأيت أني أحق بمقام محمد ﷺ ممن تولى الأمر من بعده، فلبثت ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين الله وملة محمد عليه السلام، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً وهدماً تكون المصيبة بها أعظم من فوات ولاية أموركم التي إنما هي متاع أيام قلائل، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب، وكما يتقشع السحاب،

فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا، ولو كره الكافرون، وتولى أبو بكر تلك فتسير وسدد، وقارب وأقتصد، فصحبته مناصحاً، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً، وما طمعت أن لو وجدت به حادث، وأنا حي أن يرد لي الأمر الذي نازعته فيه، طمع مستيقن ولا يئست منه يأس من لا يرجوه، ولولا خاصة ما كان بينه وبين عمر لظننت أنه لا يدفعها عني، فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه، فسمعنا وأطعنا وناصحنا، وتولى عمر الأمر، وكان مرضي السيرة، ميمون النقيبة حتى إذا احتضر قلت في نفسي لن يعدلها عني، ليس بدافعي عنها، فجعلني سادس ستة، فما كانوا لولاية أحد منهم أشد كراهية لولايتي عليهم، كانوا يسمعون عند وفاة الرسول ﷺ احاج أبا بكر، وأقول يا معشر قريش إنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان فينا من يقرأ القرآن، ويعرف السنة، ويدين بدين الحق، فخشي القوم إن أنا وليت عليهم أن لا يكون لهم في الأمر نصيب، ما يقواها، فأجمعوا اجماعاً واحداً فصرفوا الولاية إلى عثمان، وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها، ويتداولوها إذ يئسوا أن ينالوا بها من قبلي، ثم قال هلم فبايع وإلاً جاهدناك، فبايعت مستكرهاً، وصبرت تحسباً، فقال قائلهم يا ابن أبي طالب إنك على هذا الأمر لحريص، فقلت أنتم أحرص مني وأبعد، أينا أحرص، أنا الذي طلبت تراثي وحقي الذي جعلني الله ورسوله أولى به، أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه، وتحولون بيني وبينه، فبهتوا، والله لا يهدي القوم الظالمين، اللهم إنك استعديك على قريش، فإنهم قطعوا رحمي،

وأضاعوا إياي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به منهم فسلبونيه، ثم قالوا: ألا إن في الحق أن نأخذه وفي الحق أن نمنعه، فأصبر كمداً ومتأسفاً، فنظرت فإذا ليس معي رافداً، ولا ذابل ولا ناصر، ولا مساعد إلاّ أهل بيتي، فضننت بهم عن الهلاك، فأغضيت على القذا، وتجرعت ريقي على الشجى، وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من حر الشنار حتى إذا نقمتم على عثمان أن أتيتموه فقتلتموه ثم جئتموني تبايعوني، فأبيت عليكم، وأمسكت يدي، فنازعتموني ودافعتموني، وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، فأزدحمتم عليّ حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعض أو أنكم قاتلي، فقلتم بايعنا، لا نجد غيرك ولا نرضى إلاّ بك، بايعنا لا نفترق وتختلف كلمتنا، فبايعتكم، وعدوت الناس إلى بيعتي، فمن بايع طوعاً قبلته، ومن أبى لم أكرهه وتركته، فبايعني فيمن بايعني طلحة والزبير، ولو أبيا ماكرهتهما، كما لم أكره غيرهما، فما لبثا إلاّ يسيراً حتى بلغني أنهما خرجا من مكة متوجهين إلى البصرة في جيش ما منهم إلاّ قد أعطاني الطاعة، ومسح لي بالبيعة، فقدما على عاملي، وخزان بيت مالي، وعلى أهل مصري الذين كلهم على بيعتي، وفي طاعتي فتشتتوا كلمتهم، وأسندوا جماعتهم، ثم وثبوا على شيعتي من المسلمين، فقتلوا طائفة منهم غدراً، وطائفة منهم صبراً، ومنهم طائفة قد غضبوا لله ولي، فشهروا سيوفهم وضربوا بها حتى لقوا الله عز وجل صادقين، فوالله لو لم يصيبوا منهم إلاّ رجلاً واحداً متعمدين لقتله لحل

لي به قتل ذلك الجيش بأسرهم، فدع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التي دخلوا بها عليهم، وقد أدال الله منهم، فبعداً للقوم الظالمين.[1]

قال: وروى أبو بكر الأنباري في أماليه: أن علياً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد وعنده ناس، فلما قام عرض أحد بذكره، ونسبه إلى التيه والعجب، فقال عمر: حق لمثله أن يتيه، والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام، وهو بعد أقضى الأمة، وذو سابقتها، وذو شرفها، فقال له ذلك القائل: فما منعكم يا أمير المؤمنين عنه؟ قال: كرهناه على حداثة السن، وحبّه بني عبد المطلب.[2]

قال: قال علي عليه السلام إنه انطوى على علم، وهو ممتنع بموجبه من المنازعة، وإن ذلك العلم لا يباح به ولو باح به لأضطرب سامعوه كإضطراب الأريشة، وهي الحبال في البير البعيدة القعر، وهذا إشارة إلى الوصية التي خصّ بها علي عليه السلام، وأنه قد كان من جملتها الأمر بترك النزاع في مبدأ الاختلاف عليه.[3]

قال: قلت سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد وقد قرأت عليه هذه الأخبار، فقلت له: ما أراها إلاّ تكون دالة على النص، ولكني أستبعد أن تجتمع الصحابة على دفع نص رسول الله صلى الله عليه وآله على شخص بعينه، كما استبعدنا من الصحابة على رد نصه على الكعبة وشهر رمضان وغيرهما من

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٤/٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٢/١٢.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٥/١.

معالم الدين، فقال: رم أبيت إلاّ ميلاً إلى المعتزلة، ثم إن القوم لم يكونوا يذهبون إلى أنها من معالم الدين، وأنها جارية مجرى العبادات الشرعية كالصلاة والصوم، ولكنهم كانوا يجرونها مجرى الأمور الدنيوية، ويذهبون هذا مثل تأمير الأمراء، وتدبير الحروب، وسياسة الرعية، وما كانوا بهذا الأمر وبه أمثال، وهذا من مخالفة نصوصه عليه السلام إذا رأو المصلحة في الإسلام تراه كيف نصّ على إخراج أبي بكر وعمر في جيش اسامة، ولم يخرجا لما رأيا أن في مقامهما مصلحة للدولة والملة، وحفظاً للبيضة، ودفعاً للفتنة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخالف وهو حي في أمثال ذلك فلا ينكره، ولا يرى به بأساً، ألست تعلم أنه نزل في غزاة بدر منزلاً على أن يحارب قريشاً، فخالفته الأنصار وقالت له ليس الرأي في نزولك هذا المنزل، فأتركه وأنزل في منزل كذا، فرجع إلى رأيهم، وهو الذي قال للأنصار عام قدم المدينة لا توبروا النخل فعملوا على قوله، فحالت نخلهم في تلك السنة، ولم تثمر حتى قال لهم أنتم أعرف بأمور دنياكم، وأنا أعرف بأمر دينكم[1]

وهو الذي أخذ الفداء من أسارى بدر، فخالفه عمر، فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر، وخلص الاسرى، ورجعوا إلى مكة، وهو الذي أراد أن يصالح الأحزاب على ثلث تمر المدينة، فيرجعوا عنه، فأبى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فخالفاه فرجع إلى قولهما، وقد كان قال لأبي هريرة اخرج فناد في الناس من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنة، فخرج أبو

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٢/١٢

هريرة فأخبر عمر بذلك، فدفعه في صدره حتى وقع إلى الأرض، وقال لا تقلها فإنك إن قلتها يتكلوا عليها، ويدعو العمل، فأخبر أبو هريرة رسول الله ﷺ بذلك، فقال لا تقلها وخلهم يعملون، فرجع إلى قول عمر.[١]

وقد أطبق الصحابة اطباقاً واحداً من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك كإسقاطهم سهم ذوي القربى، وإسقاطهم سهم المؤلفة قلوبهم، وهذان الأمران أدخل في باب الدين منها في باب الدنيا، وقد عملوا بآرايهم أموراً لم يكن لها ذكر في الكتاب والسنة كحد الخمر، فإنهم عملوا اجتهاداً ولم يحد رسول الله ﷺ من شاربي الخمر، وقد شربها الجم الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم.[٢]

ولقد كان أوصاهم في مرضه فقال اخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب، فلم يخرجوهم حتى مضى صدر من خلافة عمر، وعملوا في أيام أبي بكر برأيهم في ذلك وبإستصلاحهم، وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة، وحولوا المقام بمكة، وعملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة، ولم يقفوا بموارد النصوص حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد أن رجح كثير منهم القياس على النص حتى استحالت الشريعة، وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٣/١٢

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٣/١٢

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٣/١٢

قال النقيب: وأكثر ما كانوا يعملون بآرايهم فيما يجري مجرى الولايات والتأمير والتدبير قواعد الدولة، وما كانوا يقفون مع نصوص الرسول ﷺ وتدبيراته إذا رأوا المصلحة في خلافها، كأنهم كانوا يقيدون نصوصه المطلقة بقيد غير مذكور لفظاً، وكأنهم كانوا يفهمونه من قراين أحواله وتقدير ذلك القيد افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحة.[١]

قال: فأما مخالفتهم له فيما هو محض الشرع والدين، وليس بمتعلق بأمور الدنيا وتدبيراتها، فإنه يقلّ جداً، نحو أن يقول: الوضوء شرط في الصلاة على ردّ ذلك، ويجيزوا الصلاة من غير وضوء أو يقول صوم شهر رمضان واجب، فيطبقوا على مخالفة ذلك، ويجعلوا شوالاً عوضاً عنه، فإنه بعيد إذ لا غرض لهم فيه، ولا يقدرون على إظهار مصلحة عثروا عليها خفيت عنه عليه السلام، والقوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم أن العرب لا تطيع علياً، فبعضها للحسد، وبعضها لاستحداثهم سنّه، وبعضها لاستطالته عليهم رفعة عنهم، وبعضها كراهية اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد، وبعضها للخوف من شدة وطأته، وشدته في دين الله، وبعضها خوفاً لرجاء تداول قبائل العرب الخلافة إذا لم يقتصر بها على بيت مختصة عليه، فيكون رجاء كل حي لوصولهم إليها ثابتاً مستمراً، وبعضها ببغضهم من قرابته لرسول الله ﷺ، وهم المنافقون من الناس، ومن في قلوبهم شكاً من أمر النبوة، فأصفق الكل اصفاقاً واحداً على صرف الأمر لغيره، وقال رؤسائهم بأنا خفنا الفتنة، وعلمنا أن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٤/١٢

العرب لا تطيعه، وتنكر النص، وقالوا إنه النص، ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب، والغائب قد يترك المصلحة كلية، وأعانهم على ذلك مسارعة إلى تفويض الأمر اخراجهم سعد بن عبادة من بيته، وهو مريض لينصبوه خليفة فيما زعموا، وأختلط الناس، وكثر الخبط، وكادت الفتنة تشتعل نارها.

قال: فوثب رؤساء المهاجرين فبايعوا أبا بكر، وكانت فلتة، كما قال قائلهم، وزعموا أنهم أطفاؤا بها نائرة الأنصار، فمن سكت من المسلمين وأغضى، ولم يعترض، فقد كفاهم أمر نفسه، ومن قال سراً أوجهراً أن فلاناً قد كان رسول الله ﷺ ذكره، ونص عليه، وأشاروا إليه اسكتوه في الجواب بأنا بادرنا إلى عقد البيعة مخافة الفتنة، واعتذروا عنده ببعض ما تقدم، إما أنه حديث السن أو تبغضه العرب، لأنه وترها، وسفك دماها، أو لأنه صاحب زهو وتيه، وكيف تجتمع النبوة والخلافة في مغرس واحد، بل قد قالوا في العذر ما هو أقوى من هذا وآكد، قالوا أبو بكر أقوى على هذا الأمر منه، ولا سيما وعمر يعضده ويساعده، والعرب تحب أبا بكر، ويعجبها لينه ورفقه، وهو شيخ مجرب للأمور، ولا يحسده أحد، ولا يحقد عليه أحد، ولا يبغضه أحد، وليس بذي شرف في النسب فيشمخ على الناس بشرفه، ولا ذي قربى من الرسول ﷺ فينل بقربه، ودع ذا كله فإنه فضل مستغنى عنه.[1]

قالوا: لو نصبنا علياً ارتد الناس عن الإسلام، وعادت الجاهلية كما كانت، فأيما أصلح في الدين، الوقوف مع النص المفضي إلى ارتداد الخلق

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٤/١٢

ورجوعهم إلى الاصنام والجاهلية، قال: بل بمقتضى الأصلح واستيفاء الإسلام واستدامة العمل بالدين، وإن في مخالفته مخالفة النص.[1]

قال ﷺ: وسكت الناس عن الإنكار، لأنهم كانوا متفرقين، فمنهم من هو مبغض لعلي، فالذي تم وصرف الأمر في قرة عينه وبرد فؤاده، ومنهم ذو الدين وصحة اليقين إلاّ أنه لما رأي كبراء الصحابة، قد اتفقوا على صرف الأمر عنه، ظن أنهم إنما فعلوا ذلك خلاف النص من رسول الله ﷺ، ينسخ ما قد كان سمعه من النص في حقه عليه السلام للحسن، لاسيما ما رواه أبو بكر من قول النبي ﷺ الأئمة من قريش، فإن كثيراً من الناس توهموا أنه ناسخ للنص الخاص، وأن الناس مباحون فى نصب إمام من قريش من أي بطن قريش كان، فإنه أوكد أيضاً في نفوسهم رفض النص الخاص ما سمعوه من قول رسول الله ﷺ ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وقوله سألت الله أن لا يجمع أمتي في ضلال فاأعطانيها، فأحسنوا الظن بعاقدي البيعة، وقالوا هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله ﷺ من كل أحد، فأمسكوا وكفوا عن الإنكار.[2]

ومنهم فرقة أخرى وهم الأكثرون، أعراب وجفاة وطغام، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، فهؤلاء مقلدون لا يسألون، ولا ينكرون، ولا يبحثون، وهم مع أمرائهم وولاتهم، لو أسقطوا عنهم الصلاة الواجبة لتركوها،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٥/١٢

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٦/١٢

فلذلك امحق النص، وخفي ودرس، وقويت كلمة العاقدين لبيعة أبي بكر، وقوها زيادة على ذلك اشتغال علي وبني هاشم برسول الله صلى الله عليه وآله، واغلاق بابهم عليهم، وتخليتهم الناس يعملون ما شاؤا، وأحبوا من غير مشاركة من غير لهم فيما هم فيه، لكنهم أرادوا استدراك ذلك بعد ما فات، وهيهات الفايت لا رجعة له، وأراد علي عليه السلام بعد ذلك نقض البيعة، فلم يتم له ذلك، وكانت العرب لا ترى الغدر، ولا تنقض البيعة، صواباً كانت أو خطأ، وقد قالت له الأنصار وغيرها، أيها الرجل لو دعوتنا إلى نفسك قبل البيعة، لما عدلنا بك أحداً، ولكنا قد بايعنا، فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها.[1]

قال النقيب: ومما جرأ عمر على بيعة أبي بكر، والعدول عن علي عليه السلام مع ما كان يسمعه من الرسول صلى الله عليه وآله في أمره، أنه أنكر على الرسول أموراً أعتمدها، فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله إنكاره له، بل رجع في كثير منها إليه وأشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته، فأطمعه ذلك في الإقدام على اعتماد كثير من الأمور التي كان يرى فيها المصلحة بما هي خلاف النص، نحو إنكاره الصلاة على عبد الله بن أبي المنافق، وإنكاره فداء أسارى بدر، وإنكاره عليه بتبرج نساءه للناس، وإنكاره قضية الحديبية، وإنكاره أمان العباس لأبي سفيان بن حرب، وإنكاره واقعة أبي حذيفة بن عتبة، وإنكاره أمره عليه السلام بالنداء من قال لا إله إلاّ الله دخل الجنة، وإنكاره أمره عليه السلام بذبح النواضح، وإنكاره على النساء بحضرة رسول الله هيبتهن له دون رسول الله

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٦/١٢

صلى الله عليه وآله، إلى غير ذلك من أمور كثيرة يشتمل عليها كتب الحديث، ولو لم يكن إلاّ إنكاره قول رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه أتوني بدواة وكتف أكتب لكم ما لا تضلون بعده، وقوله ما قال وسكوت رسول الله صلى الله عليه وآله عنه من أعجب الأشياء أنه قال ذلك اليوم حسبنا كتاب الله، فأفترق الحاضرون من المسلمين في الدار، فبعضهم يقول القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعضهم يقول القول ما قال عمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كثر اللغط، وعلت الأصوات، قوموا عني فما ينبغي لنبي أن يكون عنده هذا التنازع، فهل بقي للنبوة مزية وفضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القوم، وميل المسلمين بينهما فرجح قوم هذا، وقوم هذا، فليس ذلك دالاً على أن القوم ساووا بينه وبين عمر، وجعلوا القولين مسألة خلاف، ذهب كل فريق منهم إلى نصرة واحد منهما، كما يختلف اثنان من عرض المسلمين في بعض الأحكام، فينصر هذا قوم، وينصر ذاك آخرون، فمن بلغت قوته وهمته إلى هذا، كيف ينكر منه أن يبايع أبا بكر لمصلحة رآها ويعدل عن النص، ومن الذي كان ينكر عليه وهو في القول الذي قاله للرسول عليه السلام في وجهه غير خائف من الإنكار، ولا أنكر عليه أحد، ولا رسول الله، وهو أشد مخالفة للنص في الخلافة وأقطع وأشنع.[1]

قال النقيب: على أن الرجل ما أهمل أمر نفسه، بل أغدا أعذاراً وأجوبة، وذلك لأنه قال لقوم عرضوا له بحديث النص إن رسول الله صلى الله عليه وآله رجع عن ذلك بإقامته أبا بكر في الصلاة مقامهن وأوهمهم أن ذلك جار مجرى النص

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٧/١٢.

عليه بالخلافة، وقال يوم السقيفة أيكم يطيب نفساً أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله صلى الله عليه وآله في الصلاة، ثم أكد ذلك بأن قال لأبي بكر وقد عرض عليه البيعة أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله في المواطن كلها، شدتها ورخائها، رضيت لديننا، أفلا نرضاك لدنيانا، ثم غالب علياً عليه السلام بخطبته بنت أبي جهل، وأوهم أن رسول الله كرهه لذلك، ووجد عليه، وأرضاه عمرو بن العاص فروى حديثاً افتعله اختلقه على رسول الله صلى الله عليه وآله، قال سمعته يقولك إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله، وصالح المؤمنين، فجعلوا ذلك كالناسخ لقوله عليه السلام من كنت مولاه فهذا مولاه.[1]

قلت للنقيب: أيصح النسخ في مثل هذا نسخاً للشيء قبل أن يتقضى وقت فعله فقال: سبحان الله من أين تعرف العرب هذا، وأنى لها أن تتصوره فضلاً عن أن تحكم بعدم جوازه، وهل يفهم حذاق الأصوليين هذه المسألة فضلاً عن حمقى العرب، هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة، ويستمالون بأضعف سبب، وتبنى الأمور معهم على ظواهر النصوص، وأوائل الأدلة، وأصحاب جمل وتقليد، لا أصحاب تفضيل ونظر.[2]

قال: ثم أكد حسن ظن الناس بهم أنهم طلقوا أنفسهم عن الأموال، وزهدوا في متاع الدنيا وزخرفها، وسلكوا مسلك الرفض لزينتها، والرغبة عنها، والقناعة بالطفيف منها، وأكلوا الخشن، ولبسوا الكرابيس، ولما ألقت إليهم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٨/١٢

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٨/١٢

الدنيا أفلاذ كبدها، وفرقوا الأموال على الناس، وقسموها بينهم، ولم يتدنسوا منها بقليل ولا كثير، فمالت القلوب وأحبتهم النفوس، وحسنت فيهم الظنون، وقال من كان في نفسه شبهة فيهم، ووقفة في أمرهم، لو كان هؤلاء قد خالفوا النص لهوى أنفسهم، لكانوا أهل الدنيا، ولظهر عليهم الميل إليها، والرغبة فيها، والإستيثار بها، وكيف يجمعون على أنفسهم بين مخالفة النص، وترك لذات الدنيا ومآربها، فيخسر الدنيا والآخرة، وهذا لا يفعله عاقل، والقوم عقلاء ذو الباب، وآراء صحيحة، فلم يبق عند أحد شك في أمرهم ولا أرتياب بفعلهم، وبنيت العقايد على ولايتهم وتنزيههم وتصويب أفعالهم، ونسوا لذة الرياسة وأن أصحاب الهمم العالية لا يلتفتون إلى المأكل والمشرب والمنكح، وإنما يريدون الرياسة والحكم، ونفوذ الأمر، كما قال الشاعر:

وقد رغبت عن لذة العيش أنفس   وما رغبت عن لذة الأمر والنـهي[1]

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: والفرق بين الرجلين والثالث ما أصيب الثالث، وقتل تلك القتلة وخلعه الناس، وحصروه وضيقوا عليه بعد أن كانوا إلى إنكارهم أفعاله وجبهوه في وجهه وفسقوه، وذلك أنه استأثر هو وأهله بالأموال، وأنقموا فيها وأستبدوا بها، فكانت طريقته وطريقتهم مخالفاً لطريقتي الأولين، فلم تصبر العرب على ذلك، ولو كان عثمان سلك طريق عمر في الزهد، وجمع النفس وردع الأمراء والولاة عن الأموال، وتجنب استعمال أهل بيته، ورفض أغراض الدنيا وملاذها وشهواتها على الناس، زاهداً فيها، تاركاً معرضاً عنها، لما ضره

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٩/١٢

شيء قط، ولا أنكر عليه أحد قط، ولو حوّل الصلاة من الكعبة إلى بيت المقدس، بل لو أسقط عن الناس إحدى الصلوات الخمس، وأقتنع منهم بأربع، وذلك لأن همم الناس مصروفة إلى الدنيا والأموال، فإذا وجدوها سكنوا، وإذا فقدوها هاجوا واضطربوا، ألست ترى رسول الله ﷺ كيف قسم غنايم هوازن على المنافقين وعلى أعدائه الذين يتمنون قتله وموته، وزوال دولته، فلما أعطاهم أحبوه إما كلهم أو اكثرهم، من لم يحبه منهم بقلبه جامله وداراه، وكف عن إظهار عداوته، والإجلاب عليه، ولو أن علياً عليه السلام صانع أصحابه بالمال، وأعاظم وجوه الرؤساء، لكان أمره إلى الإنتظام والإطراد أقرب، ولكنه رفض جانب التدبير الدنيوي، وآثر لزوم الدين، وتمسك بأحكام الشريعة، والملك أمر آخر غير الدين، فأضطرب عليه أصحابه، وهرب كثير منهم إلى عدوه، وقد ذكرت في هذا الفصل خلاصة ما حفظته عن النقيب أبي جعفر، ولم يكن إمامي المذهب، ولا كان يبرأ من السلف الصالح، ولا يرتضي قول المسرفين من الشيعة، ولكنه كلام أجراه على لسانه البحث والجدل بيني وبينه، على أن العلوي لو كان كرامياً لا بد أن يكون عنده نوع من تعصب، وميل على الصحابة وإن قلّ.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٩/١٢

الباب
السابع والأربعون
في سبب تركه جهاد من تقدم عليه
وأمر رسول الله له بالجلوس في بيته
حتى يطلب للخلافة وهو من الباب الأول

ابن أبي الحديد قال: ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال عليه السلام: يا أخا بني أسد إنك لقلق الوضين، ترسل في غير سدد، ولك بعد ذمامة الصهر، وحق المسألة، وقد استعلمت فأعلم، أما الإستبداد علينا بهذا المقام، ونحن الاعلون نسباً، والأشدون بالرسول نوطاً، فإنها كانت إثرة شحت عليها قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم هو الله، والعود إليه يوم القيامة.

ودع عنك نهباً صيح في حجراته

وهلم الخطب في ابن أبي سفان، فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه، ولا غر والله فياله خطباً يستفرغ العجب، ويكثر الأود، حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه، وسد فواره من ينبوعه، وجدحوا بيني وبينهم شرباً وبيئاً، فإن ترتفع عنا وعنهم محن البلوى، أحملهم من الحق على

محضه، وإن تكن الأخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، إن الله عليم بما يصنعون.[1]

قال في الشرح: وشحت بخلت، وسخت حادت، ويعني بالنفوس التي سخت نفسه، والنفوس التي شحت أما على قولنا فإنه يعني نفوس أهل الشورى بعد مقتل عمر، وأما على قول الإمامية فنفوس أهل السقيفة، وليس في الخبر ما يقتضي صرف ذلك إليهم، فالأولى أن نحمله على ما ظهر عنه من تعامله من عبد الرحمن بن عوف وميله إلى عثمان، ثم قال: إن الحكم هو الله، وأنه الوقب الذي يعود الناس كلهم إليه يوم القيامة ثم قال وذكر تمالي قريش عليه فقالوا حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، يعني بما تقدم من منابذة طلحة والزبير وأصحابهما له، وما شفع ذلك من معاوية وعمرو وشيعتهما.[2]

ثم قال: وسألت أبا جعفر يحيى بن محمد العلوي النقيب بالبصرة وقت قراءتي عليه عن هذا الكلام، وكان رَحِمَهُ اللهُ على ما يذهب إليه مذاهب العلوية نصفاً، وافر العقل، فقلت له: من يعني عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله كان أثرة، سخت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ومن القوم الذين عناهم الأسدي بقوله كيف دفعكم قومكم عن هذا، وأنتم أحق به، هل أراد يوم السقيفة أو يوم الشورى؟ فقال: يوم السقيفة، فقلت: إن نفسي لا تسامحني أن أنسب إلى الصحابة خلاف الرسول، ودفع النص، فقال: وأنا لا تسامحني أيضاً أن أنسب

---

[1] - نهج البلاغة ٦٣/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٣/٩.

الرسول ﷺ إلى إهمال أمر الإمامة، فإن ترك الناس فوضى سدى مهملين، وقد كان لا يغيب عن المدينة إلاّ ويؤمر عليها أميراً وهو حي، ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمر وهو ميت، لا يقدر على استدراك ما يحدث، ثم قال: ليس يشك أحد من الناس أن رسول الله ﷺ كان عاقلاً، كامل العقل، أما المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم، وأما اليهود والنصارى والفلاسفة، فيزعمون أنه حكيم تام الحكمة، سديد الرأي، أقام ملة، وشرع شريعة، وأستجد ملكاً عظيماً بفعله وتدبيره، وهذا الرجل العاقل الكامل، يعرف طباع العرب وغرائزهم، وطلبهم بالثارات والذحول، ولو بعد الأزمان المتطاولة، ويقتل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر، فلا يزال أهل ذلك المقتول وأقاربه يتطلبون القاتل ليقتلوه حتى يدركوا ثأرهم منه، فإن لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه وأهله، فإن لم يظفروا بأحدهم، قتلوا واحداً من جماعته من تلك القبيلة، وان لم يكونوا رهطه الأدنين، والإسلام لم يحل طبايعهم، ولا غيّر هذه السجية المركوزة في أخلاقهم، والغرائز بحالها، فكيف يتوهم لبيب أن هذا العاقل الكامل، وتر العرب وعلى الخصوص قريشاً، وما عمده على سفك الدماء وازهاق الأنفس، وتقليد الضغائن بزعمه، وهو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس، ويتركه بعده وعنده ابنته، وله منه أولاد، يجريان مجرى اثنين من ظهره حنواً عليهما، ومحبة لهما، ويعدل عنه في الأمر بعده، ولا ينص عليه ولا يستلخفه، فيحقن دمه، ودم بنيه وأهله بإستخلافه.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٨/٩.

ألا يعلم هذا العاقل الكامل أنه إذا تركه، وترك بنيه وأهل سوقه ورعية، فقد عرض دمائهم للإراقة بعده، بل يكون هو عليه السلام الذي قتلهم وأشاط بدمائهم، لأنهم لا يعتصمون بعده بأمر يجمعهم، وإنما يكونون مضغة للآكل، وفريسة للمفترس، يتخطفهم الناس، وتبلغ فيه الأعراض، فأما إذا جعل السلطان فيهم، والأمر إليهم فإنه كان قد عصمهم، وحقن دمائهم بالرياسة التي يصلون بها، ويردع الناس عنهم لأجلها، ومصل هذا المعلوم بالتجربة، ألا ترى ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل الناس ووترهم، وأبقى في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه، ثم أهمل أمر ولده وذريته من بعده، وفسح للناس أن يقيموا ملكاً من عرضهم، وواحد منهم، وجعل بنيه سوقة كبعض العامة، لكان بنوه بعده قليلاً بقائهم، سريعاً لهلاكهم، ولوثب عليهم الناس ذوو الأحقاد والترات من كل جهة يقتلوهم، ويشردوهم كل مشرد، ولو أنه عيّن ولداً من أولاده للملك، وقام خواصه وخدمه وخوله بعده بأمره بعد، لحقن دماء أهل بيته، ولم تصل يد أحد من الناس إليهم لناموس الملك، وابهة السلطان، وقوة الرياسة، وحرمة الإمارة.[1]

أفترى ذهب عن رسول الله صلى الله عليه وآله هذا المعنى أم أحب أن يستأصل آله وذريته من بعده، وأين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده، الحبيبة إلى قلبه، أنقول أنه أحب أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة، تكفف الناس، وأن علياً المكرم المعظم عنده، الذي كانت حاله معه معلومة، كأبي هريرة

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٩/٩.

الدوسي، وأنس بن مالك الأنصاري، يحكم الأمراء في دمه وعرضه ونفسه وولده، فلا يستطيع الامتناع، وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول، تتلظى أكباد أصحابها عليه، ويودون أن يشربوا دمه بأفواههم، ويأكلون لحمه بأسنانهم، قد قتل أبناءهم وإخوانهم وآباءهم، وأعمامهم، والعهد لم يطل، والقروح لم تتفرق، والجروح لم تندمل.[1]

فقلت له: أحسنت فيما قلت إلاّ أن لفظه عليه السلام لم يكن نص عليه، ألا تراه يقول ونحن الأعلون نسباً، والأشدون بالرسول نوطاً، فجعل الإحتجاج بالنسب وشدة القرب، فلو كان عليه نص لقال عوض ذلك، وأنا المنصوص عليّ المخطوب بإسمي؟

فقال رحمه الله: إنما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل، ألا ترى أنه سأله فقال كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحق به من جهة الحميّة والعترة، ولم يكن الأسدي يتصور النص، ولا يعتقده، ولا يخطر بباله، لأنه لو كان هذا في نفسه لقال له لم دفعك الناس عن هذا المقام، وقد نص عليك رسول الله، ولم يقل هذا، وإنما قال له كلاماً عاماً لبني هاشم كافة، فكيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحق به، أي باعتبار الهاشمية والقربى، فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى المتعلق به الأسدي بعينه، تمهيداً للجواب، فقال إنما فعلوا ذلك مع أنا أقرب إلى رسول الله من غيرنا، لأنهم أستاثروا علينا، ولو قال له أنا المنصوص عليّ، والمخطوب بإسمي في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٠/٩.

لما كان قد أجابه، لأنه ماسأله هل أنت منصوص عليك أم لا؟ وهل نص رسول الله بالخلافة على أحد أم لا، وإنما قال له لم دفعكم قومكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم، فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه، وأيضاً فلو أن أحداً صرح له بالنص، ويعرفه تفاصيل باطن الأمر لنفر عنه وأتهمه، ولم يقبل قوله، ولم ينجذب إلى تصديقه، فكان أولى الأمور في حكم السياسة، وتدبير الناس أن يجيب بما لا ينفر منه، ولا مطعن عليه فيه.[١]

قال: قام إليه عليه السلام رجل فقال: أخبرنا عن الفتنة، هل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: إنه لما انزل الله سبحانه: ﴿**الم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا أمنا وهم لا يفتنون**﴾، علمت أن الفتنة لا تنزل بنا، ورسول الله بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله أوليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وحيزت عني الشهادة، فشق ذلك عليّ، فقلت لي: ابشر إن الشهادة من وراءك، فقال: إن ذلك كذلك، فكيف صبرك إذاً؟ فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن الشكر، وقال: يا علي إن القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية، فيستحلون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع.

فقلت: يا رسول الله، بأي المنازل أنزل عند ذلك، أمنزلة فتنة أم بمنزلة رده؟

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٠/٩.

قال: بمنزلة فتنة.[١]

قال في الشرح: روى كثير من المحدثين عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين، كما كتب عليّ جهاد المشركين، قال فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي كتب عليّ فيها الجهاد؟ قال: قوم يشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأني رسول الله، وهم مخالفون للسنة، فقلت: يا رسول الله، فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟ قال: على الأحداث في الدين، ومخالفة الأمر، فقلت: يا رسول الله، إنك وعدتني الشهادة، فأسأل الله أن يجعلها بين يديك. قال: فمن يقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين، أنا إنما وعدتك الشهادة، وستستشهد، تضرب على هذه فتخضب هذه، فكيف صبرك إذاً؟ فقلت: يا رسول الله، ليس ذا بموطن صبر، هذا موطن شكر، قال: أجل، أصبت، فأعد للخصومة، فإنك مخاصم، فقلت: يا رسول الله، لو بينت لي قليلاً، فقال: إن أمتي ستفتتن من بعدي، فتتأول القرآن، وتعمل بالرأي، وتستحل الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع، ويحرف الكتاب عن موضعه، وتغلب كلمة الضلال، فكن جليس بيتك حتى تقلدها، فإذا قلدتها جاشت عليك الصدور، وقلبت لك الأمور، تقاتل حينئذ على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيلة، فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٥/٩.

فقلت: يا رسول الله، فبأي المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك؟ أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردة؟ فقال: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل، فقلت: يا رسول الله، أيدركهم العدل منا أم من غيرنا؟ قال: بل منا، بنا فتح الله، وبنا يختم، وبنا ألف الله بين القلوب بعد الشرك، وبنا يؤلف بين القلوب بعد الفتنة.

فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله.[1]

قال: وقوله عليه السلام ليس هذا من مواطن الصبر، كلام عال جداً يدل على يقين عظيم، وعرفان تام، ونحوه قوله وقد ضربه ابن ملجم فزت ورب الكعبة.

قال: يقال إنه عليه السلام لما استنجد بالمسلمين عقيب يوم السقيفة، وما جرى فيه، وكان يحمل فاطمة عليها السلام ليلاً على حمار وأبناها بين يدي الحمار، وهو عليه السلام يسوقه، فيطرق بيوت الأنصار وغيرهم، ويسألهم النصرة والمعونة، أجابه أربعون رجلاً، فبايعهم على الموت، وأمرهم أن يصبحوا بكرة، محلقي رؤوسهم، ومعهم سلاحهم، فأصبح لم يوفقه منه إلاّ أربعة الزبير، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان، ثم أتاهم من الليل فناشدهم، فقالوا نصحبك غدوة، فما جاء منهم إلاّ أربعة، وكذلك في الليلة الثالثة، وكان الزبير أشدهم له نصرة، وأنفذهم في طاعته بصيرة، حلق رأسه، وجاء مراراً في عنقه سيفه، وكذلك الثلاثة الباقون إلاّ أن الزبير هو كان الرأس فيهم.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠٦/٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤/١١.

قال: قال أبو جعفر: إن الأنصار لما فاتها ما طلبت من الخلافة فقالت أو قال بعضها لا نبايع إلاّ علياً، قال: وذكر نحو هذا علي بن عبد الله بن عبد الكريم المعروف بإبن الأثير الموصلي في تاريخه قال: فأما قوله لم يكن لي معين إلاّ أهل بتي، فضننت بهم عن الموت، فقال: ما زال عليه السلام يقول ولقد قال عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: لو وجدت أربعين ذوي عزم، ذكر ذلك نصر بن مزاحم في كتاب صفين.[1]

وقال: وروى يونس بن حباب، عن انس بن مالك، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب معنا، فمررنا بحديقة، وقال علي: يا رسول الله ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة، فقال: إن حديقتك في الجنة أحسن منها حتى مررنا بسبع حدايق، يقول علي ما قال، ويجيبه رسول الله صلى الله عليه وآله ما أجابه، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف فوقفنا، فوضع رأسه على رأس علي وبكى، فقال علي عليه السلام: وما يبكيك يا رسول الله؟ قال: ضغائين في صدور قوم، لا يبدونها لك حتى يفقدوني، قال يا رسول الله، أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراهم؟ قال: بل تصبر، قال: فإن صبرت؟ قال: تلاقي جهداً، قال: في سلامة من ديني؟ قال نعم، قال: فإذاً لا أبالي.

قال عليه السلام: إن لنا حقاً إن نعطاه نأخذه.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٧/٤.

الباب
الثامن والأربعون
في تظلمه ممن تقدم في خطبته الشقشقية
وهو نص في الباب

ابن أبي الحديد قال ومن خطبة له ﷺ تعرف بالشقشقية: أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جداء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجا، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً.[1]

وقال في الشرح: سدلت دونها ثوباً، أي أرخيت، يقول ضرب ضربت بيني وبينها حجاباً، فعل الزاهد فيها، والراغب عنها، وطويت عنها كشحاً، أي قطعتها وضرمتها، وهو مثل، قالوا لأن من كان إلى جانبك الأيمن مثلاً، فطويت كشحك الأيسر، فقد ملت عنه، والكشح ما بين الخاصرة والجنب، وعندي أنهم أردأوا غير ذلك، وهو أن من أجاع نفسه، فقد طوى كشحه، كما أن من

[1] - نهج البلاغة ٣٠/١.

أكل وشبع، فقد ملأ كشحه، فكأنه أراد أني أجعت نفسي عنها، ولم أتمها، واليد الجذاء - بالدال المهملة وبالذال المعجمة والحاء المهملة مع الذال المهملة- كلمة بمعنى المقطوعة، والطخية قطعة من الغيم والسحاب، وقوله عما تأكيد لظلام الحال واسودادها، يقولون مفازة عمياء، أي يعمى فيها الدليل، ويكدح ويسعى ويكد مع مشقة، قال الله تعالى: ﴿**إنك كادح إلى ربك كدحاً**﴾،[١] وهاتا بمعنى هذه، ها للتنبيه، وتا للإشارة، ومعنى تا ذي، وهذا أحجى من كذا أي أليق بالحجى، وهو العقل، وفي هذا الفصل من باب البديع في علم البيان عشرة ألفاظ:

أولها: قوله لقد تقمصها، أي جعلها كالقميص مشتملة عليه، والضمير للخلافة، ولم يذكر للعلم، كقوله سبحانه: ﴿**حتى توارت بالحجاب**﴾،[٢] وكقوله: ﴿**كل من عليها فان**﴾،[٣] وكقول حاتم شعر:

امأوي ما يغني الثراء عــن الـفتــى
إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدر

وهذه اللفظة مأخوذة من كتاب الله تعالى من قوله سبحانه: ﴿**ولباس التقوى**﴾،[٤] وقول النابغة شعر:

---

[١] - الانشقاق/٦.

[٢] - ص/٣٢.

[٣] - الرحمن/٢٦.

[٤] - الاعراف/٢٦.

تسربل سربالاً من النصر وأرتدى　　عليه بعصب فـي الكريهة فاصل

الثانية: قوله: ينحدر عني السيل، يعني رفعة منزلته عليه السلام، فكان في ذورة جبل أو بقاع مشرف، ينحدر السيل عنه إلى الوهاد والغيطان، قال الهذلي شعر:

وعيطاء يكثر فـيـهـا الزليل　　وينحدر عنه السيل انحدارا[1]

الثالثة: قوله عليه السلام ولا يرقى إليّ الطير، هذه أعظم في الرفعة والعلو من التي قبلها، لأن السيل ينحدر عن الرابية والهضبة، وأما تعذر في الطير فإنما يكون للقلال الشاهقة جداً، بل ما هو أعلى من القلال الجبال، كأنه يقول إني لعلو منزلتي، كمن في السماء التي يتسحيل أن يرقى الطير إليها، قال أبو الطيب شعراً:

فوق السماء وفوق ما طلبوا　　فإذا أرادوا غـأيـة نـزلـوا

وقال حبيب شعراً:

مكارم لجت فـي عـلـو كـأنـما　　تحاول ناراً عند بعض الكواكب[2]

الرابعة: قوله: سدلت دونها ثوباً، وقد ذكرناه.

الخامسة: قوله: وطويت عنها كشحاً، وقد ذكرناه أيضاً.

السادسة: قوله: أصول بيد جذاء، وقد ذكرناه.

السابعة: أأصبر على طخية عمياء، وقد ذكرناه أيضاً.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥١/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٢/١.

الثامنة: قوله: وفي العين قذى، أي صبرت على مضض ورمض، كما يصبر الأرمد.

التاسعة: قوله: وفي الحلق شجا، وهو ما يعترض في الحلق، كما يصبر من عض بأمر فهو يكابد الحنق.[١]

العاشرة: قوله: أرى تراثي نهباً، كنى عن الخلافة بالتراث، وهو الموروث من المال، فأما قوله إن محلي منها محل القطب من الرحا، فليس من هذا النمط الذي نحن فيه، ولكنه تشبيه محض، خارج من باب الاستعارة والتوسيع، يقول كما أن الرحا لا تدور إلاّ على القطب، ودورانها بغير قطب لا ثمرة له ولا فائدة فيه، كذلك نسبتي إلى الخلافة، فإنها لا تقوم إلاّ بي، ولا يدور أمرها إلاّ عليّ، هكذا فسروه، وعندي أنه أراد أمراً آخر، وهو أني في الخلافة في الصميم، وفي وسطها وبحبوتها، كما أن القطب دائرة الرحاء.[٢]

وأما قوله: يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، فيمكن أن يكون من باب الحقايق، ويمكن أن يكون من باب المجازت والاستعارات، فإنهن يعني به طول مدة، وولاية المتقدمين عليه، فإنها مدة يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، وأما الثاني فإنه يعني بذلك صعوبة تلك الأيام حتى أن الكبير من

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٣/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٣/١.

الناس يكاد يهرم لصعوبتها، والصغير يشيب من أهوالها، كقولهم هذا أمر يشيب له الوليد، وإن لم يشيب على الحقيقة.[١]

وأعلم أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، وتقديره ولا يرقى إليّ الطير، فطفقت أرتأي بين كذا وكذا، فرأيت أن الصبر على هد أحجى، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وصبرت وفي العين قذى، إلى آخر الفصل، لأنه لا يجوز أن يسدل دونها ثوباً، ويطوي عنها كشحاً، ثم يطفق يرتأي بين أن ينابذهم أو يصبر، ألا ترى أنه إذا سدل دونها ثوباً، وطوى عنها كشحاً، فقد تركها وصرمها، ومن يترك ويصرم لا يرتأي في المنابذة، والتقديم والتأخير طريق لاحب، وسبيل مهيع في لغة العرب، قال: ﴿**سبحان الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً**﴾،[٢] أي انزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً، وهذا كثير.[٣]

وقوله عليه السلام: حتى يلقي ربه -بالوقف والاسكان- كما جاءت به الرواية، وهو من قوله سبحانه ﴿**ذلك لمن خشي ربه**﴾ بالوقف أيضاً، وابن أبي قحافة المشار إليه هو أبو بكر، واسمه القديم عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله عبد الله، واختلفوا في عتيق، فقال كان اسمه في الجاهلية، وقيل بل سماه رسول الله صلى الله عليه وآله، واسم أبي قحافة عثمان، وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٤/١.

[٢] - الكهف/١- ٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٥/١.

سعد بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب، وأمه ابنة عم أبيه، وهي أم الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد.

لما أسلم أبو قحافة جاء ابنه أبو بكر إلى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وهو شيخ كبير رأسه كالنعامة البيضاء، فأسلم، فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: غيروا شيبه.

وولي ابنه الخلافة وهو حي منقطع في بيته، فقال: ورضيت بنو عبدمناف بذلك؟ قالوا: نعم، قال: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولم يل الخلافة من أبوه حي إلاّ أبو بكر، وأبو بكر عبد الكريم الطايع لله، ولي الأمر وأبوه الطايع حي خلع نفسه من الخلافة، وعهد بها إلى أبنه، والمنصور يسمي عبد الله بن الحسن بن الحسن أبا قحافة تهكماً به، لأن ابنه محمداً ادعى الخلافة وأبوه حي، ومات أبو بكر وأبو قحافة حي، فسمع الأصوات، فقيل مات إبنك، فقال: رزؤ جليل، وتوفى أبو قحافة في أيام عمر في سنة أربع عشرة للهجرة، وعمره سبع وتسعون سنة، وهي السنة التي توفى فيها نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم.[1]

إن قيل: بينوا لنا عما عندكم من هذا الكلام، أليس صريحه دالاً على تظليم القوم، ونسبتهم إلى اغتصاب الأمر، فما قولكم في ذلك إن حكمتم عليهم بذلك، فقد طعنتم فيهم، وإن لم تحلموا بذلك طعنتم في المتكلم عليهم، قيل: أما الإمامية من الشيعة فتجري هذه الألفاظ على ظواهرها، وتذهب إلى أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نص على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه غصب حقه.

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٥/١.

وأما أصحابنا فلهم أن يقولوا أنه لما كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الأفضل والأحق، وعدل عنه إلى من لا يساويه في فضل، ولا يوازيه في جهاد وعلم، ولا يماثله في سؤدد وشرف، وساغ اطلاق هذه الألفاظ، وان كان من وسم الخلافة قبله عدلاً تقياً، وكانت بيعته بيعة صحيحة، ألا ترى أن البلد قد يكون فيها فقيهان أحدهما أعلم من الآخر بطبقات كثيرة، فيجعل السلطان الأنقص علماً منهما قاضياً، فيتوجد الأعلم ويتألم، وينفث أحياناً بالشكوى، ولا يكون ذلك طعناً في القاضي، ولا تفسيقاً له، ولا حكماً منه بأنه غير صالح، بل العدول عن الأحق والأولى، وهذا أمر مركوز في طباع البشر، مجبول في أصل الغريزة والفطرة، فأصحابنا لما أحسنوا الظن بالصحابة، وحملوا على ما وقع منهم على وجه الصواب، وأنهم نظروا إلى مصلحة الإسلام، وخافوا فتنة لا تقتصر على ذهاب الخلافة فقط، بل وتقضي على ذهاب النبوة والملة، فعدلوا عن الأفضل الأشرف الأحق إلى فاضل أحق دونه، فعقدوا له، احتاجوا إلى تأويل هذه الألفاظ الصادرة عمن يعتقدونه في الخلافة والرفعة قريباً من منزلة النبوة، فتأولوها بهذا التأويل، وحملوها على التألم للعدول عن الأولى، وليس هذا بأبعد من تأويل الإمامية قوله تعالى: ﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾،[1] وقولهم معنى عصى أنه عدل عن الأولى، لأن الأمر بترك أكل الشجرة كان أمراً على سبيل الندب، فلما تركه آدم كان تاركاً للأفضل والأولى، فسمي عاصياً باعتبار مخالفة الأولى، وحملوا غوى على الغواية بمعنى الضلال،

---

[1] - طه/١٢١.

ومعلوم أن تأويل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على أنه شكى من تركهم الأولى أحسن من حمل قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه﴾ على أنه ترك الأولى.[1]

إن قيل: لا تخلو الصحابة إما أن تكون عدلت عن الأفضل لعلة ومانع في الأفضل أو لا لمانع، كان ذلك عقداً للمفضول بالهوى، فيكون باطلاً، وإن كان لمانع، وهو ما يدركونه من خوف الفتنة، وكون الناس يبغضون علياً عليه السلام ويحسدونه، فقد كان أن يعذرهم أمير المؤمنين عليه السلام في العدول عنه، ويعلم أن العقد لغيره هو المصلحة للإسلام، فكيف خسن منه أن يشكوهم بعد ذلك ويتوجد عليهم.

وأيضاً فما معنى قوله فطفقت أرتأي بين ان أصول على ما تأولتم به كلامه، فان تارك الأولى لا يصال عليه بالحرب.

قيل: يجوز أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام يغلب على ظنه على ما غلب على ظنون الصحابة من الشغب، وثوران الفتنة، والظنون تختلف باختلاف الأمارات، فرب انسان يغلب على ظنه أمر يغلب على ظن غيره خلافه، وأما قوله أرتأي بين أصول فيجوز أن يكون لم يعن به صيال الحرب، بل صيال الجدل والمناظرة، يبين ذلك أنه لو كان جادلهم، وأظهر ما في نفسه له، فربما خصموه بأن يقولوا له قد غلب على ظنوننا أن العناد يعظم ويتفاقم إن وليت الأمر، ولم يجوز مع غلبة ظنوننا لذلك أن نسلم الأمر إليك، فهو عليه السلام قال طفقت أرتأي أن أذكر لهم فضائلي عليهم، وأحاججهم بها فيجيبوني بهذا

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٦/١.

الضرب من الجواب الذي تصير به حجتي جذاء مقطوعة، لا قدرة لي على تشييدها ونصرتها، وبين أن أصبر على ما منيت به ودفعت إليه.[١]

إن قيل: إذا كان عليه السلام لم يغلب على ظنه وجود العلة والمانع فيه، وقد استراد الصحابة وشكاهم لعدولهم عن الأفضل الذي لا علة فيه عنده، فقد سلمتهم أنه ظلم الصحابة، ونسبهم إلى غصب حقه، فما الفرق بين ذلك وبين أن يظلمهم لمخالفة النص، وكيف هربتم من نسبته لهم إلى الظلم لدفع النص، وقعتم في نسبته لهم إلى الظلم، بخلاف الأولى من غير علة في الأولى، ومعلوم أن مخالفة الأولى من غير علة في الأولى، كتارك النص في كلا الموضعين يكون فاسداً.[٢]

قيل: الفرق بين الأمرين ظاهر، لأنه عليه السلام لو نسبهم إلى مخالفة النص، لوجب وجود النص، ولو كان موجوداً، لكانوا فساقاً أو كفاراً بمخالفته، وأما إذا نسبتم إلى ترك الأولى من غير علّة في الأولى، فقد نسبهم إلى أمر يدعون فيه خلاف ما يدعي عليه السلام، وأحد الأمرين لازم، لأنه وهو إما أن يكون ظنهم صحيحاً أو غير صحيح، فإن كان ظنهم هو الصحيح، فلا كلام في المسألة، وإن لم يكن ظنهم صحيحاً، كانوا كالمجتهد، إذا ظن وأخطأ، فإنه معذور، ومخالفة النص خارج عن هذا الباب، لأن مخالفه غير مقدور بحال، فأفترق المحملان.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٨/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٨/١.

لما مرض رسول الله ﷺ مرض الموت، دعا اسامة بن زيد بن حارثة، فلقال: سر إلى مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك على هذا الجيش، فإن ظفرك الله على العدو، فأقلل اللبث، وبث العيون، وقدم الطلائع، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلاّ كان في الجيش، منهم أو بكر وعمر، فتكلم قوم، وقالوا يستعمل هذا الغلام على جلة المهاجرين والأنصار، فغضب رسول الله ﷺ لما سمع، وخرج عاصباً رأسه، فصعد المنبر وعليه قطيفة، فقال: أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة، إن طعنتم في تأميري اسامة، لقد طعنتم في تأميري هباه من قبله، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة، وإن إبنه من بعده لخليقاً بها، وإنهما لمن أحب الناس إليّ، فأستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم، ثم نزل ودخل بيته، وجاء المسلمون يودعون رسول الله ﷺ، ويمضون إلى عسكر اسامة بالجرف، وثقل رسول الله ﷺ وأشتدّ ما يجده، فأرسل بعض نساءه إلى اسامة، وبعض من كان معه يعلمونهم ذلك، فدخل اسامة من معسكره والنبي ﷺ مغمور، وهو اليوم الذي لدوه فيه، فتطأطأ اسامة عليه فقبّله، ورسول الله ﷺ قد أسكت، فهو لا يتكلم، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها، واسامة كالداعي له، ثم أشار إليه بالرجوع إلى عسكره، والتوجه لما بعثه فيه، فرجع اسامة إلى عسكره، ثم أرسل نساء رسول الله ﷺ يأمرنه بالدخول، وقلن إن رسول الله ﷺ أصبح بارئاً، فدخل اسامة من عسكره يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، فوجد رسول الله ﷺ مفيقاً، فأمره بالخروج، وتعجيل النفوذ، وقال: أغد على بركة

الله، وجعل يقول: انفذوا جيش اسامة، ويكرر ذلك، فودع رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر وعمر، فلما ركب جاءه رسول أم أيمن، فقال: إن رسول الله يموت، فأقبل ومعه أبو بكر وأبو عبيدة، فأنتهوا إلى رسول الله ﷺ حين زوال الشمس من هذا اليوم، وهو يوم الاثنين، وقد مات، واللواء مع بريدة بن الحضيب، فدخل اللواء فركزه عند باب رسول الله ﷺ وهو مغلق، وعلي عليه السلام وبعض بني هاشم مشغولون بإعداد جهازه وغسله، فقال العباس وهما في الدار: امدد يدك، فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان، فقال له: أو يطمع فيها يا عم طامع غيري؟ قال: ستعلم، فلم يلبث أن جاءتهما الأخبار بأن الأنصار قد أقعدت سعداً لتبايعه، وأن عمر جاء بأبي بكر فبايعه، وسبق الأنصار بالبيعة، فندم علي عليه السلام على تفريطه في أمر البيعة وتقاعده، وأنشد العباس قول دريد شعر:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى

فلم يستبينوا النصح إلاّ ضحى الغد[1]

وتزعم الشيعة أن رسول الله كان يعلم موته، وأنه سيّر أبا بكر وعمر مع اسامة لتخلوا دار الهجرة منهما، فيصفوا الأمر لعلي عليه السلام، ويبايعه من تخلف من المسلمين بالمدينة على سكون وطمأنينة، فإذا جاءهم الخبر بموت رسول الله ﷺ وبيعة الناس لعلي عليه السلام بعده، كانا عن المنازعة والخلاف أبعد، لأن العرب كانت تلتزم تلك البيعة، وتحتاج في نقضها إلى حروب شديدة، فلم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٩/١.

يتم له ما قدر وتثاقل اسامة بالجيش أياماً مع حث رسول الله ﷺ على نفوذه، وخروجه بالجيش حتى مات ﷺ، وهما بالمدينة، فسبقا علياً إلى البيعة، وجرى ما جرى.

وهذا عندي غير منقدح، لأنه إن كان ﷺ يعلم موته، فهو أيضاً يعلم أن أبا بكر سيلي الخلافة، وما يعلمه لا يحترس منه، وإنما هذا يتم ويتضح إذا فرضنا أنه عليه السلام كان يظن موته، ولا يعلم حقيقة، ويظن أن أبا بكر وعمر يتمالآن على ابن عمه، ويخاف وقوع ذلك منهما، ولا يعلمه حقيقة، فيجوز إن كانت الحال هكذا أن ينقدح هذا التوهم، ويتطرق هذا الظن، كالواحد منا له ولدان يخاف من أحدهما أن يتغلب بعد موته على جميع ماله، ولا يوصل أخاه إلى شيء من حقه، فإنه قد يخطر له عند مرضه الذي يتخوف فيه أن يأمر الولد المخوف جانبه بالسفر إلى بلد بعيد في تجارة يسلمها إليه، يجعل ذلك طريقاً إلى دفع تغلبه على الولد الآخر.[1]

قال الاصل: حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده، شعر:

شتان ما يومي على كورها ويــــوم حيان أخي جابر

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء، يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦١/١.

الصعبة إن شنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض، فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة.[١]

قال في الشرح: مضى لسبيله، مات، والسبيل الطريق، وتقديره مضى على سبيله، ويجيء باللام بمعنى على، كقوله مصراع، فخر صريعاً لليدين وللفم.

وقوله: فأدلى بها من قوله تعالى: ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام**﴾،[٢] أي لا تدفعوها إليهم رشوة، وأصله من أدلى الحبل في البير أرسلتها.[٣]

فإن قلت: إن أبا بكر إنما دفعها إلى عمر حين مات، لا معنى للرشوة عند الموت.

قلت: لما كان عليه السلام يرى أن العدول بها عنه إلى غيره إخراج إلى غير جهة الإستحقاق، شبّه ذلك بإدلاء الإنسان بماله إلى الحاكم، فإنه إخراج للمال إلى غير وجهه، فكان ذلك من باب الاستعارة، وابن الخطاب أبو حفص عمر، وأبوه الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن فرط بن رزاح

---

[١] - نهج البلاغة ٣٢/١.

[٢] - البقرة/١٨٨.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٢/١.

بن عدي بن كعب بن لوي بن غالب، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

لما احتضر أبو بكر فقال للكاتب: أكتب هذا ما عهد عبد الله بن عثمان آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة في الساعة التي يبر فيها الفاجر، ويسلم فيها الكافر، إلى، ثم أغمي عليه، فكتب الكاتب: عمر ابن الخطاب، ثم أفاق فقال أقواماً كتبت، فقرأه، وذكر اسم عمر، فقال: أنى لك هذا؟ قال: ما كنت لتعدوه، فقال: أصبت، ثم قال: أتم كتابك، قال: ما أكتب، وحيث أجال رأيه، وأعمل فكره، فرأى أن هذا الأمر لا يصلح آخره إلاّ بما يصلح به أوله، ولا يحتمله إلاّ أفضل العرب مقدرة، وأملكهم لنفسه، وأشدهم في حال الشدة، وأسلسهم في حال الدين، وأعلمهم برأي ذوي الرأي، لا يتشاغل بما لا يعنيه، ولا يحزن لما لم ينزل به، ولا يستحي من التعلم، ولا يتحير عند البديهة، قوي على الأمور، لا يجوز لشيء منها حده عدواناً ولا تقصيراً، يرصد لما هو آت عتاده من الحذر.

فلما فرغ من الكتاب دخل عليه قوم من الصحابة من منهم طلحة، فقال له: ما أنت قايل لربك غداً، وقد وليت علينا فظاً غليظاً، تفرق منه النفوس، وتنفض عنه القلوب، فقال أبو بكر: اسندوني اسندوني، وكان مستلقياً فأسندوه، فقال لطلحة: أبالله تخوفني، إذا قال لي ذلك غداً، قلت: وليت عليهم خير أهلك، ويقال إن أصدق الناس فراسة ثلاثة، العزيز في قوله لإمرأته عن يوسف عليه السلام أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا، وإبنة شعيب التي قالت لأبيها عن

موسى عليه السلام يا أبت أستأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، وأبو بكر في عمر.[١]

وروى كثير من الناس أن أبا بكر لما نزل به الموت، دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر؟ فقال: إنه أفضل من رابك إلاّ أنه فيه غلظة، فقال أبو بكر: ذاك لأنه يراني رفيقاً، ولو أفضى إليه الأمر لترك كثيراً مما هو عليه، وقدر مقته إذا أنا غضبت على رجل أراني الرضا عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه، ثم دعا عثمان بن عفان، فقال: أخبرني عن عمر؟ فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله، فقال لهما: ألا تذكرا مما قلت لكما شيئاً، ولو تركت عمر لما عدوتك يا عثمان، والخيرة لك أن لا تلي من أمورهم خلواً، وكنت فيمن مضى من سلفكم، ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر، فقال: إنه بلغني يا خليفة رسول الله استخلفت على الناس عمر، ولقد لقيت ما يرى الناس منه وأنت معه، فكيف به إذا خلا بهم، وأنت غداً لاق ربك، فسألك عن رعيتك، فقال أبو بكر اجلسوني اجلسوني، ثم قال ابالله تخوفني إذا لقيت ربي فسألني، قلت: استخلفت عليهم خير أهلك، فقال طلحة: أعمر خير الناس يا خليفة رسول الله!

فأشتد غضبه، وقال: أي والله هو خيرهم، وأنت شرهم، أما والله لو وليتك لجعلت ازدك في قفاك ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذي يضعها، أتيتني وقد دلكت عينك تريد أن تفتني عن ديني، وتزيلني عن رأيي،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٣/١.

قم لا أقام الله رجليك، أما والله لئن عشت فواق ناقة، وبلغني أنك غمضته فيها أو ذكرته بسوء لألحقنك بمحمضات قنة حيث كنتم تسقون ولا تروون، وترعون ولا تشبعون، وأنتم بذلك الحجون راضون، فقام طلحة فخرج.

ثم حضر أبو بكر عثمان وهو يجود بنفسه فأمره أن يكتب عهداً وقال أكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد عبد الله بن عثمان إلى المسلمين، أما بعد: ثم أغمى عليه، فكتب عثمان قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، وأفاق أبو بكر فقال أقرأ ما كتبت، فكبر أبو بكر وسر، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في عشيتي، قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، ثم أتم العهد، وأمر أن يقرأ على الناس فقرأ، ثم أوصى عمر، فقال له: إن لله حقا بالليل لا يقبله في النهار، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل نافلة ما لم تؤد إلى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من اتبع مع ثقله عليه، وإنما خفت موازين من اتبع الباطل لخفته عليه، إنها أنزلت آية الرخاء مع آية الشدة لئلا يرغب المؤمن رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولئلا يرهب رهبة يلقي فيها بيده، فإن حفظت وصيتي، فلا يكن غائب أحب إليك من الموت، ولست بمعجزه، ثم توفى أبو بكر.

دعا أبو بكر عمر يوم موته بعد عهده إليه، فقال له: إني لأرجو أن أموت في يومي هذا، فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى بن حارثة، وإن تأخرت إلى الليل، فلا تصبحن حتى تندب الناس معه، ولا تشغلنكم مصيبة

عن دينكم، وقد رأيتني متوفى رسول الله كيف صنعت، وتوفى أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الأخرى من سنة ثلاث عشر.[1]

وأما البيت الذي تمثل به عليه السلام فإنه للأعشى الكبير، أعشى قيس، وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل، من القصيدة التي قالها في منافرة علقم بن علاثة، وعامر ابن الطفيل وأولها:

علقم ما أنت إلى عاصم الناقض الأوتار والـواتر

يقول فيها:

وقد اسلى الهم إذ يعترى بجسرة دوسـرة عـقـــار

زيــافــة بــالـرحل خطارة تلوي بشـرخي ميسة قاتر

شرخا الرجل مقدمه وموخره، والميس شجر يتخذ منه الرحال، ورحل قاتر، جيد الوقوع على ظهر البعير، شعر:

شتان مـا يومي على كـورها ويـوم حـيـــان أخي جابر

أرمـي بها البيداء إذ هجرت وأنــت بـين القـرو والعاصر

في مــجــدل قد شيد بنيانه يــزل عــنــه ظـفــر الطاير[2]

تقول: شتان ما هما، وشتان هما، ويجوز ما بينهما إلاّ قول ضعيف، وشتان أصله شتت، كوشكان ذا خروجاً من وشك، وحيّان وجابر ابنا السمين الحنفيان، وكان حيان صاحب شراب ومعاقرة خمر، وكان نديم الأعشى،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٤/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٦/١.

وكان أخوه جابر أصغر سناً منه، فيقال إن حيان قال للأعشى نسبتي إلى أخي وهو أصغر سناً مني، فقال: إن الراوي اضطرني إلى ذلك، فقال: والله لأنازعنك كأساً أبداً ما عشت، يقول شتان يومي وأنا في الهاجرة والرمضاء أسير على كور هذه الناقة، ويوم حيان وهو في دسكرة الشراب، ناعم البال مرفه من الأكدار والمشاق، والقرو شبه حوض يتخذ من جدع أو من شجرة نبيذ فيه، والعصر الذي يعتصر العنب، والمجدل الحصن الحصين المانع.[1]

وشبيه بهذا المعنى قول الفضل بن الربيع في أيام فتنة الأمين يذكر حاله وحال أخيه المأمون إنما نحن شعب من أصل، إن قوي قوينا، وإن ضعف ضعفنا، وإن هذا الرجل قد ألقى بيده القاء الأمة الوكعاء، يشاور النساء، ويقدم على الرؤيا، قد امكن أهل الخسارة واللهو من سمعه، فهم يمنونه الظفر، ويعدونه عقب الأيام، والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل، ينام نوم الظربان، وينتبه انتباه الذئب، همته بطنه وفرجه، لا يفكر في زوال نعمة، ولا يروي في امضاء رأي ولا مكيدة، قد شمر له عند الله عن ساقه، وفوق إليه أسد سهامه، يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ، والموت القاصد، قد عبأ له المنايا على متون الخيل، وناضله البلايا بأسنة الرماح، وشفار السيوف، فهو كما قال الشاعر:

لشتان مـا بيـنـي وبين ابن خالد   أمية فـي الرزق الذي الله يقسم
يـقـارع أتراك ابن خاقان لـيـلـة   إلى أن يرى الإصباح لا يـتـلـعثم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٧/١.

وآخذها حمراء كالمسك ريحها لـهـا أرج مـن دنـهـا يـتـنسم

فيصبح من طول الطراد وجسمه نحيل وأضحى في النعيم اصـمـم

وأمية المذكور في هذا الشعر، هو أمية بن عبد الله بن خالد بن اسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، كان والي خراسان، وحارب الترك، والشعر للبعيث.[١]

يقول أمير المؤمنين شتان بين يومي في الخلافة مع ما انتقض عليّ من الأمر، ومنيت به من انتشار الحبل، واضطراب أركان الخلافة، وبين يوم عمر حيث وليها على قاعدة ممهدة، وأركان ثابتة، وسكون شامل، فأنتطم أمره، وأطرد حاله، وسكنت أيامه.[٢]

قوله عليه السلام: فيا عجباً، أصله فيا عجبي، كقولك يا غلامي، ثم قلبوا الياء فقالوا: يا عجباً كقولهم يا غلاماً، فإن وقفت وقفت على ها السكت، فقلت يا عجباه ويا غلاماه، قال العجب منه، وهو يستقيل المسلمين من الخلافة أيام حياته، فيقول: أقيلوني، ثم يقعدها عند وفاته لآخر، وهذا يناقض الزهد فيها لاستقالته منها، وقال شاعر الشيعة شعراً:

حملوها يـوم السقيفة أوزاراً تخف الجبال وهـي ثـقـال

ثم جاؤا من بعدها يستقيلون وهـيـهـات عـثـرة لا تقال[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٧/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٨/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٨/١.

وقد اختلفت الرواية في هذه اللفظة، فكثير من الناس رواها أقيلوني فلست بخيركم، ومن الناس من أنكر هذه اللفظة، ولم يروها، فإنما روى قوله وليتكم ولست بخيركم، وأحتج بذلك من لم يشترط الأفضلية في الإمامة، ومن رواها اعتذر لأبي بكر، فقال إنما قال اقيلوني ليثور ما في النفوس من بيعته، ويخبر ما عندهم من ولايته، فيعلم مريدهم وكارههم، ومحبهم ومبغضهم، فلما رأى النفوس إليه ساكنة، والقلوب لبيعته مذعنه، استمر على إمارته، وحكم حكم الخلفاء في رعيته، ولم يكن منكراً منه أن يعهد إلى من استصلحه لخلافته.[1]

قال: وقد جرى مثل ذلك لعلي عليه السلام فإنه قال للناس بعد قتل عثمان دعوني والتمسوا غيري، فأنا لكم وزيراً خير مني لكم أميراً، وقال لهم أتركوني فأنا كأحدكم، بل أنا أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، فأبوا عليه وبايعوه، فكرهها أولاً، ثم عهد بها إلى الحسن عند موته.[2]

قالت الإمامية: هذا غير لازم، والفرق بين الموضعين ظاهر، لأن علياً عليه السلام لم يقل إني لا أصلح، ولكنه كره الفتنة، وأبو بكر قال كلاماً معناه أني لا أصلح لها، لقوله لست بخيركم، ومن نفي عن نفسه صلاحيته للإمامة لا يجوز له أن يعهد بها إلى غيره.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٩/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٩/١.

وأعلم أن الكلام في هذا الموضع مبني على أن الأفضلية هل هي شرط في الإمامة أم لا؟ وقد تكلمنا في شرح الغرر لشيخنا أبو الحسين البصري في هذا البحث بما لا يحتمله هذا الكتاب.[١]

وقوله عليه السلام: لشد ما تشطر ضرعيها، شدّ أصله شدد، كقولك حب في حبذا، أصله حبب، ومعنى شد سار شديداً، ومتى حبّ صار حبيباً جداً، قال البختري شعراً:

أشد ما أغريت ظلوم بهجري   بعد وجدي بـها وقلة صبري

وللناقة أربعة أخلاف، خلفان قادمان، وخلفان آخران، وكل اثنين منهما شطر، وتشطر ضرعيها اقتسما فائدتها ونفعها، والضمير للخلافة، وسمي القادمين معاً ضرعاً، وسمي الآخر معاً ضرعاً، لما كان لتجاورهما، وكونهما لا يجلبان إلاّ معاً كشيء واحد.[٢]

قوله عليه السلام: فجعلها في حوزة خشناء: أي في جهة صعبة المرام، شديدة الشكيمة، والكلم الجرح، وقوله يغلظ، من الناس من قال كيف قال يغلظ كلمها، والكلم لا يوصف بالغلظ، وهذا قلة فهم بالفصاحة، ألا ترى كيف قد وصف الله سبحانه العذاب بالغلظ، فقال: ﴿**ونجيناهم من عذاب غليظ**﴾، أي متضاعف، لأن الغليظ من الأجسام، هو ما كثف وجسم، فكان أجزاؤه وجواهره متضاعفة، فلما كان العذاب - أعاذنا الله منه- متضاعفاً سمي غليظاً

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٩/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/١.

وكذلك الجرح إذا أمعن وعمق، فكأنه قد تضاعف وصار جروحاً، فسمي غليظاً.

إن قيل: قد قال عليه السلام في حوزة خشناء، فوصفها بالخشونة، فكيف أعاد ذكر الخشونة ثانية، يخشن مسها؟

قيل: الاعتبار مختلف، لأن مراده بقوله في حوزة خشناء، أي لا ينال ما عندها ولا يرام، يقال: إن فلاناً لخشن الجانب، ووعر الجانب، ومراده بقوله يخشن مسها، أي تؤذي وتضر وتنكيء من يمسها، يصف جفاء أخلاق الوالي المذكور، ونفور طبعه، وشدة بادرته.[1]

قوله عليه السلام: ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، يقول ليست هذه الجهة جدداً مهيعاً، بل هي كطريق كثير الحجارة، لا يزال الماشي فيه عاثراً، وأما منها في قوله والاعتذار منها، فيمكن أن تكون من على أصلها، يعني إن عمر كان كثيراً ما يحكم بالأمر، ثم ينقضه، ويفتي بالفتيا ثم يرجع عنها، ويعتذر مما أفتى به أولاً، ويمكن أن تكون من هاهنا للتعليل والسببية، أي يكثر اعتذار الناس عن أفعالهم وحركاتهم لأجلها، قال:

أمن رسم دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشؤون وكيف

أي لأجل أن رسم المربع والمصيف هذه الدار، وكف دمع عينيك، والصعبة من النوق، ما لم تركب، ولم ترض، إن أشنق لها راكبها بالزمام خرم أنفها، وإن أسلس تقحم في المهالك، فألقته في مهواه، أو ماء أو قار أو نار، أو

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٠/١.

ندت فلم تقف حتى ترديه عنها فيهلك، وأشنق الرجل ناقته، إذا كفها بالزمام وهو راكبها، واللغة المشهورة شنق ثلاثية، وفي الحديث أن طلحة انشد قصيدة فما زال شانقاً راحلته حتى كتبت له، وأشنق البعير نفسه، إذا رفع رأسه، يتعدى ولا يتعدى، وأصله من الشناق، وهو خيط يشد به فم القربة.

وقال الرضي رحمه الله: إنما قال عليه السلام اشنق لها، ولم يقل انشقها، لأنه جعل ذلك في مقابلة قوله أسلس لها، وهذا حسن، فإنهم إذا قصدوا الإزواج في الخطابة فعلوا مثل هذا، قال العذايا والعشايا، الاصل العذوان، وإن جمع عذوة وقال صلى الله عليه وآله: ارجعن مأزورات غير مأجوارت، وأصله موزورات - بالراء- من الوزر.[1]

قال الرضي رحمه الله: ومما يشهد على اشنق بمعنى شنق، قول عدي بن زيد العبادي بيت:

ساءها ما لها تبين في الأيدي   واشـنـاقـهـا إلى الأعناق[2]

قلت: تبيّن في هذا البيت فعل ماضي، تبين يتبين، واللام في لها يتعلق بتبين، يقول ظهر لها ما في أيدينا فسآها، وهذا البيت من قصيدة أولها:

ليس شيء على المنون بباق   غير وجـه المسبح الخلاق.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١/١٧١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١/١٧١.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١/١٧١.

وقال الرضي رحمه الله: ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله خطب الناس، وهو على ناقة، وقد شنق لها، وهي تقصع بجرتها.

قلت: الجرة ما يعلو من الجوف، وتجتره الإبل، والدر ما تسفل، وتقصع بها، تدفع.

وقد كان للرضي رحمه الله إذا كانت الرواية قد وردت هكذا أن يحتج بها على جواز اشنق لها، فإن الفعل في الخبر قد عدي باللام لا بنفسه.[1]

وقوله عليه السلام: فمني الناس أي: بلي الناس، قال: منيت بزمردة كالعصا، والخبط السير على غير جادة، والشماس النفاد، والتلون التبدل، والاعتراض السير لا على خط مستقيم، كأنه يسير عرضاً في غضون سيره طولاً، وإنما يفعل ذلك البعير الجامح الخابط، وبعير عرضي، يعترض في مسيره، لأنه لم يتم رياضته، وفي فلان عرضية، أي عجز فيه وصعوبة، وكان عمر صعباً، عظيم الهيبة، شديد السياسية، لا يحابي أحداً، ولا يراقب شريفاً ولا مشروفاً، وكان أكابر الصحابة يتحامون، ويتفادون من لقائه.

كان أبو سفيان بن حرب في مجلس عمر، وهناك زياد بن سمية، وكثير من الصحابة، فتكلم زياد، فأحسن وهو يومئذ غلام، فقال علي عليه السلام وكان حاضراً لأبي سفيان وهو إلى جانبه، لله هذا الغلام، لو كان عربياً لساق العرب بعصا، فقال له أبو سفيان: أما والله لو عرفت أباه لعرفت أنه من خير أهلك، قال:

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧١/١.

ومن أبوه؟ قال: أنا والله وضعته في رحم أمه، فقال علي عليه السلام: فما يمنعك من استلحاقه، فقال: أخاف هذا العير الجالس أن يخرق عليّ اهابي.[1]

وقيل لابن عباس لما اظهر قوله في العول بعد موت عمر ولم يكن قبل يظهره، هلا قلت هذا وعمر حي، قال: هبته، وكان أمرءاً مهيباً.

واستدعا عمر امرأة ليسألها عن أمر، وكانت حاملاً، فلشدت هيبته ألقت ما في بطنها ميتاً، فاستفتى عمر أكابر الصحابة في ذلك، قالوا لا شيء عليك، إنما أنت مؤدب، فقال له عليه السلام: إن كانوا راقبوك، فقد غشوك، وإن كان هذا جهد منهم، فقد اخطاؤا، عليك غرة، يعني عتق رقبة، فرجع عمر وأصحابه إلى قوله.

وعمر هو الذي شيد بيعة أبي بكر، ورقم المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لما جرده، ودفع في صدر المقداد، ووطيء في السقيفة سعد بن عبادة، وقال اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، وحطم أنف الخباب بن المنذر، وهو الذي قال يوم السقيفة أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، وتوعد من لجأ إلى بيت فاطمة عليها السلام من الهاشميين، وأخرجهم منها، ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمر، ولا قامت له قائمة، وهو الذي ساس العمال، وأخذ أموالهم في خلافته، وذلك من أحسن السياسيات.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٣/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٣/١.

روى الزبير ابن بكار قال: قال لما قلد عمر عمرو بن العاص مصراً، بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق وصامت، فكتب إليه: أما بعد: فقد ظهر لي من مالك ما لم يكن في رزقك، ولا كان لك مال قبل أن استعملك، فأنى لك هذا، فوالله لو لم يهمني في ذات الله إلاّ من اختان في مال الله، لكثر همي، وأنتشر أمري، ولقد كان عندي من المهاجرين من الأولين هو خير منك، ولكنني قلدتك رجاء غنائك، فأكتب إليّ من أين لك هذا المال، وعجل.

فكتب إليه عمرو، أما بعد: فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين، فأما ما ظهر لي من مال، فإنا قدمنا بلاداً رخيصة الأسعار، وكثيرة الغزو، فجعلنا ما أصبنا من الفضول التي اتصل بأمير المؤمنين نبؤها، والله لو كانت خيانتك حلالاً ما خنتك، وقد ائتمنتني، فإن لنا احساباً إذا رجعنا إليها اغنتنا عن خيانتك، وذكرت األن عندك من المهاجرين والأنصار هو خير مني، فاذا كان ذاك، فوالله ما دققت لك يا أمير المؤمنين باباً، ولا فتحت لك قفلاً.

فكتب إليه عمر، أما بعد: فإني ليست من تسطيرك الكتاب، وتشقيقك الكلام في شيء، ولكنكم معشر الأمراء قعدتم على عيون الأموال، ولن تعدموا عذراً، وإنما تأكلون النار، وتتعجلون العار، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة فسلم إليه شطر مالك، فلما قدم محمد صنع له عمر طعاماً ودعاه فلم يأكل، وقال هذه تقدمة الشر، ولو جئتني بطعام الضيف لأكلت، فنح عني طعامك، وأحضر لي مالك فاحضره، فأخذ شطره، فلما رأى عمرو كثرة مأ أخذه منه قال: لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر، والله لقد رأيت عمر وأباه على كل

واحد منهما عباءة قطوانية، لا تجاوز مأبض ركبتيه، وعلى عنقه حزمة حطب، والعاص ابن وايل في مزررات الديباج، فقال محمد: ايهاً عنك يا عمرو، فعمر خير منك، وأما أبوك وأبوه فإنهما في النار، ولولا الإسلام لألفيت معتلفا شاة، يسرك غررها، ويسوؤك بكوؤها، قال: صدقت، فأكتم عليّ، قال: أفعل.[١]

أسلم عمر بعد جماعة من الناس، وكان سبب اسلامه أن أخته وبعلها أسلما سراً من عمر، فدخل إليهما خباب بن الارت يعلمهما الدين خفية، فوشى بهم واش إلى عمر، فجاء دار أخته، فتوارى حباب منه داخل البيت، فقال عمر: ما هذه الهينمة عندكم؟ قالت أخته: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا، قال: أراكما قد صبوتما، قال ختنه: أرأيت إن كان هو الحق، فوثب عليه عمر فوطأه وطأ شديداً، فجاءت اخته فدفعته عنه، فنفخها بيده، فأدمى وجهها، ثم ندم ورق، وجلس واجماً، فخرج إليه حباب فقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه لك الليلة، فإنه لم يزل يدعو منذ الليلة، اللهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام، قال: فانطلق عمر متقلداً بسيفه حتى أتى الدار التي فيها رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه يومئذ، وهي الدار التي في أصل الصفا وعلى الباب حمزة وطلحة، وناس من المسلمين، فوجد القوم من عمر إلاّ حمزة فإنه قال جاءنا عمر، فإن يرد الله به خيراً بهذه، وإن يزد به غير ذلك كان قتله علينا هيناً، والنبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه داخل الدار يوميء إليه كلامهم، فخرج حتى أتى عمر فأخذ مجامع ثوبه وحمايل سيفه، وقال: ما أنت بمنته يا عمر حتى

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١/١٧٤.

ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة، فقال عمر: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

كان الناس بعد رسول الله ﷺ يأتون الشجرة التي كانت بيعة الرضوان تحتها، فيصلون عندها، فقال عمر: أراكم أيها الناس رجعتم إلى العزى واللات، لا أوتي بأحد عاد لمثلها إلاّ قتلته بالسيف كما يقتل المرتد، ثم أمر بها فقطعت.

لما مات رسول الله ﷺ وشاع بين الناس موته، طاف عمر على الناس قائلاً إنه لم يمت، ولكنه غاب عنا كما غاب موسى عن قومه، وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، يزعمون أنه مات، فجعل لا يمر بأحد يقول إنه مات إلاّ ويخبطه، ويتوعده حتى جاء أبو بكر فقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لم يمت، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أفأمن مات أو قتلت انقلبتم على اعقابكم﴾.[١]

قالوا: فوالله لكأن الناس ما سمعوا هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، وقال عمر لما سمعته يتلوها هويت إلى الأرض، وعلمت أن رسول الله ﷺ قد مات.

لما قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة ونكح امرأته، كان في عسكره أبو قتادة الأنصاري، فركب فرسه والتحق بأبي بكر، وحلف أن لا يسير في جيش تحت لواء خالد أبداً، فقص على أبي بكر القصة، فقال أبو بكر: لقد

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٧/١.

فتنت الغنايم العرب، وترك خالد ما أمرته، فقال عمر: إن عليك أن تقيده بمالك، فسكت أبو بكر، وقدم خالد فدخل المسجد وعليه ثياب قد صديت من الحديد، وفي وعمامته ثلاثة أسهم، فلما رآه عمر قال: يا عدو الله، عدوت على رجل من المسلمين فقتلته ونكحت امراته، والله إن أمكنني الله منك لأرجمنك، ثم تناول الأسهم من عمامته فكسرها، وخالد ساكت لا يرد عليه، ظناً أن ذلك عن أمر أبي بكر ورأيه، فلما دخل على أبي بكر وحدثه، صدقه فيما حكاه، وقبل عذره، وكان عمر يحرض أبا بكر على خالد، ويشير عليه أن يقتص منه بدم مالك، فقال أبو بكر: إيهاً يا عمر ما هو بأول من أخطأ، فأرفع لسانك عنه، ثم ودى مالكاً من بيت المسلمين.

سأل عمر عمرو بن معدي كرب عن السلاح، فقال له: ما تقول في الرمح؟ فقال: أخوك وربما خانك، قال: فالنبل؟ قال: رسل المنايا تخطيء وتصيب، قال: فالدرع؟ قال: مشغلة للفارس، متعبة للراجل، وإنها مع ذلك لحصن حصين، قال: فالترس؟ قال: هو المجن، وعليه تدور الدواير، قال: فالسيف؟ قال: هناك قارعت أمك الهبل، قال: بل أمك، قال: بل أمي، والحمى أصرعتني إليك.[1]

وأول من ضرب عمر بالدرة أم فروة بنت أبي قحافة، مات أبو بكر، فناح النساء وفيهن اخته أم فروة فنهاهنّ عمر مراراً، وهن يعاودن، فأخرج أم فروة من بينهن وعلاها بالدرة، فهربن وتفرقن، وكان يقال درة عمر، أهيب من

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٨/١.

سيف الحجاج، وفي الصحيح نسوة كن عند رسول الله ﷺ قد كثر لغطهن، فجاء عمر فهربن هيبة له، فقال لهن: ياعديات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله، قلن: نعم، أنت أغلظ وأفظ، وكان عمر يفتي كثيراً بالحكم، ثم ينقضه بضده وخلافه، قضى في الجد مع الأخوة بقضايا كثيرة مختلفة، ثم خاف من الحكم في هذه المسألة، فقال: من أراد يتقحم جراثيم جهنم، فليقل في الجد برأيه.[١]

وقال مرة: لا يبلغني أن إمرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي ﷺ إلاّ ارتجعت ذلك منها، فقالت له إمرأة ما جعل الله لك ذلك، إنه تعالى قال: ﴿وآتيتم احداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً﴾،[٢] فقال: كل الناس أفقه من عمر حتى ربات الحجال، ألا تعجبون من إمام أخطأ، وإمراة أصابت، فاضلت إمامكم ففضلته.[٣]

ومرّ يوماً بشباب من فتيان الأنصار وهو ظمئان فاستسقاه، فجدح له ماء بعسل، فلم يشربه، وقال إن الله تعالى يقول ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم﴾ فقال له الفتى: يا أمير المؤمنين، إنها ليست لك ولا لأحد من أهل القبلة، اقرأ ما قبلها ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ فقال عمر: كل الناس أفقه من عمر.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨١/١.

[٢] - النساء/٢٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٢/١.

وقيل: إنه يعس بالليل فسمع صوت رجل وإمرأة في بيت، فأرتاب فتسور الحائط، فوجد رجلاً وإمرأة، وعندهما زق خمر، فقال: يا عدو الله أكنت ترى أن الله يسترك، وأنت على معصيته، قال: يا أمير المؤمنين إن كنت اخطأت في و احدة، فقد أخطأت في ثلاث، قال الله تعالى: ﴿**ولا تجسسوا**﴾،[1] وقد تجسست، وقال الله: ﴿**آتوا البيوت من أبوابها**﴾،[2] وقد تسورت، وقال: ﴿**فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا**﴾[3] وما سلمت.

وقال: سنتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا محرمهما، ومعاقب عليهما، متعة النساء، ومتعة الحج.

وهذا الكلام وإن كان ظاهره منكراً، فله عندنا مخرج وتأويل، وقد ذكره أصحابنا الفقهاء في كتبهم.

وكان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهية ظاهرة، يحسبه السامع لها أنه أراد بها ما لم يكن قد أراد، ويتوهم من تحكى له أنه قصد بها ما لم يقصده، فمنها الكلمة التي قالها في مرض رسول ﷺ، ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها، ولكنه أرسلها على مقتضى خشونة غريزته، ولم يتحفظ فيها، وكان الأحسن أن يقول مغمور أو مغلوب بالمرض، وحاشاه أن يعني بها غير

---

[1] - الحجرات/١٢.

[2] - البقرة/١٨٩.

[3] - النور/٦١.

ذلك، ولجفاة الأعراب من هذا الفن كثير، سمع سليمان بن عبد الملك اعرابياً يقول في سنة قحط شعراً:

رب العباد ما لنا ومالكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا

أنزل علينا الغيث لا أباً لكا

فقال سليمان: أشهد أنه لا أب له، ولا صاحبة ولا ولد، فأخرجه أحسن مخرج، وعلى نحو هذا يحمل كلامه في صلح الحديبية لما قال للنبي ﷺ: ألم تقل لنا ستدخلونها في ألفاظ نكره حكايتها حتى شكاه النبي ﷺ إلى أبي بكر، وحتى قال له أبو بكر: ألزم بغرزه، فوالله إنه لرسول الله ﷺ.

وعمر هو الذي أغلظ على جبلة بن الايهم حتى اضطره إلى مفارقة دار الهجرة، بل مفارقة بلاد الإسلام كلها، وعاد مرتداً داخلاً في في دين النصرانية، لأجل لطمة لطمها وقال جبله بعد ارتداده متندماً على ما فعل، فقال شعراً:

تنصرت الأشراف من أجل لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني رجعت إلى القول الذي قاله عمر[1]

قال: وقال عليه السلام: حتى إذا مضى لسبيله جعلها في ستة زعم أني أحدهم، فيالله وللشورى، متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/١٨٢.

صرت أقرن إلى هذه النظائر، لكني أسفت إذا أسفوا، وطرت إذا ظاروا، فصغى رجل منهم لضغنه، ومال آخر لصهره مع هن وهن.[1]

قال في الشرح: اللام في يالله مفتوحة، واللام في وللشورى مكسورة، لان الأولى للمدعو، والثانية للمدعو إليه، قال شعر:

يـا لـلـرجـال ليوم الأربعاء أما ينفك يحدث لي بعد النهى طربا

واللام في للرجال مفتوحة، وفي اليوم مكسورة، وأسف الرجل إذا دخل في الأمر، الذي أصله من أسف الطاير إذا أدنى من الأرض في طيرانه، والظغن الحقد.[2]

وقوله: مع هن وهن، أي مع أمور يكنى عنها، ولا يصرح بذكرها، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشر، قال:

على هنوات شرها متتابع

يقول عليه السلام إن عمر لما طعن جعل الخلافة في ستة هو عليه السلام أحدهم، ثم تعجّب من ذلك، فقال: متى اعترض الشك فيّ مع أبي بكر حتى أقرن بسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف وأمثالهما، ولكني طلبت الأمر وهو موسوم بالأصاغر منهم، كما طلبته أولاً وهو موسوم بأكابرهم، أي هي حقي فلا استنكف من طلبه إن كان المنازع فيه جليل القدر، أو صغير المنزلة،

---

[1] - نهج البلاغة ٣٤/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٤/١.

وصغى الرجل، بمعنى مال، والصغو الميل - بالفتح والكسر- وصورة هذه الواقعة:

أن عمر لما طعنه أبو لؤلؤة علم أنه ميت، استشار فيمن يوليه الأمر بعده، فأشير عليه بإبنه عبد الله، فقال: لاها الله إذاً لا يليها رجلان من ولد الخطاب، حسب عمر ما حمل، حسب عمر ما أحتقب، لاها الله، لا أتحملها حياً وميتاً، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله مات وهو راض عن هذه الستة من قريش، علي وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد وعبد الرحمن بن عوف، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم، ليختاروا لأنفسهم، ثم قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبا بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، يعني رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: ادعوهم لي، فدعوهم، فدخلوا عليه، وهو ملقى على فراشه يجود بنفسه، فنظر إليهم، فقال: أكلكم يطمع في الخلافة بعدي؟ فوجموا، فقال لهم ثانية، فأجابه الزبير وقال: وما الذي يبعدنا منها، وليتها أنت فقمت بها، ولسنا دونك في قريش، ولا في السابقة، ولا في القرابة.[١]

قال الشيخ أبو عثمان الجاحظ: والله لولا علمه أن عمر يموت في مجلسه ذلك لم يقدم على أن يفوه من هذا الكلام بكلمة، ولا يتنفس منه بلفظة، فقال عمر: أفلا أخبركم عن أنفسكم؟ قالوا: قل، فإنا لو اسعفينا لم تعفنا، فقال: أما أنت يا زبير فوعق لقس، مؤمن الرضا، كافر الغضب، يوماً انسان، ويوماً شيطان، ولعلها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مد من شعير،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١/١٨٤.

أفرأيت إن أفضت إليك، فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً، ومن يكون يوم تغضب إماماً، وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة، وأنت على هذه الصفة.

ثم أقبل على طلحة، وكان له مبغضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر، فقال له: أقول أم أسكت قال: قل، فإنك لا تقول من الخير شيئاً، قال: أما إني أعرفك منذ أصيبت اصبعك يوم أحد، وائياً بالذي حدث لك، ولقد مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب.[1]

قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ رَحِمَهُ اللهُ: الكلمة المذكورة أن طلحة لما أنزلت آية الحجاب، قال بمحضر من نقل عنه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ما الذي يعنيه حجابهنّ اليوم، وسيموت غداً فننكحهن.[2]

قال أبو عثمان أيضاً: لو قال لعمر قايل أنت قلت إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مات وهو راض عن الستة، فكيف تقول الآن لطلحة إنه مات عَلَيْهِ السَّلَامُ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها، لكان قد رماه بمشاقصه، ولكن من الذي يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا، فكيف هذا.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٤/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٦/١.

قال: ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص، فقال: إنما أنت صاحب مقنب من هذه المقانب، تقاتل به، وصاحب قنص وقوس وأسهم، وما زهرة والخلافة وأمور الناس.

ثم أقبل عبد الرحمن بن عوف، فقال: وأما أنت يا عبد الرحمن، فلو وزن إيمان المسلمين بإيمانك، لرجح إيمانك به، ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك، وما زهرة وهذا الأمر.

ثم أقبل على علي عليه السلام فقال: أنت لولا دعابة فيك، أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح، والمحجة البيضاء.

ثم أقبل على عثمان، فقال: هيها إليك، وكأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك، فحملت بني أمية، وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذوبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً، والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن، ثم أخذ بناصيته فقال: فإذا كان فأذكر قولي، فإنه كائن.

ذكر هذا الخبر كله شيخنا أبو عثمان في كتاب العثمانية، وذكر جماعة غيره في باب فراسة عمر، وذكر أبو عثمان في هذا الكتاب يقول لأهل الشورى: إنكم إن تعاونتم، وتوازرتم، وتناصحتم، أكلتموها وأولادكم، وان تحاسدتم، وتقاطعتم، وتدابرتم، وتباغضتم، غلبكم على هذا الأمر معاوية بن أبي سفيان، وكان معاوية حينئذ أمير الشام.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٦/١.

ثم رجع بنا الكلام إلى اتمام قصة الشورى، ثم قال: ادعوا لي أبا طلحة الأنصاري، فدعوه له، فقال: انظر يا أبا طلحة إذا عدتم من حفرتي، فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم، فخذ هؤلاء النفر بإمضاء هذا الأمر وتعجيله، وأجعلهم في بيت، وقف أنت بأصحابك على باب البيت، ليشاوروا ويختاروا واحداً، فإن اتفق خمسة وأبى واحد، فأضرب عنقه، وإن اتفق أربعة وأبى اثنان، فأضرب أعناقهما، وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة، فأنظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن، فأرجع إلى ما قد اتفقت عليه، فإن أصرت الثلاثة الأخرى على خلافها، فأضرب أعناقها، وإن مضت ثلاثة أيام، ولم يتفقوا على أمر فأضرب أعناق الستة، ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم.

فلما دفن عمر جمعهم أبو طلحة ووقف على باب البيت بالسيف في خمسين من الأنصار حاملي سيوفهم، ثم تكلم القوم وتنازعوا، فأول ما عمل طلحة أنه أشهدهم نفسه أنه وهب حقه من الشورى لعثمان، وذلك لعلمه أن الناس لا يعدلون به علياً، وأن الخلافة لا تخلص له وهذان موجودان، فأراد تقوية أمر عثمان وإضعاف جانب علي عليه السلام بهبته أمر الإنتفاع به، ولا تمكن له منه، فقال الزبير في معارضته: وأنا أشهدكم علي نفسي أني قد وهبت حقي من الشورى لعلي، وإنما فعل ذلك لأنه لما رأى علياً قد ضعف، وانخذل بهبة طلحة حقه لعثمان، دخلته حمية النسب، لأنه ابن عمة أمير المؤمنين، وهي صفية بن عبد المطلب، وأبو طالب خاله، وإنما مال طلحة إلى عثمان لإنحرافه عن علي عليه السلام بإعتبار أنه تيمي، وابن عم أبي بكر، وقد كان حصل في نفوس

بني هاشم من بني تيم حنق شديد لأجل الخلافة، وكذلك صار في صدور بني تيم على بني هاشم، وهذا أمر مركوز في طبيعة البشر، خصوصاً طينة العرب وطباعها، والتجربة إلى الآن تحقق ذلك، فبقي من الستة أربعة، فقال سعد بن أبي وقاص وهبت حقي من الشورى لإبن عمي عبد الرحمن، وذلك لأنهما من بني زهرة، ولعلم سعد أن الأمر لا يتم له، فلما لم يبق إلاّ الثلاثة قال عبد الرحمن لعلي وعثمان: أيكما يخرج نفسه من الخلافة على أن أختار أحدهما فأمسكا، فبدأ لعلي عليه السلام فقال له: أبايعك على كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر، فقال علي: بل على كتاب الله وسنة رسوله، واجتهاد رأيي، فعدل عنه إلى عثمان، فعرض ذلك عليه، فقال: نعم، فعاد إلى علي، ففعل عبد الرحمن ثلاثاً ذلك، فلما رأى علياً غير راجع عما قاله، وأن عثمان ينعم له بالإجابة صفق على يد عثمان، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

فيقال: إن علياً عليه السلام قال له: والله ما فعلتها إلاّ لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم.

قيل: ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبد الرحمن، فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن.[١]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٧/١.

ثم نرجع إلى تفسير ألفاظ الفصل:

أما قوله عليه السلام: وصغا رجل منهم لضغنه، يعني طلحة، وقال القطب الراوندي: يعني سعد بن أبي وقاص، لأن علياً عليه السلام قتل أباه يوم بدر، وهذا خطأ، فإن أباه وقاص وإسمه مالك بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب، مات في الجاهلية حتف أنفه.[١]

وأما قوله: ومال الآخر لصهره: فإنه يعني عبد الرحمن، مال إلى عثمان، لأن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، كانت تحته، وأم كلثوم هذه هي أخت عثمان من أمه أروى بنت كريز.[٢]

وروى القطب الراوندي أن عمر لما قال: كونوا مع الثلاثة التي عبد الرحمن فيها، قال ابن عباس لعلي عليه السلام: ذهب الأمر منا لرجل يريد أن يكون الأمر في عثمان، فقال علي: وأنا أعلم ذلك، ولكني أدخل معهم في الشورى لأن عمر أهلني الآن للخلافة، وكان قبل ذلك يقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن النبوة والإمامة لا يجتمعان في بيت، فأنا أدخل في ذلك لأظهر للناس مناقضة فعله لروايته، والذي ذكره الراوندي غير معروف، ولم ينقل عمر هذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنه قال لعبد الله بن عباس يوماً: يا عبد الله ما تقول في منع قومكم منكم؟ قال: لا أعلم يا أمير المؤمنين، قال: اللهم غفرا، إن قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة، فتذهبوا في السماء بذخاً وشمخاً،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨٩/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨٩/١.

لعلكم تقولون أن أبا بكر أراد الإمرة، وهضمكم حقوقكم، كلا لكنه حضره أمر لم يكن عنده أحزم مما فعل، ولولا رأي أبي بكر فيّ عند موته لأعاد أمركم إليكم، ولو فعل ما هنأكم مع قومكم، إنهم لينظرون اإليكم نظر الثور إلى جازره.[1]

فأما الرواية التي جاءت بأن طلحة لم يكن حاضراً يوم الشورى، فإن صحت فذو الضغن هو سعد بن أبي وقاص، لأن أمه خمة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس، والضغينة التي عنده على علي عليه السلام من قبل أخواله الذين قتل صناديدهم، وتقلد دماءهم، ولم نعرف أن علياً عليه السلام قتل أحداً من بني زهرة لينسب الضغن إليه، وهذه الرواية هي التي اختارها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ، قال: لما طعن عمر قيل له: لو استخلفت، فقال: لو كان أبو عبيدة حياً لأستخلفته، وقلت لربي إن سألني سمعت نبيك عليه السلام يقول: أبو عبيدة أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولد حذيفة حياً لأستخلفته، وقلت لربي إن سألني سمعت نبيك عليه السلام يقول: إن سالماً شديد الحب لله، فقال له رجل: ول عبد الله بن عمر، فقال: قاتلك الله، والله ما الله أردت بهذا الأمر، كيف استخلف رجلاً عجز عن طلاق إمرأته، لا أرب لعمر في خلافتكم فأحمدتها، فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن تك خيراً فقد أصبنا منه، وإن تك شراً يصرف عنا، حسب آل عمر، أن يحاسب منه واحد، ويسأل عن أمر أمة محمد، فخرج الناس من عنده، ثم راحوا إليه، فقالوا له: لو عهدت عهداً

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٩/١.

قال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي أن أولي أمركم رجلاً هو أحراكم أن يحملكم على الحق، وأشار إلى علي عليه السلام، فرهقتني غشية، فرأيت رجلاً يدخل جنة، فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمها إليه، ويصيرها تحته، فخفت أن أتحملها حياً وميتاً، وعلمت أن الله غالب أمره، عليكم بالرهط الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم أنهم من أ هل الجنة، ثم ذكرهم علياً، وعثمان، وعبد الرحمن، والزبير، وسعداً، ولم يذكر في هذا المجلس طلحة، ولا كان طلحة يومئذ بالمدينة، ثم قال لهم: انهضوا إلى حجرة عايشة، فتشاوروا فيها، ووضع رأسه وقد نزفه الدم، فقال العباس لعلي: لا تدخل معهم، وأرفع نفسك عنهم، فقال: إني أكره الخلاف، قال: إذاً ترى ما تكره، فدخلوا الحجرة فتناجوا حتى ارتفعت أصواتهم، فقال عبد الله بن عمر: إن أمير المؤمنين لم يمت، ففيم هذا اللغط، وأنتبه عمر وسمع الأصوات، فقال: ليصل بالناس صهيب، ولا يأتين اليوم الرابع من موتي إلاّ وعليكم أمير، وليحضر عبد الله بن عمر مشيراً، وليس له شيء من الأمر، وطلحة بن عبيد الله شريككم في الأمر، فإن قدم إلى ثلاثة أيام فاحضروه أمركم وإلاّ فأرفضوه، ومن لي برضا طلحة، فقال سعد: أنا لك به، ولن يخالف إن شاء الله تعالى، ثم ذكر وصيته لأبي طلحة الأنصاري، وما خص به عبد الرحمن بن عوف من كون الحق في الفئة التي هو فيها، وأمر بقتل من يخالف، ثم خرج الناس، فقال علي عليه السلام لقوم معه من بني هاشم: إن أطيع فيكم قومكم من قريش لم تؤمروا أبداً، وقال للعباس: عدل بالأمر عني يا عم، فقال: وما علمك، قال: قرن بي عثمان، وقال عمر:

كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان ورجلان، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن، فسعد لا يخالف ابن عمه، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفان، فيوليها أحدهما الآخر، فلو كان الآخران معي لم يغنيا شيئاً، فقال العباس: لم أرفعك إلى شيء إلاّ رجعت إليّ مستأخراً بما أكره، أأشرت عليك عند مرض رسول الله ﷺ أن تسأله عن هذا الأمر فيمن هو فأبيت، وأشرت عليك عند وفاته أن تعاجل البيعة فأبيت، وقد أشرت عليك حين سماك عمر في الشورى اليوم أن ترفع نفسك عنها، ولا تدخل معهم فيها فأبيت، فأحفظ عني واحدة، كلما عرض عليك القوم الأمر، فقل لا إلاّ أن يولوك، وأعلم أن هؤلاء لا يبرحون يدفعونك عن هذا الأمر حتى يقوم به إلى غيرك، وأيم الله لا تناله إلاّ بشر، لا ينفع معه خير، فقال عليه السلام: أما إني أعلم أنهم سيولون عثمان، وليحدثن البدع والأحداث، ولئن بقي لأذكرنك، وإن قتل أو مات ليتداولنها بنو أمية بينهم، وإن كنت حياً لتجدني حيث يكرهون ثم تمثل:

حلفت بـرب الراقصات عشية ... عدون خفافاً يبتدرن المحصبا

ليجتلبن رهط ابن يعمر غدوة ... بجيعاً بنو الشداخ ورداً مصلباً[١]

قال: ثم التفت فرأى أبا طلحة الأنصاري، فكره مكانه، فقال أبو طلحة: لا ترع أبا حسن، فلما مات عمر ودفن خلوا بأنفسهم للمشاورة في الأمر، وقام أبو طلحة بباب البيت، جاء عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما، وقال: إنما تريدان أن تقولان حضرنا، وكنا في أهل

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩١/١.

الشورى، فتنافس القوم في الأمر، وكثر بينهم الكلام، فقال أبو طلحة: أنا كنت لأن تدافعوها أخوف مني عليكم أن تنافسوها، ألا والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي وقفت لكم، فأصنعوا ما بدا لكم.

قال: إن عبد الرحمن قال لإبن عمه سعد بن أبي وقاص: إني قد كرهتها وسأخلع نفسي منها، لأني رأيت الليلة روضة خضراء كثيرة العشب، فدخل فحل ما رأيت أكرم منه، فمر كأنه سهم، لم يلتفت إلى شيء حتى قطعها، لم يعرج، ودخل بعير يتلوه تابع أثره حتى خرج منها، ثم دخل فحل عبقري يجر خطامه، ومضى قصد الأولين، ثم دخل بعير رابع فوقع في الروضة يرتع ويخضم، ولا والله لا أكون الرابع، وإن أحداً لا يقوم مقام أبي بكر وعمر فترضى الناس عنه.

ثم ذكر خلع عبد الرحمن نفسه من الأمر على أن يوليها أفضلهم في نفسه، وإن عثمان أجاب إلى ذلك موافقاً، وإن علياً سكت، فلما رُوجع رضى على موثق أعطاه عبد الرحمن أن يوثر الحق، ولا يتبع الهوى، ولا يخص ذا رحم، ولا يألوا الأمة نصحاً، وإن عبد الرحمن ردد القولين بين علي وعثمان متلوماً، وإنه خلا بسعد تارة، وبالمسور بن مخرمة الزهري تارة أخرى، وأجال فكره، وأعمل نظره، ووقف موقف الحائر بينهما، قال: قال علي عليه السلام لسعد بن أبي وقاص: يا سعد اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام، أسألك برحم ابني

هذا من رسول الله ﷺ، وبرحم عمي حمزة منك أن لا تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهراً.[١]

قلت: رحم حمزة من سعد، هي أن أم حمزة هالة بنت اهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهي أيضاً أم المقوم وحجل، وإسمه المغيرة، والعوام بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، هؤلاء الأربعة بنو عبد المطلب من هالة، وهالة هذه عمة سعد بن أبي وقاص، فحمزة إذن ابن عمة سعد، وسعد ابن خال حمزة.[٢]

قال أبو جعفر: فلما أتى اليوم الثالث جمعهم عبد الرحمن، وأجتمع الناس كافة، فقال عبد الرحمن: أيها الناس أشيروا عليّ في هذين الرجلين، فقال عمار بن ياسر: إن أردت أن لا يختلف الناس، فبايع علياً، فقال المقداد: صدق عمار، وإن بايعت علياً سمعنا وأطعنا، فقال عبد الله بن أبي وسرح: إن أردت أن لا تختلف قريش، فبايع عثمان، وقال عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي: صدق، إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا، فشتم عمار ابن أبي سرح وقال: متى أنت تنصح الناس، فتكلم بنو هاشم وبنو أمية، وقام عمار فقال: أيها الناس إن الله أكرمكم بنبيه، وأعزكم بدينه، فإلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم، فقال رجل من بني مخزوم: لقد عديت طورك يا ابن سمية، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها، فقال سعد: يا عبد الرحمن أفرغ من أمرك قبل

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩٢/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩٣/١.

أن يفتتن الناس، فحينئذ عرض عبد الرحمن على علي العمل بسيرة الشيخين فقال: بل اجتهد برأيي، فبايع عثمان بعد أن عرض عليه، فقال نعم، فقال علي عليه السلام: ليس هذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليه الأمر إلاّ ليرده إليه، والله كل يوم في شان، فقال عبد الرحمن: لا تجعلن على نفسك سبيلاً يا علي، يعني أمر عمر أبا طلحة أن يضرب عنق المخالف، فقام علي عليه السلام فخرج، وقال: سيبلغ الكتاب أجله، فقال عمار: يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته، وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، فقال المقداد: تالله ما رأيت مثل ما أتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم، واعجباً لقريش، لقد تركت رجلاً ما أقول ولا أعلم أن أحداً أقضى بالعدل، ولا أعلم ولا أتقى منه، أما والله لو أجد أعواناً، فقال عبد الرحمن: اتق الله يا مقداد، فإني خائف عليك الفتنة، وقال علي عليه السلام: إني لأعلم ما في أنفسهم، إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر في صلاح شأنها، فتقول إن ولي الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبداً، وما كان في غيرهم فهو متداول في بطون قريش.

قال: وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه لعثمان فتلكأ ساعة، ثم بايع.[1]

قال: وروى أبو جعفر رواية أخرى أطالها، وذكر خطب أهل الشورى وما قاله كل منهم، وذكر كلاماً قاله علي عليه السلام في ذلك اليوم وهو: الحمد لله الذي اختار محمداً منا نبياً، وبعثه إلينا رسولاً، فنحن أهل بيت النبوة، ومعدن

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٣/١.

الحكمة، أمان لأهل الأرض، ونجاة لمن طلب، إن لنا حقاً إن تعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السرى، لو عهد إلينا رسول الله ﷺ عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجالدنا عليه حتى نموت، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق، وصلة رحم، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، اسمعوا كلامي، وعوا منطقي، عسى أن تروا هذا الأمر بعد هذا الجمع تنتضى فيه السيوف، وتخان فيه العهود، حتى لا يكون لكم جماعة، وحتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة، وشيعة لأهل الجهالة.[1]

قلت: وقد ذكر الهروي في كتاب الجمع بين الغريبين قوله، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل، وفسره على وجهين:

أحدهما: أن من ركب عجز الإبل يعاني مشقة، ويقاسي جهداً، فكأنه قال: وإن تمنعه نصبر على المشقة، كما يصبر عليها راكب عجز البعير.

والوجه الثاني: أنه أراد نتبع غيرنا، كما أن راكب عجز البعير، يكون رديفاً لمن هو أمامه، فكأنه قال: وإن نمنعه نتأخر، ونتبع غيرنا، كما يتأخر راكب عجز البعير.[2]

قال: وقال أبو هلال العسكري في كتاب الأوايل: أستجيب دعوة علي عليه السلام في عثمان وعبد الرحمن، فما ماتا إلاّ متهاجرين متعادين، أرسل عبد الرحمن إلى عثمان ليعاتبه، وقال لرسوله: قل له، لقد وليتك من أمر الناس

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٥/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٥/١.

وإن لي أموراً ما هي لك، شهدت بدراً وما شهدتها، وشهدت بيعة الرضوان وما شهدتها، وفررت يوم أحد وصبرت، فقال عثمان لرسوله: قل له، أما يوم بدر فإن رسول الله صلى الله عليه وآله ردني إلى ابنته لما بها من المرض، وقد كنت خرجت للذي خرجت له، ولقيته عند منصرفه، فبشرني بأجر مثل أجوركم، وأعطاني مثل سهامكم.[١]

وأما بيعة الرضوان فإنه صلى الله عليه وآله بعثني استأذن قريشاً في دخوله إلى مكة، فلما قيل له إني قتلت، بايع المسلمين على الموت لما سمعه عني، وقال: إن كان حياً فأنا أبايع عنه، وصفق بإحدى يديه على الأخرى، وقال: يساري خير من يمين عثمان، فيدك أفضل أم يد رسول الله صلى الله عليه وآله.[٢]

وأما صبرك يوم أحد وفراري، فلقد كان ذلك، فأنزل الله تعالى العفو عني في كتابه، فعيرتني بذنب غفره الله لي، ونسيت من ذنوبك ما لا تدري أغفر لك أم لم يغفر.[٣]

قال: لما بنى عثمان قصره طمار بالزوراء، وصنع طعاماً كثيراً، ودعا الناس إليه كان فيهم عبد الرحمن، فلما نظر إلى البناء والطعام قال: يا ابن عفان لقد صدقنا عليك، وما كنا نكذب فيك، وإني استعيذ بالله من بيعتك، فغضب عثمان، وقال: اخرجه عني يا غلام، فاخرجه، وأمر الناس أن لا يجالسوه، فلم

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٦/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٦/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٦/١.

يكن يأتيه أحد إلاّ ابن عباس، كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرايض، ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلمه فلم يكلمه حتى مات.[1]

قال: الأصل: إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أمية يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته.[2]

قال في الشرح: نافجاً حضنيه، رافعاً لهما، والحضن ما بين الإبط إلى الكشح، يقال للمتكبر جاءنا نافجاً حضنيه، ويقال لمن قد امتلأت بطنه جاء نافجاً حضنيه، ومراده عليه السلام هذا الثاني، والنثيل الروث، والمعتلف موضع العلف، يريد أن همه الأكل والرجيع، وهذا من ممض الذم، وأشد من قول الحطيئة الذي قيل أنه أهجى بيت للعرب، شعراً:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[3]

والخضم أكل بكل الفم، وضده القضم، وهو الأكل بأطراف الأسنان، وقيل: الخضم أكل الشيء الرطب، والقضم أكل الشيء اليابس، والمراد على التفسيرين لا يختلف، وهو أنهم على قدم عظيمة من النهم، وشدة الأكل، وامتلاء الأفواه، وقال أبو ذر رحمه الله عن بني أمية: يخضمون ونقضم، والموعد الله.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٦/١.

[2] - نهج البلاغة ٣٥/١.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٧/١.

والماضي خضمت – بالكسر- ومثله قضمت، والنبتة - بكسر النون- كالنبات، نقول نبت الرطب نباتاً ونبتة، وانتكث فتله انتقض، وهذه استعارة، وأجهز عليه عمله، تمم قتله، يقال أجهزت على الجريح، مثل دففت إذا أتممت قتله، وكبت به بطنته، كبا الجواد إذا سقط لوجهه، والبطنة الإسراف في الشبع، وثالث القوم هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكنيته أبو عمرو، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، بايعه الناس بعد انقضاء الشورى، وأستقر الأمر له، وصحت فيه فراسة عمر، فإنه أوطأ بني أمية رقاب الناس، وولاهم الولايات، وأقطعهم القطايع، وأفتتحت افريقية في أيامه، فأخذ الخمس كله، فوهبه لمروان، فقال عبد الرحمن بن حنبل الجمحي:

احلف بالله رب الأنام ما ترك الله شيئاً سدى
ولكن خلفت لنا فتنة لكي نبتلى بك أو تبتلى
فإن الأمينين قد بينا منار الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهماً غيلة ولا جعلا درهماً في هوى
وأعطيت مروان خمس البلاد فهيهات سعيك ممن سعى[1]

الأمينان أبو بكر وعمر، وطلب إليه عبد الله بن خالد بن اسيد صلة فأعطاه أربعمائة درهم، وأعار الحكم بن أبي العاص بعد أن كان رسول الله ﷺ قد سيره، ثم لم يرده أبو بكر ولا عمر، وأعطاه مائة ألف درهم،

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١/١٩٧.

وتصدق رسول الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين، فأقطعها الحارث بن الحكم، أخا مروان بن الحكم، وأقطع مروان فدك، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها ﷺ تارة بالميراث، وتارة بالنحلة، فدفعت عنها، وحمى المراعي حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم إلاّ عن بني أمية، وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاءه الله عليه من فتح افريقية بالمغرب، وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة الف من بيت المال، وقد كان زوجه ابنته أم ابان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي؟ قال: لا، ولكن أبكي لأني أظنك أخذت هذا المال عوضاً، عما كنت تنفقه في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ، والله لو أعطيت مروان بن الحكم مائتي درهم لكان كثيراً، فقال: ألق المفايتح يا ابن أرقم، فإنا سنجد غيرك.

وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة، فقسمها كلها في بني أمية، وأنكح الحارث بن الحكم ابنته عايشة، فأعطاه ماية الف من بيت المال ايضاً، بعد صرفه زيد ابن أرقم عن خزنه، وأنظم إلى هذه الأمور أمور أخرى نقمها عليه المسلمون، كتسيير أبي ذر رحمه الله إلى الربذة، وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر اضلاعه، وما أظهر من الحجاب والعدول عن طريقة عمر في اقامة الحدود، ورد المظالم، وكف الأيدي العادية، والانتصاب لسياسة الرعية،

وختم ذلك ما وجدوه من كتابه إلى معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين، فأجتمع عليه كثير من أهل المدينة مع القوم الذين وصلوا من مصر لتعديد أحداثه عليه فقتلوه.

وقد أجاب أصحابنا عن المطاعن في عثمان بأجوبة مشهورة مذكورة في كتبهم، والذي نقول نحن إنها وإن كانت أحداثاً إلاّ أنها لم تبلغ المبلغ الذي يستباح بها دمه، وقد كان الواجب عليهم أن يخلعوه من الخلافة حيث لم يستصلحوه لها، ولا يعجلوا بقتله، وأمير المؤمنين عليه السلام أبرأ الناس من دمه، وقد صرح بذلك في كثير من كلامه، من ذلك قوله عليه السلام: والله ما قتلت عثمان، ولا مالأت على قتله، وصدق ﴿صلوات الله عليه﴾.[1]

قال: الاصل: فما راعني إلاّ والناس إليّ كعرف الضبع، ينثالون عليّ من كل وجه حتى لقد وطي الحسنان، وشق عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكن حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها.[2]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٨/١.

[2] - نهج البلاغة ٣٦/١.

قال في الشرح: عرف الضبع، يضرب به المثل في الازدحام، وينثالون يتتابعون مزدحمين، والحسنان الحسن والحسين عليهما السلام، العطفان الجانبان من المنكب إلى الورك، ويروى عطافي، والعطاف الرداء، وهو أشبه بالحال إلاّ أن الرواية الأولى أشهر، والمعنى خدش جانباي لشدة الاصطكاك منهم والزحام.[1]

قال القطب الراوندي: الحسنان ابهاما الرجل، وهذا لا أعرفه.

وقوله: كربيضة الغنم، أي القطعة الرابضة من الغنم، يصف شدة ازدحامهم حوله وجثوهم بين يديه.

وقال القطب الراوندي: يصف بلادتهم، ونقصان عقولهم، لأن الغنم توصف بقلة الفطنة، وهذا التفسير بعيد وغير مناسب للحال.

فأما الطائفة الناكثة، فهم أصحاب الجمل، وأما الطائفة القاسطة فأصحاب صفين، وسماهم رسول الله صلى الله عليه وآله القاسطين، وأما الطائفة المارقة فأصحاب النهروان، وأشرنا نحن بقولنا سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله القاسطين إلى قوله عليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين، والقاسطين، والمارقين، وهذا الخبر من دلائل نبوته ﴿صلوات الله عليه﴾ لأنه إخبار صريح بالغيب، لا يحتمل التمويه والتدليس، كما تحتمله الأخبار المجملة، وصدق قوله عليه السلام والمارقين أولاً في الخوارج، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وصدق قوله عليه السلام

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٠/١.

الناكثين كونهم نكثوا البيعة باديء بدء، وقد كان عليه السلام يتلو وقت مبايعتهم به: **﴿ومن نكث فانما ينكث على نفسه﴾**.[١]

وأما أصحاب صفين، فإنهم عند أصحابنا مخلدون في النار لفسقهم، فصح فيهم قوله تعالى: **﴿واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾**.[٢]

وقوله عليه السلام: حليت الدنيا في أعينهم، تقول حلا الشيء في فمي يحلو، وحلا بعيني يحلا، والزبرج الزينة من وشي أو غيره، ويقال الزبرج الذهب، وأما الأية فنحن نذكر بعض ما فيها، فنقول: إنه تعالى لم يعلق الوعد بترك العلو في الأرض والفساد، ولكن بترك ارادتهما، وهو كقوله تعالى: **﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾**،[٣] علق الوعيد بالركون إليهم والميل عهم، وهذا شديد في الوعيد، ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أحسن من شراك نعل صاحبه، فيدخل تحت هذه الآية. ويقال: إن عمر بن عبد العزيز كان يرددها حتى قبض.[٤]

قال: الأصل: أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها،

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠١/١، الفتح/١٠.

[٢] - الجن/١٥.

[٣] - هود/١١٣.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٢/١.

ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه، أهون عندي من عفطة عنز.[١]

قال في الشرح: فلق الحبة من قوله تعالى: **﴿فالق الحب والنوى﴾**، والنسمة كل ذي روح من البشر خاصة، قوله لولا حضور الحاضر، يمكن أن يريد به لولا حضور البيعة، فإنها بعد عقدها تتعين المحاماة عنها، ويمكن أن يريد بالحاضر من حضره من الجيش الذين يستعين بهم على الحرب، والكظة - بكسر الكاف- ما يعتري الإنسان من الثقل والكرب عند الامتلاء من الطعام، والسغب الجوع، وقولهم قد ألقى فلان حبل فلان على غاربه، أي تركه هملاً يسرح حيث يشاء من غير وازع ولا مانع، والفقهاء يذكرون هذه اللفظة في كتاب الطلاق، وعفطة العنز، ما تنثره من أنفها، عفطت تعفط - بالكسر- واكثر ما يستعمل ذلك في النعجة، فأما العنز فالمستعمل الأشهر فيها النفطة بالنون، ويقولون ماله عافط ولانافط أي نعجة ولا عنز.[٢]

فإن قيل: أيجوز أن يقال العفطة ههنا الحبقة، فإن ذلك يقال في العنز خاصة، عفطت تعفط.

قيل: ذلك جايز إلاّ أن الأحسن والأليق بكلام أمير المؤمنين عليه السلام التفسير الأول، فإن جلالته وسؤدده يقتضي أن يكون ذاك أراد لا الثاني، فإن صحّ أن لا يقال في العطسة عفطة، إلاّ للنعجة.

---

[١] - نهج البلاغة ٣٧/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٢/١.

قلنا: إنه استعمله في العنز مجازاً، يقول عليه السلام لولا وجودي من ينصرني، لا كما كانت الحال عليه أولاً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فإني لم أكن حينئذ واجداً للناصر، مع كوني مكلفاً ألاّ أمكن الظالم من ظلمه، لتركت الخلافة ولرفضتها الآن، كما رفضتها قبل، ولو ولوجدتم هذه الدنيا عندي أهون من عطسة عنز، وهذا إشارة إلى ما يقوله أصحابنا من وجوب النهي عن المنكر عند التمكن.[1]

قال: الأصل: قالوا وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته، فناوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه، فلما فرغ من قراءته، قال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، لو اطردت مقالتك من حيث أفضيت، قال: هيهات يا ابن عباس، تلك شقشقة هدرت ثم قرت.

قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قط، أسفي على ذلك الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث أراد.[2]

قال في الشرح: سمى السواد سواداً لخضرته بالزروع والأشجار والنخل، والعرب تسمى الاخضر أسود، قال سبحانه وتعالى: ﴿**مدهامتان**﴾ يريد الخضرة، وقوله: اضطردت مقالتك، أي اتبعت قولك الأول قولاً ثانياً، من قولهم اطرد النهر إذا تتابع جريه، وقوله من حيث أفضيت، أصل افضى خرج إلى الفضاء، فكأنه شبهه عليه السلام حيث سكت عما كان يقوله بمن خرج من خباء

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠٢/١.

[2] - نهج البلاغة ٣٧/١

أو جدار إلى فضاء من الأرض، وذلك لأن النفس والقوى والهمة عند ارتجال الخطب والاشعار، تجتمع إلى القلب، فإذا قطع الإنسان وفرغ، تفرقت وخرجت عن حجر الاجتماع وأستراحت، والشقشقة - بالكسر فيهما- شيء يخرجه البعير من فيه إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فإنما شبهوه بالفحل والهدير صوتها.

وأما قول ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾ ما أسفت على كلام إلى آخره.[١]

فحدثني شيخي أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة، قال: قرأت على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بإبن الخشاب هذه الخطبة، فلما انتهيت إلى هذا الموضع قال لي: لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له: وهل بقي في نفس إبن عمك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة، لتتأسف أن لا يكون بلغ من كلامه ما أراد، والله ما رجع عن الأولين ولا عن الآخرين، ولا بقي في نفسه أحد لم يذكره إلاّ رسول الله ﷺ، قال: صدق رحمه الله، وكان ابن الخشاب صاحب دعابة وهزل.[٢]

قال: فقلت له: أتقول إنها منحولة؟

فقال: لا والله، وإني لأعلم كلامه كما أعلم أنك مصدق.

قال: فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون إنها من كلام الرضي رحمه الله.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٤/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٥/١.

فقال لي: أنى للرضي ولغير الرضي هذا النفس، وهذا الاسلوب، فقد وقفنا على رسائل الرضي، وعرفنا طريقته، وفنه في الكلام المنثور، وما يقع مع هذا الكلام في خل ولا خمر.

ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق أبو أحمد والد الرضي.[١]

قلت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة، وقد وجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلمي الإمامية، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الانصاف، وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله موجوداً.[٢]

أقول: هذه الخطبة قد روتها الخاصة والعامة، وهي مشهورة من خطبه عليه السلام، فمن طريق العامة والخاصة ما رواه الشارح، ومن طريق الخاصة ما رواه الشيخ الثقة رئيس المحدثين أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابوية القمي في كتاب العلل، وقال: حدثنا محمد بن علي ماجيلويه، عن محمد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٥/١.

[٢] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٥/١.

عمير، عن ابان بن عثمان، عن ابان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: والله لقد تقمصها أخو تيم، وإنه ليعلم أن محلي منها، محل القطب من الرحا، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير، وساق الخطبة.[١]

وروى أيضاً في أماليه قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رحمه الله، قال: حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي، قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عمار بن خالد قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الطائي، قال: حدثني عيسى بن راشد، عن علي بن حذيفة، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله سواء.[٢]

ورواها الشيخ الثقة الجليل شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي في أماليه، قال: اخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار، قال: أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن علي بن علي الدعبلي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أخي دعبل قال: حدثنا محمد بن سلامة، عن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن ابن عباس، وعن محمد، عن أبيه، عن جده، قال: ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها، محل القطب من الرحا، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير.

---

[١] - العلل، الشيخ الصدوق ١/١٥٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٦/١.

ومن أنصف نفسه، ولم يغلبه هواه، يعلم من هذه الخطبة أن أمير المؤمنين عليه السلام كشف في هذه الخطبة أن الإمامة والخلافة له بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن من تقدمه في ذلك، فهو غاصب له وظالم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وهذا واضح بيّن، لمن كان له قلب أو القى السمع، وهو شهيد، وقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين.[1]

[1] - امالي الطوسي/٣٧٣.



محتويات الكتاب

